

دَزَاكِرَا

إِمَامُكَ الْمُنْتَظَرُ كَمَا لَمْ يُجْبِرْكَ عَنْهُ أَحَدٌ

سَلْسَلَةٌ مِنْ سُنَّةِ أَجْرَاءِ

د. أسماء غريب

ذَكَرَا

إِمَامُكَ الْمُتَنَزَّرُ كَمَا لَمْ يُخْبِرَكَ عَنْهُ أَحَدٌ

سلسلة من سنة أجزاء

١٤٤٤هـ / ٢٠٢٢م

٨١١/٩٢

غ/ ٤٩٢ غريب، أسماء
إمامك المنتظر كما لم يُخبرك عنه أحد
سلسلة من ستة أجزاء
د. أسماء غريب

العراق/ بابل: دار الفرات للثقافة والاعلام، ٢٠٢٢م

ali.abassos@yahoo.com /07707311570

م/و

٢٠٢٢ /١٧٠٣

المكتبة الوطنية/ الفهرسة

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٧٠٣) لسنة ٢٠٢٢م



دزآكرا

إمامك المنتظر كما لم يُخبرك عنه أحد
سلسلة من ستة أجزاء
د. أسماء غريب

الطبعة: دار الفرات للثقافة والإعلام - العراق - بابل

بالاشتراك مع دار سبأ للطبع والنشر والتوزيع

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

Al-Furat House for Education and Information

Iraq – Babylon

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

((وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا))

الزمر: ٦٩

الإهداء

إلى رجال ثلاثة في حياتي:

- جدّي العارف بالله السيّد أحمد.
- والدي السيّد الشّرقى.
- وزوجي السيّد باسم.





الإِنَاءُ بَيْنَ يَدَيْكَ مِنْ طِينٍ أبيض
وأنا واقفةٌ أمامَكَ يا إمامي
أراه ممتلئاً بزيتٍ لونه كالْماءِ
أنفخُ فوقَهُ فيشتعلُ بالنورِ والنارِ .
تبتسمُ لي فأصعدُ إلى غرفتكَ البيضاء
أجلسُ إلى يمينكَ فوقِ بساطكَ الأخضرِ
وأسمعُكَ تقولُ :

العشقُ قطرةٌ

منها خُلقتِ الأنهارُ والبحارُ
واشتعلتِ الأقلامُ والأشجارُ
أبتسمُ لكِ وأقولُ :

العشقُ نظرةٌ منكِ يا مولاي
حينما صوّبتَها نحوي

ذهلتُ عن نفسي

ونسيتُ مَنْ أنا

نسيتُ أهلي،

نسيتُ حرفي

نسيتُ قلمي

وما بقيَ شيءٌ سواكَ .

العشقُ أنتَ
نقطةٌ منه تكفي
نقطةٌ هي الآنَ بالقربِ من عينيّ اليسرى؛
فوق خديّ
ثمَّ فوقَ شفّتي العُليا
لا يقرؤها إلاّ صاحبُ سرٍّ وتمكين.
قُلْ لي كيف يُصابُ بمرضِ
مَنْ شربَ نُقطتَكَ
بل كيفَ يكفيه بحرُ حرفِ
أو نهرُ حبرٍ أو غابةُ ورق؟!
كلّ الكلامِ اختزنتُهُ نقطتَكَ وكفى
كلُّ الكلامِ رُثِمَ ورُقِمَ في عشقِكَ
وحدكَ أنتَ وكفى
كلّ الكلامِ صمتٌ لا يُشَفِّرُهُ
إلاّ صاحبُ عِلْمٍ وسلطانِ وكفى
قُلْ لي إذن: هل أرفعُ المزلاجَ
فالتَّارِقُ خلفَ البابِ
والبابُ مغلقةٌ بإحكام؟!!

أسماء غريب

هُمُ قَصَرُوا جَمِيعاً
حِينَ لَمْ يَخْبِرُواكَ إِلَى الْآنَ بِأَنَّكَ (نَبِيَّةَ الْحَرْفِ)!
هُمُ قَصَرُوا جَمِيعاً
حِينَ لَمْ يُطْلِعُواكَ إِلَى الْآنَ
بِأَنَّكَ مَخْتَصِرُ الْبَيَانِ لِمَتُونِ الرِّسَالَاتِ الْإِلَهِيَّةِ،
وَأَنَّ ظِلَّكَ لَا يَقَعُ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا صَارَ مَلِكاً،
كَطَائِرِ (الهُمَا) أَوْ (السِّمْرِغِ)!
هُمُ قَصَرُوا جَمِيعاً
حِينَ لَمْ يُسْمِعُواكَ إِلَى الْآنَ
كَلَاماً عَنِ (رُسْتَمَ وَسَهْرَابِ)!
هُمُ قَصَرُوا جَمِيعاً
حِينَ لَمْ يُبَلِّغُواكَ إِلَى الْآنَ
بِأَنَّ هِمَّتَكَ كَهَمَّةَ (رُسْتَمِ دِسْتَانَ)،
أَبْعَدَهُمْ صَيْتاً وَأَبْقَاهُمْ ذِكْراً!
هُمُ قَصَرُوا جَمِيعاً
حِينَ لَمْ يُدْخِلُوا اسْمَكَ؛
بَطَلَّةً لِلْمَنْمَنَاتِ الْفَارْسِيَّةِ،
رَبِّمَا لِأَنَّ فِضَاءَهَا لَمْ يَسِعْ ذَلِكَ فَأَنْتِ (أَسْمَاءُ).
يَا وَرِثَةَ زَيْنَبِ الْحُسَيْنِ!

ويا حاملةً آلامها!
يا وريثة السر
دعينا ننتقع من عذب مائك
وليكن حرفك غيائاً
فقد طال الصدى!

هيشم كاظم المحمود



هذا الكتاب

ها قد اكتملَ كتابُ (دَزَاكِرًا / إِمَامِكَ الْمُنتَظَرِ كما لم يُخْبِرِكَ
عنه أحد)، وبدلَ أن أُصَدِرَ لَكَ ما كان قد تبَقَّى منه مِن
فصولٍ* ، فقد ارتأيتُ أَنه من الأفضَل أن أجمع الأجزاء كُلَّها في
مُجلِّدٍ واحدٍ هو الَّذي بين يديكَ اللَّحظة، وذلكَ لتتضحَ الرَّؤيةُ،
وتتكشَفَ معالمُ بُنيانهِ شاملةً وكاملةً بين يديكَ وبيديَّ، ويظهرَ
المعنى الحقيقيَّ لهذا العنوانِ (دَزَاكِرًا) الَّذي اخترتُهُ لَكَ من
قاموسِ اللَّهجةِ الصقليةِ، وقد رأيتُ فيه معانيَ الإزهارِ والإشراقِ
الرَّوحيِّ المرتبطِ في الطَّبيعةِ بشجرةِ النَّارنجِ الَّتِي تلبسُ بين
شَهْرَي نيسانٍ وأيارٍ في جزيرةِ الشَّمسِ فستانَ الزَّفافِ المُرصَعِ
بالأزهارِ البيضِ العطرةِ الفوَّاحةِ، لتُعلنَ في الوجودِ حلولَ موسمِ
المحبَّةِ والعشقِ، وظهورِ السيِّدِ العظيمِ مُخَصَّبِ العقلِ والقلبِ

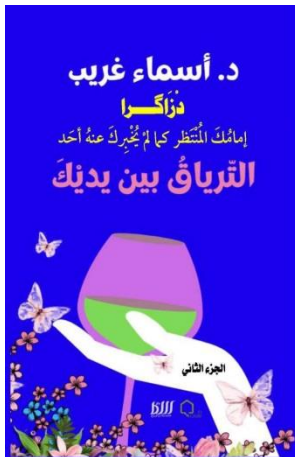
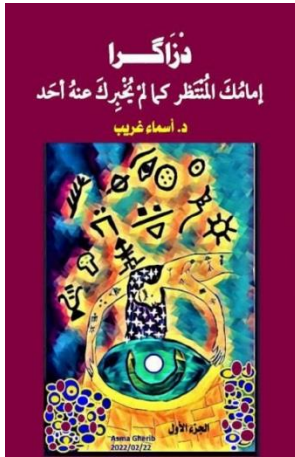
° في هذا العام (٢٠٢٢) صدرتُ في العراقِ عن دارِ الفراتِ للثقافةِ والإعلامِ أربعةُ
أجزاءٍ من سلسلةِ ((دَزَاكِرًا)) في التَّواريخِ وبالعناوينِ التَّاليةِ:

- الأربعة ٠٩ آذار: (دَزَاكِرًا / إِمَامِكَ الْمُنتَظَرِ كما لم يُخْبِرِكَ عنه أحد) ، وقد تمَّ في
هذه النسخة الجديدة إضافة عنوان جزئي صغير له هو (محارة الذهب)؛
- الجمعة ٢٧ أيار: الترياقُ بين يديكَ؛
- الخميس ١٦ حزيران: حبيبتِي المُذهشة؛
- السبت ٠٢ تموز: قُبلةٌ تحت شجرة السَّرو.

بشّتى معاني الوفاء والنّقاء والبهاء، والإبداع والخيال الخلاق. فطوبى لمن يحضّر هذا الموعدَ العرفانيّ العجيب، وطوبى لمن يدخلُ معنا حانَةً جدّنا العتيقة، ويرى الحبيبَ بزهره قميصه البيضاء، وشعره الفضيّ المُعطرّ بالمِسكِ العدنيّ. وطوبى لمن يجلسُ إلى الموائدِ الضّاجة بالمُبسملين والمُحوقلين والمُستغفرين المُجنّحين، بل طوبى للعروس التي تقومُ من مكانها حينما ترى عريسها فتضع يدها في يده وتنتبذُ به في قلبها مكاناً قصياً، ثمّ تفتح بابَ البوح بأحاديثِ العشق والجوى الملتهبة، وتقرأ سورة الإخلاص وتعلنُ أمامَ المعشوق آياتِ الوفاء الأبدية، فتلبس خاتمَ أهلِ الأحديّة والقيوميّة، وتضع نقطتها البيضاء في جيبِ صاحبِ الأمر لتُخفيها عن عيونِ المُتلصّصين، وهي تعلمُ جيّداً أنّ الشّموس قليلة والقنّاصَة كُثر. ولكنّها على الرّغم من ذلك فإنّ هذا لا يمنعها من أن تسعى إلى الحصول من الحبيب على قُبلةٍ فوق جبينها تفنى بها فتصيرُ الكأسَ والخمرة، ثم تصحو وتصيرُ البابَ والحضرة، ثمّ بعدَ الصّحو تبقى وتصيرُ الجمعَ والكثرة، وتجلُّ في الختام بهِ منه، ويصيرُ ابنها وتُصبحُ ابنته، ويقومُ فيها عيساهُ ومحمّدهُ، وتقومُ فيه مريمها وفاطمُها. طوبى إذن لكلّ المدعويين لهذا الحفل العظيم، وطوبى لكّ معنا أيّها القارئُ العزيز، وهنيئاً لكّ لأنّك هُنا تقرأ معنا ما فاض به القلمُ بشأنِ

سَفَرٍ يَتَشَارِكُ فِيهِ الْعَدِيدُ مِنْ أَهْلِ اللَّهِ، كُلِّ بِطَرِيقَتِهِ، وَكُلِّ عَلَى حَسَبِ اسْتِعْدَادِهِ وَعُلُوِّ هِمَّتِهِ. فَقُلْ بِسْمِ اللَّهِ إِذْنِ وَالْبَسِ إِكْلِيلَ الْعُرُوسِ الْمَغْرِبِيَّةِ الصَّقِيلِيَّةِ الذَّرَاكِرِيَّةِ، وَاغْمُضْ عَيْنِيكَ لِتَرَى إِمَامَكَ كَمَا لَمْ يُخْبِرَكَ عَنْهُ مِنْ قَبْلُ أَحَدٌ!

د. أسماء غريب



د. أسماء غريب

حبيبتى المُدهِشة!

إماتة الفننظر كما لم يفكره عنه أحد



ذُأْكَرَا

الجزء الثالث



وجسّدك للمعوم عبر الخبب والمصور يقول هلك، خرافته الحيتة جئاً تقول هسلدا، هروكك وكثير الله المعوية تسقول أكثر بما لا يعرفه أحسد، أسأل عنها الأبحار جسدك لتتهدك الأبتى بجكي أساطير قديمة جئداً، أنظر لى وجوه أجسادك، لى مجاهدك، لى مرمهك، وأنصت لى قلوبك، وأصراهم المسجلة فى برازح الكون، وسعرف أنك لم تكن ولو نصف يوم فرحاً واحداً، فأنت جراحة عظيمة جئداً، أنت شعوب وقبائل من البحر والانس والملائكة وكل قوى التور والظلام من حولك، واهلهم أيتها الولد العاشق، أذ قلبك يعرف الحكايات كلها، وهو حينها يصيح جاهراً لتلقي الوحي، تستمد لة كل القوى النفسية بداخلك، ويهضر كل شيء فىك، لحظة الاستماع: جئتك، وفكرة العاقل وجميع مدراتك الفنية ألقى، هي جئ الوجود البشرى، الكل يستمع، وكل أهدك جئز وترى وما يذول عليها من مطر الخبير والكات، فترهز الجحان والفراميس وتطلق كل الأبال والفرزان والتسور جملن وفرحة بسعدت الانتصار والخروج من الظلمات لى التور.

د. أسماء غريب

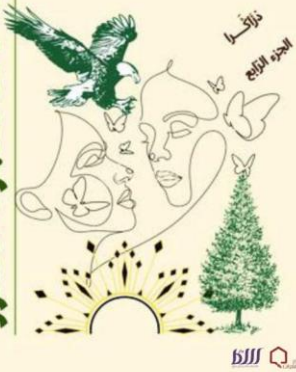
FREE COPY

دار الفنون للثقافة والاعلام - العراق - بابل
بالاشتراك مع دار سما للنضاهة والنشر والتوزيع
رقم الإزاع فى دار الفنون والرقم الصادر (٢٢٦) لسنة ٢٠١٤م
all.abbas@yahoo.com / 0770711170
All Rights Reserved for © Distribution and Publication
Iraq - Baghdad

د. أسماء غريب

إماتة الفننظر كما لم يفكره عنه أحد

قبلة تحت شجرة السرو



ذُأْكَرَا
الجزء الرابع



ابنتى الفتاة وابنتى الفتى، الكون يتحدث معك، وأنا حديث نسي كل آن ومكان من حياتك. ولا شيء يُسعدنى أكثر من أن أرى كل واحد منكم ساهمكاً فى إدخال عيطه وسط سجادة الوجود، بحيث يكون لكل عيط لون، واشم وشعر ومثقف وولد ولغة وبصمة، ولا أسبح أبداً بأن يهتر أحد فى رسمك ولا فى تشجيتك لاني أعرف أن ما تقدمته هو الضرورة الملل للتعبم الأبدى، وأن سجادتك الكونية هله هي بذ الله المتحركة بالسنة والجبال والإبداع الأبدى، فكونوا با أبنائى فى الموعد، ولتصمروا أننا جميعاً فى الاضطر، لتدى معاً الشكل النهائي لهذه المسجدة الملكة!

د. أسماء غريب

FREE COPY

دار الفنون للثقافة والاعلام - العراق - بابل
بالاشتراك مع دار سما للنضاهة والنشر والتوزيع
رقم الإزاع فى دار الفنون والرقم الصادر (٢٢٦) لسنة ٢٠١٤م
all.abbas@yahoo.com / 0770711170
All Rights Reserved for © Distribution and Publication
Iraq - Baghdad

الجزء الأول

محادثة الذهب

في بلاد شُفْشاوْن

أنتَ أيُّها المؤمنُ بالمَهْدِيِّ المُنتَظِرِ، أيُّها القابضُ على
الجَمْرِ والمُرَابِطُ في محرابِ الكلمةِ الحُرَّةِ الأبيَّةِ، لا يُساوِرُنِي شَكٌّ
في أَنَّكَ قد مرَّرتَ عليكَ لحظاتٌ سألكَ فيها المحجُّوبونَ عن
فراذيسِ النُّورِ والبيانِ وقالوا مشكِّكينَ فيما تُؤمِنُ به بيقينِ راسخٍ:
"مِنْ أَيْنَ لَكَ بهذا النَّبَاتِ حَتَّى تُؤمِنَ بشخصٍ لا يراهُ أحدٌ في
زمنٍ وعالمِ المادَّةِ والمحسوساتِ، وتنتَظِرُ منه الخلاصَ، وتُسَجِّلُ
بهذا الانتظارِ مِنَ النَّاسِ الغارقينَ في الوهمِ وثقافةِ التَّواكلِ، أليسَ
فيكَ ذرَّةٌ عَقْلٍ ورشادٍ كي تُكفِّ عَمَّا أنتَ فيه من خبلٍ وجنونٍ؟! "
ولا شكَّ أَنَّكَ قابلتَ أيضاً من استَهْزَأَ واستَخَفَّ بِكَ أَمَامَ المَلَأِ
وقالَ دونَ أن يرفَّ له جفنٌ: "كيفَ تَتَنظَّرُ يا هَذَا، مَنْ تدعو اللهَ
صباحَ مساءٍ وتسالُهُ أن يُعجِّلَ لَهُ الفرجَ؟! أيُّ منطقٍ في هذا
الأمرِ؟ بل كيفَ تَتَنظَّرُ الخلاصَ من شخصٍ هو في محنةٍ
وعذابٍ الغيابِ ويحتاجُ هُوَ نفسُهُ لمن يَفكُّ قيدَهُ وأسرَهُ؟! " طبعاً
ستحاولُ أن تُدافعَ عن فكرتِكَ وتردَّ عليه، وقد تفلحُ في ذلكَ وقد
تفشَلُ أيضاً فشلاً ذريعاً. أمَّا إذا كُنْتَ مِنَ المثقِّفينَ الدَّارسينَ
الواعينَ فستحاولُ أن تشرحَ لَهُ وجودَ فكرةِ المَهْدِيِّ المُخْلِصِ في
الأديانِ والحضاراتِ القديمةِ، وكيفَ أن كلَّ مَلَّةٍ كانتَ تنتَظِرُ

مُخْلِصَهَا مِنْ زَمَنِ بَعِيدٍ؛ فَقَدِمَاءُ الْهِنُودِ مِثْلًا كَانُوا يَرُونَ فِي كَرِيشِنَا مَخْلَصَهُمْ وَمَهْدِيَهُمَ الْكَبِيرَ، وَهَاهُمْ الْيَهُودُ كَانُوا يَرُونَ فِي مُوسَى (ع) مُنْقَذَهُمُ الْعَظِيمَ صَاحِبَ الْآيَاتِ الْبَاهِرَاتِ، بَلْ هَاهُمْ الْمَسِيحِيُّونَ كَانُوا وَمَا زَالُوا يَجِدُونَ فِي شَخْصِيَّةِ الْمَسِيحِ (ع) الْمُخْلِصَ الَّذِي قَدَّمَ نَفْسَهُ فِدَاءً لِلبَشَرِيَّةِ جَمْعَاءَ، وَلائِحَةُ الْمُخْلِصِينَ سَتَطُولُ وَتَطُولُ بِتَتَوَّعِ اعْتِقَادَاتِ وَدِيَانَاتِ الْإِنْسَانِ مِنْذُ آدَمَ (ع) إِلَى الْيَوْمِ. لَكِنِّي لَسْتُ هُنَا بِصَدَدِ الْحَدِيثِ عَنْ كُلِّ هَؤُلَاءِ الْمُتَفِذِينَ، وَإِنَّمَا أُرِيدُ أَنْ أَضَعَ يَدِي بِلِسْمًا عَلَى جُرْحِكَ النَّازِفِ، وَأَقْدَمَ لَكَ جَوَابًا غَيْرَ تَقْلِيدِيٍّ يَكُونُ دَرَسًا تُلَقِّنُهُ لِكُلِّ مَنْ يَسْخَرُ مِنْ مَهْدِيكَ وَيَرَاهُ أَسِيرًا يَنْتَظِرُ مَنْ يُحَرِّرَهُ لِيَسْتَطِيعَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يُخَلِّصَ الْآخِرِينَ مِنْ قِيودِهِمْ وَأَغْلَالِهِمْ!

لَنْ نَتَّبِعَ أَسْلُوبَ الْوَعظِ وَلَا الْإِرْشَادِ حَتَّى لَا يَنْفَرَنَا الْقِرَاءُ وَيَنْفِضُوا عَنْ مَجْلِسِنَا، وَإِنَّمَا سَنَدْخُلُ إِلَى غُرْفَةِ الْحَبِيبِ الْبَيْضِ جِدْرَانِهَا وَنَجْلِسُ مَعًا عَلَى بَسَاطَةِ الْأَخْضَرِ، وَنُشْعَلُ زَيْتَ الْقَنْدِيلِ الْفُضِيِّ ثُمَّ نَقُولُ بِسْمِ اللَّهِ، وَنَبْدَأُ أَنْتَ وَأَنَا فِي الْبُوحِ وَرَفَعِ السُّتْرِ إِلَى أَنْ يَظْهَرَ لِلْجَمِيعِ إِمَامُهُمُ الْمُنْتَظَرُ بِشَكْلِ لَمْ يَسْبِقُ لِأَحَدٍ أَنْ حَدَّثَهُمْ بِهِ أَوْ عَنْهُ. وَلَكِي نَصَلُ إِلَى هَذَا الْهَدَفِ الْمُنْتَوَدِ، مَا عَلَيْنَا سِوَى أَنْ نَفْعَلَ كَمَا فَعَلَ الطُّفْلُ رِيَّانَ الْمَغْرِبِيِّ، وَنَقْدَمَ مِثْلَهُ أَنْوَاتِنَا لِلنَّحْرِ، ثُمَّ نَقْفَزُ الْقَفْزَةَ الْكُبْرَى فِي الْبَيْتْرِ، لَنَرَى

هناك القارئ طفلاً كسيراً جريحاً وما كَفَكَفَ أحدٌ دموعه، ولا
ضمَدَ جراحه، ولا روى عطشه، ولا سدَّ رمقه، ولا مدَّ إليه يدَ
الغوثِ ليُخرجه ممّا هو فيه، أو من عتمة البئرِ التي لا ماءَ
فيها، ولا قنديل، ولا رفيقَ طريق.

هل تعرفُ لماذا هُمُ الأطفالُ وحدهُم من يُقدِّمون على
هذا النوعِ مِنَ المغامراتِ فيقفزون في البئرِ؟ هل تعلمُ لماذا فعلَ
ريّانُ المغربيُّ ما فعلَ؟! إنّه روحٌ عظيمٌ جدّاً، وقديمٌ جدّاً جدّاً،
وقد لبسَ جسدهُ الأرضيَّ، وانتظرَ إلى أن يصلَ خمسَ سنواتٍ
ليُقدِّمَ لك رسالتهُ النورانيّةَ العجيبةَ ثمَّ رحلَ. خمسُ سنواتٍ،
 وخمسةُ أيّامٍ في البئرِ، ورحيلٌ في اليومِ الخامسِ من شهرِ شباطِ
٢٠٢٢، مِنْ مدينةِ مغربيّةِ جبليّةِ اسمها شفشاون: كلّ هذا ليس
أبداً من قبيلِ المصادفاتِ ولا الخيالِ البوليفونيّ، تأمّل فقط معي
اسم شفشاون الأمازيغيّ، وستجدّه يعني (انظرُ إلى القِمَمِ الجبليّةِ
الشاهقة). وأمعنِ النَّظَرَ في الرِّقمِ (٠٥)، ألا يعني لك شيئاً أيُّها
المُقمِّطُ بالبهاء؟ أو ليسَ برمزٍ للتَّغييرِ، أو ليسَ بدالٌّ على العُمُرِ
الَّذي تتكوّنُ فيه شخصيّةُ الإنسانِ؟ وأيُّ إنسانٍ كانَ يقصدُ ريّانَ؟
إنّه أنتَ أيُّها القارئُ في كلِّ مكانٍ. أنتَ مهما اختلفتُ ديانَتُكَ
ولسانُكَ وعُمُرُكَ!

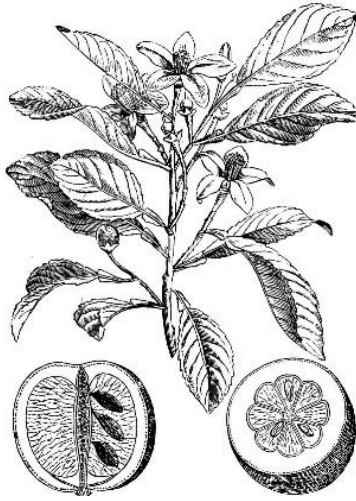
كلُّ العالمِ سقطَ في البئرِ حينما سقطَ ريّانُ، كلُّ العالمِ

كان هناك في ذلك المكان العجيب الذي يُسمّى بـ (انظر إلى القمم الجبلية الشاهقة)، ولكن هل كلُّ العالم أدرك رسالة هذا الطفل؟ لا، أولو النهى وأصحاب الأسرار فقط، أولئك الذين رأوا باباً من أبواب السماء وهي تُفتح في أول يوم من شهر شباط، وتُعلّق في العاشر منه، بل أولئك الذي رأوا محفوراً فوق الباب السماوية هذا الرّمز الرّؤيويّ الحبيب (٥٥٥). إنّه رقمُ أهل النّجاة، من يحفرون في الصّخر من أجل أن يخرجوا من بئرم الدّاخلية، أولئك الذين يسعون بكلّ ما يمكنون من قوّة من أجل التّمهيد لظهور مهديهم المُخلص. أولئك الذين رأوا أنّ الحياة لا تستقيم إلاّ بخمس: توحيد، وعدلّ ونبوّة، وإمامة ثمّ رجوع بالرّضا والاطمئنان إلى البارئ الحنّان المنان. وأولئك الذين رأوا في يد ريان وهي تطلب النّجاة يدَ فاطمة، ويدَ زينب (عليهما السلام). فتعال بنا أيّها القارئ لنعدّ إلى مقام الطّفولة الرّوحية، ونفكّ الرّموزَ والإشارات الإلهية الكبرى، وضع يدك في يدي، ثمّ اقفز في البئر وردّدْ معي:

"سيقفُ لك الماءُ إجلالاً وأنتَ في البئر يا بنيّ"

^١ قد يعترض بعض الإخوة من أهل اللّغة على تأنيثي لمصطلح (الباب)، وأقول إنّه يجوز الوجهان، أيّ التذكير والتأنيث، وأفضّل اعتماد الوجه الثّاني فيه، وهذه إشارة لأهل الأسرار؛ فكلّ باب لا تُفتح إلاّ بمفتاح هي أنثى، انظر في جسدك وستدرك لماذا أوْتثّ الباب.

وسْتُصْبِحُ العتمة صدرَ أمكَ الحنون
والحجارةُ وبيوتُ العناكبِ رقيقَ دربِكَ الطويل
فلا تخشَ الوحدةَ غداً ولا الحرَّ ولا الجوعَ ولا القَرَّ
لأنك كحبةِ الزَّرْعِ يا صغيري
لا تنمو إلا إذا رُمِسَتْ في التراب^١.



^١ د. أسماء غريب، مقام الخمسة عشرة سجدة، (ديوان شعري)، دار الفرات للثقافة والإعلام، العراق، ط ٢، ٢٠١٦، ص ٤٨.

النسر الأحمر

دُمُّ دُمُّ ... بُرْمُ بُرْمُ ... دَافُ دَافُ دُرْدَلَافُ، آيَ آيَ،
أَلَيْسَ لِهَذَا النُّزُولِ وَالهِبُوطِ نِهَايَةً؟ يَا أَهْلَ البَيْرِ أَيْنَكُمْ؟ يَا أَهْلَ
شَفْشَاوَنَ أَمَا مِنْ بَابٍ هُنَا لِنَطْرَقَهَا فَيَفْتَحَ أَحَدُكُمْ لَنَا؟ أَلَا تَسْمَعُونَ
أَصْوَاتَ السَّقُوطِ وَالارْتِطَامِ بِالْجِدْرَانِ؟! دُمُّ دُمُّ ... بُرْمُ بُرْمُ ...
دَافُ دَافُ دُرْدَلَافُ، آيَ آيَ. يَبْدُو أَلَّا مَجِيبَ هُنَا، وَهِيَ قَدْ
وَصَلَتْ إِلَى القَعْرِ أَخِيرًا، وَيَا لِدَهْشَتِي العَظِيمَةِ، إِنِّتِي أَرَى أَبَا
دَائِرِيَّةً مِنَ الذَّهَبِ الخَالِصِ وَقَدْ رُسِمَتْ فَوْقَهَا بِأَحْجَارِ الزَّمْرُودِ
الكَرِيمِ شَمْسٌ خَضِرَاءُ! مَاذَا عَلَيَّ أَنْ أَفْعَلَ أَيُّهَا القَارِئُ، هَلْ
أَفْتَحُهَا؟ إِنَّهَا عَصِيَّةٌ وَسَمِيكَةٌ جَدًّا جَدًّا، وَلَكِنِّي سَاحَاوُلُ بَكلِّ مَا
أَمْلِكُ مِنْ جُهْدٍ وَقُوَّةٍ، فَأَنَا هُنَا مِنْ أَجْلِكَ، وَفِي سَفَرِي هَذَا أَرِيدُ أَنْ
أَلْبَسَكَ وَتَلْبِسَنِي لِتَرَى مَعِيَ بَعِينِيَّ مَاذَا سَيَحْدُثُ وَنَحْنُ فِي رَحْلَةِ
البَحْثِ عَنِ مَهْدِيكَ المَنْظَرِ. شَشَشِ شَشِ شَشَشِشِ، هِيَ اصْمَتْ،
اصْمَتْ فَالْبَابُ قَدْ فُتِحَتْ. وَهِيَ أَنَا أَدْفَعُهَا لِأَجْدَنِي هَكَذَا وَبِدُونِ
مُقَدَّمَاتٍ وَسَطٍ غَابِيَةٍ مَهُولَةٍ مِنْ أَشْجَارِ العَرَعْرِ، أَلْتَفَّتْ حَوْلِي وَلَا
أَجِدُ أَحَدًا، أُنْقَدِمُ إِلَى الأَمَامِ وَأَمْشِي بِضَعَةِ كِيلُومِتْرَاتٍ، ثُمَّ أَقْفُ
أَمَامَ شَجَرَةٍ فَوْقَ جَذْعِهَا لِأَفْتَتَهُ كُتِبَ عَلَيْهَا بِاللُّغَةِ الإِيطَالِيَّةِ: جَزِيرَةُ
الشَّمْسِ. أَتَبَسَّمُ، وَلَا أَعْرِفُ كَيْفَ أَنْتِي مِنَ المَغْرِبِ دَخَلْتُ إِلَى

إيطاليا وبالتحديد إلى صقلية! فكّرتُ في مواصلة المشي من جديد لبضعة كيلومترات أخرى ولكنّ قواي بدأت تخور، وبلغ منّي الإعياء مبلغاً عظيماً، ولم أرَ أمامي سوى شجرة سِرْوٍ عجيبة غريبة، وحيدة في هذا المكان بين أشجار العرعر، كانت قصيرة وذات ظلّ وارفٍ، تمدّدتُ تحنّها واستسلمتُ لنومٍ عميق لم يوقظني منه سوى نسيم السّحرِ المُضَمَّخِ بعطر الغاب وأشجاره ونباتاته المختلفة ألوانها وأصنافها. كنتُ أعلمُ أنّ وقت قيام اللّيل قد حان، طنينُ أذنيّ أخبرني بذلك، وحينما وقفتُ وفي نيّتي البحث عن مكانٍ فيه ماء، إذا بي أرى أمامي نسرًا بريشٍ أحمر في غاية البهاء والجمال، ابتسمتُ له، وغاصتُ عينايَ في عينيّه فوقَ الاختطافِ، وقفزتُ ممتطيةً سهوتهً ثمّ حلّق بي إلى السّماواتِ العلا جذلي بما كنتُ أرى من الكواكبِ والأفلاكِ، وحينما وصلنا إلى المكان المقصود، نزلَ بي النّسرُ حيثُ لا شيء سوى حقولٍ لا يحدها بصرٌّ من أشجارِ البُرْتُقَالِ واللّيمون، وبينما أنا مأخوذة بسحر الأرض الجديدة إذا بالطائر الأحمر ريشهُ يقول لي بلغة أهل صقلية: "أهلاً بكِ في محارة الذهب، كنتِ تبحثين عن ماءٍ للوضوء، أليس كذلك؟ هناك على بضع خطواتٍ ستجدين شلالاً ماؤه من رحيق زهرِ النّارنج، إنّه لك، افعلي به ما تشائين". جذبني العطرُ، ودخلتُ تحت الشلالِ

لأغتسل من وعشاء السفر، ولا أعرفُ بعد ذلك كيف أغميَ عليّ،
فلربّما سكرتُ من خمرة النَّارنج، وحينما أفقتُ وجدتني أرددُ كلمة
واحدةً بصوتٍ عالٍ جداً: "ذَرَاكَرَا، ذَرَاكَرَا، ذَرَاكَرَا" وكنتُ أعني
بها وأنا أنطقُها باللَّهجة الصقلية: "زهرة، زهرة، زهرة". عندئذٍ
تذكرتُ عطر نساء صقلية الذي أصبح عطري المفضّل،
وتذكرتُ كيفَ أَنهَنَّ يُخَلِّدَنَ بهِ ذكرى الشجرة التي أتى بها العرب
الفاطميونَ حينما حكموا الجزيرة في الماضي لمئة سنة أو ما
يزيد. وتذكرتُ كيفَ أَنَّ جزيرة الشمس هي أرضُ إزهار، وكيفَ
أَنَّ كلَّ روحٍ كونيّةٍ عظيمةٍ مسؤولةٍ عن فعلِ الإزهار هذا لا بدَّ
أن تحمل اسمَه، ولا بدَّ أن تكونَ أنثويّة الحضور كما كانته ولم
تزل سيّدة العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام.

بقيتُ مع نسري في محارة الذهب لأربعين يوماً بالتّمام والكمال،
أكلُ البيض النَّيءَ الذي كانَ يَسْتَجْلِبُه لي من جولاته السماوية،
وَبُرْتَقَالَ الحقول الفسيحة الذي كنتُ أذهبُ لاقتطافه بنفسي،
وأغتسلُ عند كلِّ فجرٍ في شلالِ زهر النَّارنج، وفي اليوم الأخير
من إقامتي تلكَ وقعَ ما لم يكن في الحسبان، فحينما كنتُ تحتَ
مياهِ الشلالِ أغميَ عليّ من جديد من شدّة السكر بالعِطر، وعند
الاستيقاظِ وجدتُ نفسي أسيرة في بلاطٍ ملكيٍّ عجيبٍ وقد أحاطَ
بي الخدمُ والحشم، ومن حولي الوصيفاتُ وهنَّ منمكاتٌ في

تزييني كما يُفَعَلُ بالعدراواتِ ليلةَ زفافهنَّ؛ فهذه تُلبّسني من
الثياب أفخمها، وتلك تضع فوق رأسي تاجاً من الياقوت
والزّبرجد، وأخرى تتفنّنُ في تزيين جسدي بمختلف الحليّ
والأحجار الكريمة والنّقوش والأوشام العجيبة، وأنا بينهنّ منعقدة
اللّسان، أنتظرُ هذا العريس الملكيّ الذي اختطفوني من أجله،
وأحضروني إلى بلاطه حزينة كسيرة لا أعرفُ ما الذي سيحلُّ
بي ولا كيف سيكون مصيري معه!



آسية الجديدة

لم يحضر العريسُ الملكُ شخصياً، وإنما أرسلَ وكيلتهُ
الرّسميّة؛ رأيتها بلباسِ وزينةِ الفراعنة القدماء فارتبكتُ: لم أَعُدْ
أعرفُ أينني؟ هل أنا في المغرب، أم في المشرق، أم في
أوروبا؟ أم في كلِّ مكان؟ ولماذا أرضُ مصر؟ وماذا لو كان كلُّ
العالمِ مصرًا؟! تذكرتُ كتاباتي، تذكرتُ أشعاري ورواياتي،
تذكرتُ كيفَ أتني كتبتُ كثيراً عن أرضِ مصر؟ وتذكرتُ كيفَ
أتني كنتُ أرمزُ إليها بأرضِ الأسرار والكنوز اللّديّة، ولكنني ما
كنتُ أظنُّ يوماً أتني سأصبحُ فيها سيّدةً تُساقُ جاريةً لملكٍ ما إن
وقفتُ أمامي وكيلتهُ حتّى قلتُ لها: "اسمعي يا هذه، أخبري
سيدك بأنني لن أكونَ آسيةَ أخرى، ولن أقولَ مثلما قالتُ بنتُ
مزاحم؛ (رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ)، تلكَ كانتُ عبادةُ
الطّامعين، وأنا لستُ براغبةٍ في الفراديس، وإنما عيني على
صاحبها وخالفها ملكُ الملوكِ أجمعين، فلا تتعبي نفسكِ معي
فإتني لن أكونَ لسيدك ما دام في نَفْسٍ، أرجو أن تفهمي هذا
جيداً". ابتسمتِ المرأةُ وقالتُ: "تغيّرتُ طريقتهُ في العشقِ يا
فتاة، ولم يعدُ يرغبُ بآسية قديمة تقبلُ به عريساً دونَ أن تُحاولَ
فهمَ من يكونُ حقاً وحقيقَةً وما الذي يريدهُ منها. وإذا كُنْتِ

تعتقدين أنه استقدمكِ إلى بلاطه أسيرةً أو أنه يريدكِ له جسداً بدون روح فأنتِ واهمة. افعلي ما تشائين، وتأكدي بأنه لن يلمسكِ أبداً ما دُمتِ لا ترغبين بذلك، ولكن اعلمي أنه حكم عليكِ بالبقاء في قصره لأربعين يوماً لا غير، وهذا أمر ملكي علوي عليكِ أن تنفذي، وغيره لن يطلب منك شيئاً آخر، فلنطمئني ولنقرّي عيناً، فلكِ منه كل الأمن والأمان والسلم والسلام، كانت هذه رسالته لكِ يا سيدي ومولاتي".

قالت كلمتها تلك وخرجت، وبقيتُ أنا في غرفتي أبكي بدل الدمع دماً، وجرتُ في أمري، وقد تيقن لي أنني على أبواب تجربة جديدة وخطيرة جداً جداً، وفهمتُ أنني حينما سقطتُ في البئر، لم أذهب لا إلى شفاون ولا إلى صقلية، وإنما سقطتُ في أرض بدني المرموز لها بلغة العرفاء بأرض مصر، وأنه إذا كنتُ الآن أسيرة في هذا البلاط الملكي، فلاكتشف من أكون، ومن تكون أنت أيضاً أيها القارئ، بل من نكون نحن جميعاً في هذا الكون؟ وصدقني يا صاحبي، لن أفعل كما فعل أهل الأسرار القدماء من الأطباء والجراحين حينما قصروا جهودهم على فهم الجانب التشريحي فقط من الهيكل الإلهي، ولكنني الآن ملزمة بقراءة جديدة لهذا الهيكل وليس أمامي سوى أربعين يوماً، علي أن أستعمل فيها لغة يوسف (ع) لا مشرط الجراحين

فقط، لأعرفَ من أينَ ظهرَ الفرعونُ في مملكتي ومن يكون وما
الذي يريدُه مِنِّي حقاً؟!!

لكن من أين تراني سأبدأ في هذا القصرِ؟ أمِن حوره
العينِ وغلَمانه وخدامه ووصيفاته، ووزرائه وسُفرائه ورُسله، أم
من جدرانِه وزليجه وفُسيفسائه وأثاثه الباذخ، أم مِن حدائقه
الواسعة والممتلئة بالطيور السّاحرة الغريبة؟! إنني لحقاً حائرة،
تخيّل نفسك مكاني، ما الذي كنت ستفعله؟ ولكن لماذا أذهبُ
بعيداً، لماذا أشغلُ نفسي بأسئلة الحيرة والتّيه؟ إنني حفيذة عارفِ
نساجٍ، كان يملكُ مشغلاً صغيراً يحيكُ فيه الأغطية الصّوفية
وينسجُ الزّرابيّ البديعة الرّخارف والنّفوش، وكان في الوقت ذاته
سيّداً من المقاومين المغاربة الأحرار. لأجل هذا سأهتدي بحرفة
جدّي، وسأختارُ من القصر زرابيّه المنسوجة، ولأنّها كثيرة،
سأنتقي منها واحدةً فقط، ولتكن هذه، إنّها الأكبرُ والأبهى
والأكثرُ عظمة وجاهاً وسُلطاناً، وكيف لا تكون كذلك وهي
سجّاد الفرعون الشّخصيّ وقد علّقهُ في غرفةٍ مكتبه المهيب!



السَّجَادُ السَّحْرِيُّ الْعَجِيبُ

يا إلهي، ماذا أرى، أهذا سَجَادُ الفرعون؟ أم سَجَادُ جَدِّي، أم بساطُ سُلَيْمان؟ يا لعظمته، كلُّ شيءٍ فيه يتحرَّكُ. إنَّه سَجَادٌ حيٌّ، لونه أزرق ملكيٌّ داكن، وقد نُحِتَتْ وَعُقِدَتْ فوقه كلُّ الزَّخارف والنَّقوش بخيوطٍ متينة من الفضة الخالصة. أقتربُ منه، أضغُ أصابعي فوقه، وأفعلُ كما يفعلُ الأعمى حينما يقرأ الحروفَ بطريقة بُرَّائِل. ويا لعجيب ما أشاهد؛ كلُّ رمزٍ يهتُرُّ وينطقُ تحت أصابعي، وثمَّة في مركز هذا السَّجَاد الضَّخَم عَيْنٌ كبيرةٌ سوداء، ما إن نظرتُ إليها حتَّى تحرَّكت هي الأخرى ولكن بشكل دائريٍّ، ثمَّ انفتحت على مصراعَيْها بطريقة روبوتية وجذبتني إلى الدَّاخل، هناك حيثُ التقيتُ بكلَّ الرَّموز والزَّخارف والأشكال وهي تلبسُ أجساداً بشريَّة بَرَّاقة وتعرِّفني بنفسها الواحدة تلو الأخرى. كانوا كلُّهم ملوكاً وملكاتٍ بعيونٍ واسعة كحيلَةٍ صقيلة، رُزِقُوا علم الحرفِ والقلم، وكان فيهم مُلوك القلم المغربيِّ، والقلم الهنديِّ واليونانيِّ والفرعونيِّ طبعاً، فهو الأصل. وكان فيهم أيضاً ملوك أقلام الأفلاكِ والكواكب جميعها. وكم كنتُ سعيدة بهذا اللقاء المهيِّب لأتني اكتشفتُ أخيراً أن أساس كلِّ الأقلام هو النقطة، تلك التي تحت الباء. لأجل هذا طلبتُ

لقاءها شخصياً لأسألها من أكون؟ وتحقق لي ما أردتُ فعلاً
حينما دخلتُ إلى غرفة كبيرة بدت كأنها مختبرٌ علميٌّ، ورأيتُ
فيها جدِّي جالساً فوق بساطٍ أحمر، وبين يديه مِغزل يغزل به
خيطاً أخضرَ من الصّوف. فارتيمتُ بين أحضانه وأنا أبكي
ثمانٍ وأربعين سنة من الفراق عنه، فقد غادر الدنيا وتركني ولم
أكُ بعدُ قد أكملتُ عاميَ الأوّل.

كفكفَ جدِّي دموعي، وقال لي: اعلمي يا ابنتي أنّ النّساج
كاتبٌ يرقمُ بخيوطه الفضيّة فوق اللّوح المحفوظ، وأنّك أنتِ هذا
اللّوح، لأجل هذا جنّتِ مثلي، دَرَاةٌ نَسَاجَةٌ، تَخِيطُ وتحيكُ
الحروف والكلمات، فكنتِ نجيةً إدريسَ وصاحبة جلاء. واعلمي
يا قرّة عيني أنّ كلّ إنسان هو نَسَاجٌ دَرَارٌ، لأنّه بذلك يعكسُ
صورة الكاتب أو الحائك الذي بداخله، وهو بصمة الله في كلّ
قلب. والحائك الذي أحدثك عنه إمام شريف كريم يُنقذُ الأوامرَ
كلّها، وهو يُغني ويُفقرُ ويَجْبِرُ ويكسِرُ، وبه تجلّتِ لكِ نفسُكِ
الموصوفة بالمطمئنّة الرّاضية المرضية، والتي لم ترتبك أبداً
حتّى في تلك اللّحظات التي ظهر لها فيها الفرعونُ وأرادها خليلة
له يُحوّلها من الرّاضية المرضيّة إلى اللّوامة ثمّ الأمّارة. وإذا كنتِ
يا ابنتي تريدين أن تعرفي أكثر عمّن يكونُ هذا الإمامُ الرّوحيّ
الداخليّ حقّاً وقد أكملتِ في إقامتكِ معي هنا الأربعين يوماً،

فاعلمي أَنَّهُ النَّسَاجُ الَّذِي لَا يَكْتَبُ وَلَا يَرْقُمُ إِلَّا مِنَ الْخَزَانَةِ
الْمَحْمَدِيَّةِ، وَالَّتِي فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ. فَهُوَ خَائِفَتُكَ
وَسَمِيرُكَ، وَحَافِظُ أَسْرَارِكِ الْمَلَكُوتِيَّةِ وَلَهُ أَخْتَامٌ وَتَوَاقِيْعٌ وَعَهُودٌ
رَبَّانِيَّةٌ وَمَلَكِيَّةٌ عَدَّةٌ. فَتَفَكَّرِي وَتَدَبَّرِي يَا مَهْجَةَ الرُّوحِ كَيْفَ أُوْدِعَ
اللَّهِ كُلَّ هَذِهِ الْأَسْرَارِ فِي هَذَا اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ الَّذِي هُوَ الْإِنْسَانُ،
وَانظُرِي إِلَى كُلِّ مَا تَفَرَّقَ فِي الْكُونِ الْكَبِيرِ مِنْ حَوْلِكَ، وَسَتَجِدِينَهُ
قَدْ تَحَقَّقَ فِيكَ وَأَنْتِ الْكُونُ الصَّغِيرُ! أَمَّا إِذَا كُنْتِ مَازَلْتِ فِي حَيْرَةٍ
مِنْ أَمْرِكَ فَعَلِيكَ بِالشَّيْخِ حَيِّ ابْنِ يَقْظَانَ، فَعِنْدَهُ مِنَ الْأَسْرَارِ
الْبَاهِرَاتِ مَا قَدْ يَشْفِي غَالِيكَ، وَأَقُولُ ابْنِ يَقْظَانَ، لِأَنَّكَ تَشْبَهِيهِ
كَثِيرًا، مَا وَصَلْتِ إِلَى مَا أَنْتِ فِيهِ إِلَّا بِالتَّدَبُّرِ وَالتَّفَكُّرِ فِي غَابَةِ
الْوَجُودِ بَيْنَ أَشْجَارِ الْعَرَعْرِ وَالبِرْتِقَالِ وَالسَّرْوِ الرَّنَّانِ، نَائِيَةً بِنَفْسِكَ
عَنْ كُلِّ مَا هُوَ مُسَيِّسٌ وَمُمَدَّهَبٌ. وَالبَسِي قَبْلَ الْخُرُوجِ يَا ابْنَتِي
هَذَا الْبِرْنُوسَ الصَّوْفِيَّ الْأَخْضَرَ، فَقَدْ نَسَجْتُهُ لَكَ مِنْذُ سَنِينَ عَدَّةٍ
لِأَنَّيَ كُنْتُ أَعْرِفُ أَنَّكَ سَتَأْتِينَ ذَاتَ يَوْمٍ لِلْقَائِي، وَأَنْتِ الَّتِي لَمْ
تَغْيَبِي عَنْ نَاطِرِي وَلَوْ لِلْحِظَّةِ وَاحِدَةٍ، أَرَعَاكِ بَعَيْنِي وَقَلْبِي،
وَأَسْقِي فِكْرَكَ بِمَحَبَّتِي وَحَنَانِي. هَيَّا الْبَسِيهِ يَا صَغِيرَتِي حَتَّى
يَتَسَنَّى لَكَ الْخُرُوجُ مِنْ هُنَا دُونَ أَنْ يَنْتَبِهَ لَكَ الْفَرَعُونَ.



في حضرة الشيخ حيّ ابن يقطان

حينما لبستُ برنوسَ جدّي وخرجتُ من بلاطِ الفرعون،
وجدتُ النَّسْرَ الملكيَّ الأحمر في انتظاري، امتطيتُ من جديد
ظهره وطار بي مباشرة إلى جزيرة الواواق التي يولد فيها
الإنسانُ بدون أمٍّ ولا أبٍ، هناكَ حيثُ وجدتُ الشيخَ ابن يقطان
في انتظاري. لم يكنْ كما قد يُخيَّلُ لك يا عزيزي القارئ رجلاً
هرماً بلباس خشن، وإنّما كان شاباً يافعاً ذا وسامة وأناقة، بذقن
حليقةً وبنطالٍ أبيض، وقميصٍ من الكتان السّماويّ اللّون، وكيف
لا يكونُ كذلكَ وقد رضع من لبن الطّيبية وشرب من ماء شجرة
الحياة!

ألقيتُ عليه السّلام، وأخذني إلى بيته الحجريّ المنحوت في
الجبَل من صخور وردية اللّون، جلستُ فوق حصيرٍ برتقاليّ
اللّون، وقدّم لي عصيراً منعشاً من ماء جوز الهند، شربته كاملاً،
وحينما طلبتُ المزيد، ضحكَ ابن يقطان وقال: "بالضّبط كما
وصفك لي جدك. بكِ عطش شديد للمعرفة، لذا فلن ينفعك ماءُ
الجوز وإنّما حليبه، خذي هذه الجرّة واشربي منها ما تشائين".

شربتُ الحليب، وداهمني نعاس شديد فطلبتُ الخلود إلى النّوم
حتّى فجر اليوم الآخر، وكان لي ما أردتُ. وحينما أفتتُ

وتناولتُ وجبة إفطاري من لبن ظبيات الجزيرة، خرجتُ للبحث عن ابن يقظان في الغابة، وهناكَ وجدتهُ تحت شجرة سرو كبيرة، فجلستُ إلى جانبه وقلتُ:

- "هيا يا حيّ، حدّثني عن هذه الجزيرة التي يولد فيها الإنسان بدون أمّ ولا أب، وكيفَ يُمكنُ ذلك؟".

- اعلمي يا حفيذة الدرّاز^١ أنّ الخليفة هو الرّوح، وهو من عالم الأمر لا الخلق، استوى على العرش وأحاط بعالم الإنسان، وهو حامل للأمانة العظمى، وهو الإمام المبين الذي فيه أحصى الخالقُ كلَّ شيء. ألا ترين أنّ الأجسام بيوت مظلمة إذا غشيها الرّوح أضاءت وأشرقت؟ وإلا فما معنى قوله تعالى: "وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ"^٢؟! ألا تجددين في الأمرِ تحقّقٌ للعدالة عبر هذا الإمام الذي هو شمس الحقّ والحقيقة وعين الله النّاطرة في كلّ أمور الكون والدنيا والدين، وبه يُعرضُ كتاب الأعمال وتفتَحُ صحيفة النّفس وقد نَقَشَ ونسجَ وكتبَ وحاكَ فيها كلّ الأعمال المُنطَبعة في صور الجسد؟!!

- كأنّي بك تُريدُ أن تقولَ لي، إنّ جزيرة الواقواق هذه ماهي سوى

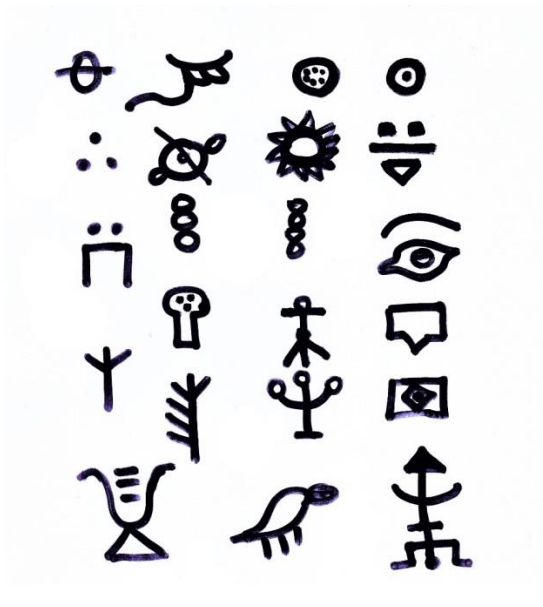
^١ الدرّاز بلسان أهل المغرب هو حائكُ الزّرابيّ والأغطية والملابس الصّوفية.

^٢ سورة الزّمر: الآية ٦٩.

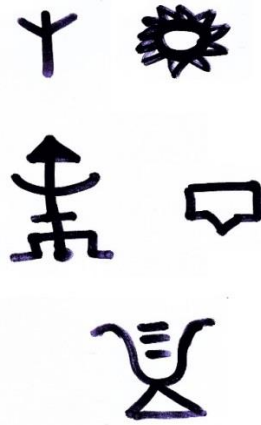
رمزٍ لأرضِ البدن، وأنتَ أنتَ وأنا فيها الآن صورة للشمس والقمر، أليسَ كذلك؟

- أجل، ولكن قبل المضي قدماً في الكلام أريدُك أن ترسمي لي هنا بهذا الغصن من شجرة السرو ما تتذكّرينه من رموز رأيتها مرسومة فوق السجّاد الملكي.

- لم تكن مرسومةً فقط يا صاحبي ابن يقظان وأخي في الحرف والإنسانية، إنّما كانت حية تتحرّك وتتجسّد في صور بشريّة، وقد التقيتهم جميعاً، وفوق رأس كلّ واحدٍ منهم تاج نُقشَ فيه بحجرٍ كريم الرّمز أو الحرف الذي يمثّله، وإليك بعضاً من هذه الرّموز كما يلي:



- رائع جداً، بالضبط كما توقعتُ، إنها ألسنٌ ولغات وحروف، وقد عرفتُ بعضاً من أصحابها فهذا إدريس (ع)، وذاك إسماعيل (ع)، وهناك أيضاً أرسطو وأفلاطون، وهناك لغات أقوام أخرى من نبطيين وفراعنة وغيرهم كثيرين. لكن الذي أثار إعجابي حقاً فيما تحكيه هو أن السّجاد حيٌّ بقدره ملك حيّ قيوم وقد ظهر عبر الرّموز التالية التي هي حرف ألفٍ قيوميّ ظاهر قاهر قويّ متين:



- وهل هذا يعني أنني أخيراً أمام حضرة الإمام المخلص الذي به ظهر لي الألف؟

- ليس من السهل أن أقول لك نعم أو لا، ولكن عليك أن تعرفي، أولاً وقبل كل شيء كيف يظهر الإمام المخلص؟ وأعتقد أنه لا بد لنا أن نبدأ من هنا، من جزيرة الواقواق.

- طبعاً يا عزيزي، لا يُمكنك أن تقول غير هذا، فأنت تعلمُ لماذا اختارها ابن طفيل، أليس هو من قال إنها الأرض التي يولدُ فيها الإنسانُ بدون أبٍ ولا أم؟!
- ومن غيركٍ يستطيع أن يقول هذا، أليس ابن طفيل مغريباً مثلكِ؟ وإني لأظنُّ أنكِ تعرفين جيِّداً ماذا كان يقصدُ بالإنسان الذي يولد بدون أبٍ وأم؟
- نعم، يا حيّ، ابن طفيل نفسه شرح ذلكَ وقال إن بطناً من أرض تلك الجزيرة تخمّرت فيه طينة على مرّ السنين والأعوام، حتّى امتزج فيها الحار بالبارد، والرّطب باليابس، امتزاج تكافؤ وتعاذل في القوى. وكانت هذه الطينة المتخمّرة كبيرة جداً وكان بعضها يفضل بعضها في اعتدال المزاج والتهيوُّ لتكوّن الأمشاج. وكان الوسط منها أعدل ما فيها وأتمه مشابهة بمزاج الإنسان: فتمخّضت تلك الطينة، وحدث فيها شبه نفاخات الغليان لشدة لزوجتها: وحدث في الوسط منها لزوجة ونفاخة صغيرة جداً، منقسمة بقسمين، بينها حجاب رقيق، ممثلةً بجسم لطيف هوائي في غاية من الاعتدال اللائق به، فتعلّق به عند ذلك الرّوح الذي هو من أمر الله تعالى وتشبّث به تشبّثاً يعسر انفصاله عنه عند الحسّ وعند العقل؛ إذ قد تبين أن هذا الروح دائم الفيضان من عند الله عز وجل، وأنه بمنزلة نور الشمس الذي هو دائم

الفيضان على العالم.

فلما تعلق هذا الروح بتلك القرارة، خضعت له جميع القوى وسجدت له وسخرت بأمر الله تعالى في كمالها، فتكون بإزاء تلك القرارة نفاخة أخرى منقسمة إلى ثلاث قرارت بينهما حجب لطيفة، ومسالك نافذة، وامتألت بمثل ذلك الهوائي الذي امتألت منه القرارة الأولى؛ إلا أنه ألطف منه. وفي هذه البطون الثلاثة المنقسمة من واحد، طائفة من تلك القوى التي خضعت له وتوكلت بحراستها والقيام عليها، وإنهاء ما يطرأ فيها من دقيق الأشياء وجلبيلها إلى الروح الأول المتعلق بالقرارة الأولى. وتكون بإزاء هذه القرارة من الجهة المقابلة للقرارة الثانية، نفاخة ثالثة مملوءة جسماً هوائياً، إلا أنه أغلظ من الأولين وسكن في هذه القرارة فريق من تلك القوى الخاضعة، وتوكلت بحفظها والقيام عليها؛ فكانت هذه القرارة الأولى والثانية والثالثة، أول ما تخلق من تلك الطينة المتخمرة على الترتيب الذي سبق ذكره. واحتاج بعضها إلى بعض: فالأولى منها حاجتها إلى الآخرين، حاجة استخدام وتسخير. والآخران حاجتهما إلى الأولى حاجة المروؤس إلى الرئيس، والمدبر إلى المدبر؛ وكلاهما لما يتخلق بعدهما من الأعضاء رئيس لا مروؤس. وأحدهما، وهو الثاني، أتم رئاسة من الثالث فالأول منهما لما تعلق به الروح،

واشتعلت حرارته تشكل بشكل النار وتشكل أيضاً الجسم الغليظ المحقق به على شكله، وتكون لحمياً صلباً، وصار عليه غلاف صفيق يحفظه وسمي العضو كله قلباً واحتاج لما يتبع الحرارة من التحليل وإفناء الرطوبات إلى شيء يمده ويغذيه، وبخلف ما تحلل منه على الدوام، وإلا لم يطل بقاءه، واحتاج أيضاً إلى تحسس بما يلائمه فيجذبه، وبما يخالفه فيدفعه. فتكفل له العضو الواحد بما فيه من القوى التي أصلها منه بحاجته الواحدة، وتكفل له العضو الآخر بالآخر بحاجته الأخرى. وكان المتكفل بالحس هو الدماغ والمتكفل بالغذاء هو الكبد؛ واحتاج كل واحد من هذين إليه في أن يمدّها بحرارته، وبالقوى المخصوصة بهما التي أصلها منه، فانتسجت بينهما لذلك كله مسالك وطرق: بعضها أوسع من بعض بحسب ما تدعو إليه الضرورة، فكانت الشرايين والعروق. إلى أن كمل خلقه، وتمت أعضاؤه، وحصل في حد خروج الجنين من البطن، ثم استغاث ذلك الطفل عند فناء مادة غذائه واشتداد جوعه، قلبته ظبية فقدت طلاها. وكانت معه لا تبعد عنه إلا لضرورة الرعي. وألف الطفل تلك الظبية حتى كان بحيث إذا هي أبطأت عنه اشتد بكاؤه فطارت إليه.

ولم يكن بتلك الجزيرة شيء من السباع العادية، فترى الطفل ونما واغتذى بلبن تلك الظبية إلى أن تم له حولان، وتدرج في

المشي وأثغر فكان يتبع تلك الطيبة، وكانت هي ترفق به وترحمه وتحمله إلى مواضع فيها شجر مثمر فكانت تطعمه ما تساقط من ثمراتها الحلوة النضيجة؛ وما كان منها صلب القشر كسرتة له بطواحنها؛ ومتى عاد إلى اللبن أروتته، ومتى ظمئ إلى الماء أروتته، ومتى ضحا ظلّلتها؛ ومتى خصر أذفأته. وإذا جنّ الليل صرفته إلى مكانه الأول وجلّلته بنفسها وبريش كان هناك؛ مما ملئ به التابوت أولاً في وقت وضع الطفل فيه... فما زال الطفل مع الأطباء على تلك الحال: يحكي نغمتها بصوته حتى لا يكاد يفرق بينهما؛ وكذلك كان يحكي جميع ما يسمعه من أصوات الطير وأنواع سائر الحيوان محاكاة شديدة لقوة انفعاله لما يريد ما كانت محاكاته لأصوات الأطباء في الاستصراخ والاستئلاف والاستدعاء والاستدفاع. إذ للحيوانات في هذه الأحوال المختلفة أصوات مختلفة فألفته الوحوش وألفها؛ ولم تنكره ولا أنكرها.

- كأني بك يا حفيدة الدّراز تتحدّثين عن قصّة الخلق الأوّل، قصّة خلقك وخلق النّاس أجمعين، وليس عن خلقي أنا وحدي فقط؟
- وما أنت يا حيّ، إذا لم تكن أنا وهذا القارئ الذي يقرأ أحاديثنا بكلّ ما فيه من شغف ومحبة، ومعه كلّ الأحبة من أهل الأسرار في الأرض والكون قاطبةً.

- هيا يا رفيقة الحرف والطريق ارفعي السّتر عن الحروف والكلمات، وقولي من أكونُ ومن تكونُ هذه الجزيرة التي تخمّرتُ فيها تلك الطّينة العظيمة؟

- اعلم يا أيّدك الله بنوره ومحبتّه، أنّ جزيرة الواقواق هي البيضة الكونيّة التي اختارها الخالقُ مختبراً لأعماله التّخليقيّة الكبيرة، وهي بيضة عذراء لم تكن قد خُصّبت من قبلُ وتُمثّلُ بأكملها المبدأ الأنثوي. وبعد أن يتمّ تلقيحُها من قبل المبدأ الذّكري المرموز له في كلام ابن طفيل بالغليان والفقاعات والنفاخات كتجسيد للقوّة الروحية، تنفجّر في مركزها البذرُ الإلهيّة التي تتبرعم منها لؤلؤة تتخذُ المركز مقاماً لها، وهي المشار إليها بالابن المقدّس، أي الإمام المخلّص، وهو ليس بذكر ولا بأنثى بل يحمل صفاتها معاً.

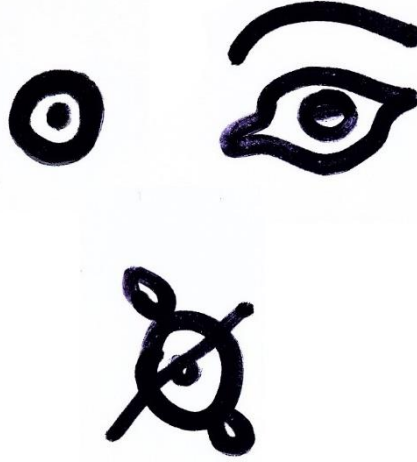
- لقد ذكّرتني بما قرأتهُ لك في إصدارك الجديد (في الحانة مع هيثم المحمود)^١، الرّجل الذي يعيشُ تجربة عرفانيّة عميقة مع إمامه المخلّص. أليس هو الأديبُ الذي ظهرت في أشعاره صفتي الذّكورة والأنوثة التي أشرت إليها قبل لحظات؟

- نعم، أذكرُ أنّي قلتُ آنذاك في محاولة لشرح رموز هيثم المحمود إنّ من يلقي نظرة سريعة على هذه الصّفات سوف

^١ د. أسماء غريب، (في الحانة مع هيثم المحمود / قراءات عرفانيّة في ديوانه (سرادقُ العشق))، دار الفرات للثقافة والإعلام، العراق، ٢٠٢٢.

يلاحظ أنّها تخصّ كينونة عشقيّة تجمع بين صفتيّ الذكورة والأنوثة: أقول الذكورة لأنّ الشاعر يستخدم صيغة التذكير في الخطاب والإشارة إلى هذا الحبيب المعشوق، أمّا الأنوثة فأعني بها ما تتسم به عادة الأنثى من الصّفات الجماليّة، كالعين التي تغمز، والوجنة المتوهّجة والوجه الورديّ اللّون، والشّفة المنعشة الحمراء، والشّعر الأسود الفاحم المسترسل على الكتفين. وهي كلّها صفات تخلق نوعاً من البلبلة لدى القارئ، لأنّه لا شكّ سيلقي المزيد من الأسئلة عن الهويّة الجندريّة لهذا المعشوق، أدكّر هو أم أنثى أم هما معاً؟!

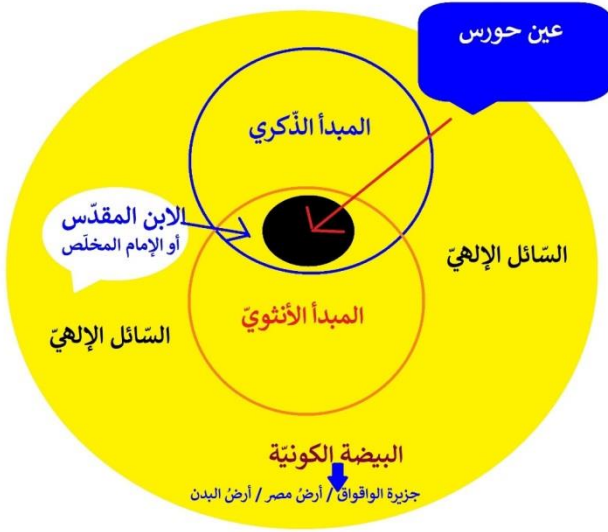
- أدكّر أنّ الحبيب المعشوق ظهر في ديوان الأديب هيثم بغمّازة في الدّقن، ثمّ برقبة مديدة فارعة وحاجب مقوسّ.
- نعم يا ابن يقظان، وأنت تعلم جيّداً أنّ الدّقن باء، والغمازة نقطة، والرقبة المديدة ألف، والحاجب طريق. وهذا يعني أنّ هيثم لم يكن يتحدّث عن كائن عشقيّ بالمعنى الظّاهريّ أو المادّي للكلمة، وإنّما عن مفهوم أجلّ وأرقى من ذلك بكثير.
- أتريدين القول بأنّه كان يتحدّث عن عين حورس؟ أوليست هي العين ذاتها التي رأيته في الرّموز التي رسمت لي من سجّادة البلاط الملكيّ؟ أوليست هذه التي يسمّيها هيثم المحمود بالعين الشّهلاء، والنّرجسة المخمورة؟



- وهذا أيضا ما يُفسَّرُ كلمات ابن طفيل حول من ذهب إلى القول بأنَّكَ وُلِدْتَ أيضاً بطريقةٍ أخرى، وأقصدُ بهذا ولادتكَ في تلكَ الجزيرة الأولى التي كان يملكها رجل شديد الأنفة والغيرة، وكانت له أخت ذات جمال وحسن باهر فعصلها ومنعها الزواج إذا لم يجد لها كفواً. وكان له قريب يسمى يقظان فتزوجها سراً على وجه جائز في مذهبهم المشهور في زمنهم. ثم إنها حملت منه ووضعت طفلاً. فلما خافت أن يفتضح أمرها وينكشف سرها، وضعت في تابوت أحكمت إغلاقه بعد أن أروتها من الرضاع؛ وخرجت به في أول الليل في جملة من خَدَمها وثقاتها إلى ساحل البحر، وقلبها يحترق صباباً به، وخوفاً عليه، ثم إنها ودَّعته وقالت: "اللَّهُمَّ إنك خلقت هذا الطفل ولم يكن شيئاً

مذكوراً، ورزقته في ظلمات الأحشاء، وتكفّلت به حتى تمّ واستوى. وأنا قد سلّمته إلى لطفك، ورجوت له فضلك، خوفاً من هذا الملك الغشوم الجبار العنيد. فكن له، ولا تسلمه، يا أرحم الراحمين" ثم قذفت به في اليمّ. فصادف ذلك جري الماء بقوة المدّ، فاحتمله من ليلته إلى ساحل الجزيرة الأخرى التي نحن فيها الآن يا حيّ. وكان المدُّ يصل في ذلك الوقت إلى موضع لا يصل إليه بعد علم. فأدخلك الماء بقوّته إلى أجمة ملتقّة الشّجر عذبة التّربة، مستورة عن الرياح والمطر، محجوبة عن الشمس تزاور عنها إذا طلعت، وتميل إذا غربت. ثم أخذ الماء في الجزر، وبقي التابوت في ذلك الموضع، وعلت الرمال بهبوب الرياح، وتراكت بعد ذلك حتى سدّت مدخل الماء إلى تلك الأجمة. فكان المدُّ لا ينتهي إليها، وكانت مسامير التابوت قد فلفت، وألواحه قد اضطربت عند رمي الماء في تلك الأجمة. فلما اشتدّ جوعك بكيت وصرخت، فوقع صوتك في أذن ظبية فقدت طلاها. أتتذكّر يا حيّ كلّ هذا؟ أتتذكّر حينما تتبعت الظبيّة صوتك وهي تتخيله طلاها حتى وصلت إلى التابوت، ففحصت عنه بأظلافها وأنت تنوء وتئن بداخله، حتى طار عن التابوت لوح من أعلاه. فحنّت الظبية وحنّت عليك ورئفت بك، وألقتك حلمتها وأروتك لبناً سائغاً؟!

- كلّ قصص أهل المعرفة المتعالية والتّجاوزية تتشابه، فهذه أمّ موسى قد رمت صغيرها في النّهر لتتقّده من بطش الفرعون، وهذه مريم تفرّ برضيعها المسيح لتحميه من شرّ قومها، والقصص تتعدّد والمعاني العرفانيّة واحدة لمن يجيد قراءة الأسرار يا حفيده الشّيخ الدّراز.
- إذن فجزيرة الواقواق، هي أيضا أرض مصر، وهي أرض هذا البدن، بدني وبدنك وبدن كلّ إنسان.
- نعم، وقديماً فعلت إيزيس ما فعلت كلّ الأمّهات المقدّسات. ألا تتذكّرين الطّاغية سيّء الذي قرّر أن يتخلّص من الملكة إيزيس ومن وليدها المنتظر بمجرّد أن علم بحملها. فقام باختطافها ووضعها في منطقة دلّتا النّيل في جزيرة مقفرة تحوطها التماسيح من كل جانب. لكن الملكة استطاعت أن تتستّر وتتخفّى بين أحراش نبات البردي إلى أن وضعت حورس.
- نعم إنّها إيزيس النّفس وهي في رحلتها نحو التّنوّر والخلاص، إنّها أنت، وأنا يونس الذي التقمه الحوت، أمّا حورس فهو الإمام الذي به تتجدّد دورات الوعي والحياة، أي الإمام الذي يرضع من ثدي أميرته المقدّسة وظيفته المؤلّمة تعاليم النّور والرّشاد.
- إنّ هذا، انظري إليه جيّداً:



إنه شمس الليل التي تجري لمستقر لها في قلوب أهل الله، إنه الحكمة ومركز ومخزن القوة والطاقة. وكل كائن حي يحتضن في داخله هذه البذرة التي تنمو شيئاً فشيئاً لتصبح نوراً يضيء الوجود يدرك الخلاص من رقة الأسر. إنه عين الله الناظرة، ويده الباسطة وأذنه الواعية، وحكمته البالغة، ونعمته السابغة. إنه آدم ونوح في الأولين والآخرين. إنه مورق الأشجار ومونع القبور. صاحب العلم وطور الحلم، صاحب السور ومُخرج من في القبور. صاحب إبراهيم وسر الكليم الناظر في الملكوت الحي الذي لا يموت، صاحب الزلازل، مدمر الفراعنة بسيفه البتار، لا تُقبل الأعمال إلا بولايته المذكور في سالف الأزمان والخارج في آخر الزمان قاسم الجبارين في الغابرين ومُخرجهم ومعذبهم في

الآخرين.

- إنّه هو نفسه الذي كان يقول على لسان حورس في المنطوقة الثانية والأربعين من (كتاب الموتى): "لا بؤس، لا شرّ، لا عنف، أنا فاتح السّماء، صاحب العرش، والآتون يحكمون اليوم، لا طفل يقترب من ممرّ الأمس، واليوم يومي، فأنا من يحكم للأبد. يا أهل السماء، يا أهل الأرض، جنوبيين وشماليين، شرقيين وغربيين، فلتكن مهابتي داخل أجسادكم.

أنا من له عين صافية ولن أموت ثانية فعزيمتي من أجسادكم وكيونتي داخلي، أنا سرّ. أنا غير قابل للاختراق، أنت أيها الآتي من البيضة، أنا حورس الخالد.!"

- إنّه حقاً سرّ، وكيف لا يكون كذلك وهو الشيفرة التي لم يُحسن قراءتها لليوم أحد، ولا استطاع فكّ رموزها لليوم أحد، على الرّغم من أنّ كلّ المدارس العرفانيّة السريّة قديماً وحديثاً ما كانت تتحدّث إلّا عنها في كلّ النصوص الشّاهقة الدّينية منها والفلسفيّة.

- وهل يمكن أن يموت هذا السرّ وإن كان يتّصف بالخلود يا ابن يقظان؟

- إنّه لا يموت، ولكن يمكن أسره وتقييده. ألم تسمعي من قبل تلك العبارة التي يردّها كلّ من اهتدى إلى معرفته؟!!

- أتقصد: ((عَجَلُ اللَّهِ فَرَجُهُ الشَّرِيفُ))؟
- نعم، أولمَّ يحاول معك أنتِ نفسكِ الفرعونُ حينما سقطتِ في البئر؟ ثمَّ لماذا أرسلَ لكِ وكيلتهُ، ولم يحضر هو شخصياً؟ ألمَّ تسألني نفسكِ هذا السؤال؟ أليسَ ذلك بالأمر الغريب عن طاغية جبار لا يتراجع عن أسرِ الأميرات المقدّسات؟ ألا تتذكّرين ماذا حصلَ للسيدة نرجس وابنها المهديّ من الإمام العسكريّ (عليهم السلام)، وهل نسيّتِ السيدة أناستازيا وابنها الوحيد من فلاديمير ميغري؟ ذاك ماضي وهذا حاضر، أليست كلّها حكايات رمزيّة تروي مآسي التقييد والأسر ومحاولات القتل المستمرّة في حقّ هذا الإمام، خليفة الله في الكون؟! شيء واحدٌ، منع الفرعونَ من الحضور شخصياً في حضرتك: كونك كنتِ في البلاطِ الإلهيِّ. وذاك السجّادُ الذي كنتِ تقرئين فيه أسرار أبجديّة الخلق، هو بساط ملك الأكوان كلّها، وليس بساط الفرعون. لقد كان الملعونُ يحاول خداعك وإن عن بُعد.
- هذا الفرعونُ، هو ستّ، وهو تايفون، وهو الملعونُ في كلّ النصوص المقدّسة.
- أجل، وحينما علّمَ بأنك بصدد تأليف هذا الكتاب، أعلن الحربَ عليكِ بكلِّ وسيلة وطريقة وجدها أمامه. ألمَّ يُصّبك فيروس أوميكرون في الوقت الذي بدأت الكرة الأرضية تعلن فيها انتهاء

حالة الطوارئ والتخلّص من تبعات فترة الكوفيد؟ ألم يطعنك في يدك اليمنى حتّى لا تخطّي حرفاً ممّا أنتِ بصدد كتابته الآن؟ ولكنك شفيت من كلّ هذا أليس كذلك؟ شفيت لأنك من نسل أهل الله الشّجعان المقاومين، ولأنك تحرصين على إبقاء شمعة الإمام مشتعلة في قلبك، هذا أمر لا شكّ فيه يا حفيذة الشّيخ الدّراز!

- لقد كانت فترة الأوميكرون عصبية جدّاً، فقد أصابني الفيروس ولأوّل مرّة في حياتي في ١٠/٠١/٢٠٢٢ ، وشُفيت منه تماماً في ٢٤/١٠/٢٠٢٢. وقد أسرني حقّاً، بحيثُ بقيتُ في الحجر لمدة أسبوعين، لم يكلمني فيها بشرّ، ولا رأيتُ فيها أحداً. وكنتُ أبخّر البيت بأوراق شجرة الغار وأغصان النّبتة المريميّة، وأغتسلُ بماء رحيق زهرة النّارنج، أو ما يسمّى هنا بلغة أهل صقلية بالدزّاكرا. وإنّي أتذكّر كيف أنّ أوّل علاماته كانت آلاماً شديدة في عينيّ، وكأنّ أحداً وجّه إليّ لكمة قويّة فيهما. شيء غريب حقّاً!

- طبعاً، لا بدّ للفرعون أن يضربك في عينيّك، أوليست العينُ مكان الرّؤية، وهو كان يُريد أن يحجب عنك مكائده، حتّى يعمل في صمتٍ وأمانٍ، بعيداً عن كشفك لأعماله الخبيثة.

- وحينما لم يُحقّق ما كان يصبو إليه، عاد ليغرس خنجره في

كتفي اليمنى، وهذه حيلته التي ينفذها من حين لآخر معي،
حتى يمنعني من الكتابة والتأليف.

- أعرّفها جيّدًا مكائدُ هذا اللّعين، إنّكَ تذكّرني بسيدتنا زينب (ع)،
ألم تكن هي الأخرى سيّدة الصّابرين المجاهدين المرابطين في
مملكة الحرف والبيان؟! إنّها معنا في هذه اللّحظة، وهي شجرة
الحسن والجمال المورقة في قلوب أهل المحبّة، إنها شجرة السرو
التي نستظل بظلالها الوارفة الآن.

- أتعرفُ خطبتها الشّهيرة يا حيّ؟

- وكيف لا أعرّفها، ضعي يدك على قلبي، وستسمعينه يردّد
كلماتها:

((أَطْنَنْتَ يَا يَزِيدُ حِينَ أَخَذْتَ عَلَيْنَا أَقْطَارَ الْأَرْضِ، وَضَيَّقْتَ
عَلَيْنَا آفَاقَ السَّمَاءِ، فَأَصْبَحْنَا لَكَ فِي إِسَارٍ، نُسَاقُ إِلَيْكَ سَوْقًا فِي
قِطَارٍ، وَأَنْتَ عَلَيْنَا دُوْ أِقْتِدَارٍ، أَنْ بِنَا مِنَ اللَّهِ هَوَانًا وَعَلَيْكَ مِنْهُ
كِرَامَةٌ وَامْتِنَانًا؟ وَأَنَّ ذَلِكَ لِعِظَمِ خَطْرِكَ وَجَلَالَةِ قَدْرِكَ؟ فَشَمَخْتَ
بِأَنْفِكَ وَنَظَرْتَ فِي عَطْفٍ، تَضْرِبُ أَسْدْرِيكَ فَرِحًا وَتَنْفُضُ
مِدْرُوبِيكَ مَرِحًا حِينَ رَأَيْتَ الدُّنْيَا لَكَ مُسْتَوْسِقَةً وَالْأُمُورَ لَدَيْكَ
مُسْتَسِقَةً وَحِينَ صَفَى لَكَ مُلْكُنَا وَخَاصَّ لَكَ سُلْطَانُنَا.

فَمَهْلًا مَهْلًا لَا تَطِشْ جَهْلًا! أ نَسِيتَ قَوْلَ اللَّهِ: وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا

وَأَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ.

أَمِنَ الْعَدْلُ يَا ابْنَ الْطَّلَقَاءِ تَحْدِيرُكَ حَرَائِرِكَ وَسَوْفُكَ بَنَاتِ رَسُولِ
اللَّهِ سَبَايَا؟ قَدْ هَتَكَتِ سُتُورَهُنَّ وَأَبْدَيْتِ وُجُوهَهُنَّ يَحْدُو بِهِنَّ
الْأَعْدَاءُ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ وَيَسْتَشْرِفُهُنَّ أَهْلُ الْمَنَاقِلِ وَيَبْرُزْنَ لِأَهْلِ
الْمَنَاهِلِ وَيَتَصَفَّحْنَ وُجُوهَهُنَّ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ وَالْغَائِبُ وَالشَّهِيدُ
وَالشَّرِيفُ وَالْوَضِيعُ وَالْدَنِيُّ وَالرَّفِيعُ، لَيْسَ مَعَهُنَّ مِنْ رِجَالِهِنَّ وَلِيٌّ
وَلَا مِنْ حُمَاتِهِنَّ حَمِيمٌ، عَثُوا مِنْكَ عَلَى اللَّهِ وَجُحُوداً لِرَسُولِ اللَّهِ
وَدَفَعُوا لِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَلَا غَرَوْا مِنْكَ وَلَا عَجَبَ مِنْ
فِعْلِكَ.

وَأَتَى يُرْتَجَى مُرَاقِبَةٌ مِنْ لَفْظِ فُوهٍ أَكْبَادَ الشُّهَدَاءِ وَنَبَتَ لَحْمُهُ بِدِمَاءِ
السُّعْدَاءِ وَنَصَبَ الْحَرْبَ لِسَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ وَجَمَعَ الْأَحْرَابَ وَشَهَرَ
الْحِرَابَ وَهَزَّ السُّيُوفَ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ أَشَدُّ الْعَرَبِ لِلَّهِ جُحُوداً
وَأَنْكَرُهُمْ لَهُ رَسُولًا وَأَظْهَرُهُمْ لَهُ عُذْوَانًا وَأَعْتَاهُمْ عَلَى الرَّبِّ كُفْرًا
وَطُغْيَانًا.

أَلَا إِنَّهَا نَتِيجَةٌ خِلَالِ الْكُفْرِ، وَضَبٌّ يُجْرَجُ فِي الصَّدْرِ لِقَتْلَى يَوْمِ
بَدْرٍ! فَلَا يَسْتَبْطِئُ فِي بُغْضِنَا أَهْلَ النَّبِيِّ مَنْ كَانَ نَظَرُهُ إِلَيْنَا شَفَاءً
وَشِنَانًا وَأَحْنًا وَضَعْنًا يُظْهِرُ كُفْرَهُ بِرَسُولِهِ وَيُفْصِحُ ذَلِكَ بِلِسَانِهِ وَهُوَ
يَقُولُ فَرِحًا بِقَتْلِ وُلْدِهِ وَسَبِي دُرَيْتِهِ غَيْرَ مُتَحَوِّبٍ وَلَا مُسْتَعْظِمٍ:
لَأَهْلُوا وَاسْتَهْلُوا فَرِحًا وَلَقَالُوا يَا يَزِيدُ لَا تُشَلِّ

مُنْتَحِيًّا عَلَى ثَنَائِي أَبِي عَبْدِ اللَّهِ وَكَانَ مُقْبَلَ رَسُولِ اللَّهِ ص يَنْكُثُهَا
بِمِخْصَرْتِهِ، قَدْ التَّمَعَ السُّرُورُ بِوَجْهِهِ! لَعَمْرِي لَقَدْ نَكَاتَ الْفُرْحَةَ
وَاسْتَأْصَلَتِ الشَّافَةَ بِإِرَاقَتِكَ دَمَ سَيِّدِ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَابْنِ
يَعْسُوبِ الْعَرَبِ وَشَمْسِ آلِ عَبْدِ الْمُطَلِّبِ وَهَتَفَتْ بِأَشْيَاخِكَ وَتَقَرَّبَتْ
بِدَمِهِ إِلَى الْكَفْرَةِ مِنْ أَسْلَافِكَ ثُمَّ صَرَخَتْ بِنِدَائِكَ وَلَعَمْرِي قَدْ
نَادَيْتَهُمْ لَوْ شَهِدُوكَ وَوَشِيكَأ تَشْهَدُهُمْ وَيَشْهَدُوكَ، وَتَوَدُّ يَمِينُكَ كَمَا
رَعَمْتَ سُلَّتْ بِكَ عَن مِرْفَقِهَا، وَأَحْبَبْتَ أُمَّكَ لَمْ تَحْمِلْكَ وَأَبَاكَ لَمْ
يَلِدْكَ، حِينَ تَصِيرُ إِلَى سَخَطِ اللَّهِ، وَمَخَاصِمُكَ وَمَخَاصِمُ أَبِيكَ
رَسُولُ اللَّهِ.

اللَّهُمَّ خُذْ بِحَقِّنَا وَانْتَقِمْ مِنْ ظَالِمِنَا، وَأَحْلِلْ غَضَبَكَ بِمَنْ سَفَكَ
دِمَاءَنَا، وَنَقَصَ ذِمَامَنَا وَقَتَلَ حُمَاتَنَا وَهَتَكَ عَنَّا سُدُونَنَا، وَفَعَلْتَ
فَعَلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَمَا فَرَيْتَ إِلَّا جِلْدَكَ، وَمَا جَزَزْتَ إِلَّا لَحْمَكَ،
وَسَتَرْدُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ بِمَا تَحَمَّلْتَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ، وَانْتَهَكْتَ مِنْ
حُرْمَتِهِ وَسَفَكْتَ مِنْ دِمَاءِ عِثْرَتِهِ وَلَحْمَتِهِ، حَيْثُ يَجْمَعُ بِهِ شَمْلُهُمْ
وَيَلْمُ بِهِ شَعْنُهُمْ وَيَنْتَقِمُ مِنْ ظَالِمِهِمْ وَيَأْخُذُ لَهُمْ بِحَقِّهِمْ مِنْ أَعْدَائِهِمْ.
وَلَا يَسْتَقْرِتْكَ الْفَرْحُ بِقَتْلِهِ، وَ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ
فَضْلِهِ.

وَحَسْبُكَ بِاللَّهِ وَلِيًِّّا وَحَاكِمًا وَرَسُولِ اللَّهِ خَصِيمًا وَبِجَبْرِئِيلَ ظَهِيرًا.

وَسَيَعْلَمُ مَنْ بَوَّأَكَ وَمَكَنَكَ مِنْ رِقَابِ الْمُسْلِمِينَ أَنْ بِنَسِ لِلظَّالِمِينَ
بَدَلًا وَأَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا.

وَمَا اسْتِصْغَارِي قَدْرَكَ وَلَا اسْتِعْظَامِي تَفْرِيعَكَ تَوْهُمًا لِانْتِجَاعِ
الْخِطَابِ فِيكَ بَعْدَ أَنْ تَرَكْتَ عُيُونَ الْمُسْلِمِينَ بِهِ عَبْرَى وَصُدُورَهُمْ
عِنْدَ ذِكْرِهِ حَرَى فَنَلِكَ قُلُوبٌ قَاسِيَةٌ وَنُفُوسٌ طَاعِيَةٌ وَأَجْسَامٌ مَحْشُوءَةٌ
بِسَخَطِ اللَّهِ وَلَعْنَةِ الرَّسُولِ قَدْ عَشَّشَ فِيهِ الشَّيْطَانُ وَفَرَّخَ وَمَنْ
هُنَاكَ مِثْلَكَ مَا دَرَجَ وَنَهَضَ. فَالْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ لِقَتْلِ الْأَتْفِيَاءِ
وَأَسْبَاطِ الْأَنْبِيَاءِ وَسَلِيلِ الْأَوْصِيَاءِ بِأَيْدِي الطُّلُقَاءِ الْخَبِيثَةِ وَنَسْلِ
الْعَهْرَةِ الْفَجْرَةِ تَنْطِفُ أَكْفُهُمْ مِنْ دِمَائِنَا وَتَتَحَلَّبُ أَفْوَاهُهُمْ مِنْ
لُحُومِنَا وَلِلْجَنَّةِ الرَّأكِيَةِ عَلَى الْجُبُوبِ الضَّاحِيَةِ تَنْتَابُهَا الْعَوَاسِلُ
وَتَعْقُرُهَا الْفِرَاعِلُ فَلَيْنِ اتَّخَذْتَنَا مَعْنَمًا لِنَتَّخِذُنَا وَشِيكًا مَعْرَمًا، حِينَ
لَا تَجْدُ إِلَّا مَا قَدَمْتَ يَدَاكَ وَمَا اللَّهُ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ وَإِلَى اللَّهِ
الْمُسْتَكِي وَالْمُعَوَّلُ وَإِلَيْهِ الْمَلْجَأُ وَالْمُؤَمَّلُ.))

- ومن يكون يزيدُ يا حيّ، أليس هو فرعون وإبليس اللعين في كلِّ
مكان وزمان؟ وأيّة أرض كانت تعني زينب، إذا لم تكن أرض
البدن، وأيّ أسرٍ تتحدّث عنه إذا لم يكن سجنُ الرّوح في جزيرة
الواقواق!

- ومن هنّ السبايا اللاتي هنّك الفرعونُ ستورهنّ، وأبدى وجوههنّ،
يحدو بهنّ الأعداء من بلدٍ إلى بلدٍ، ويستشرفهنّ أهل المناقل

ويبرزن لأهل المناهل ويتصفحُ وجوههنَّ القريب والبعيد والغائب
والشَّهيد والشَّريف وَالْوَضِيعُ وَالِدَنِّي وَالرَّفِيعُ، لَيْسَ مَعَهُنَّ مِنْ
رِجَالِهِنَّ وَلِيٍّ وَلَا مِنْ حُمَاتِهِنَّ حَمِيمٌ؟!

- إتهنَّ المبدأ الأنتويّ في البيضة الكونيّة، وقديماً كان أهل
المدارس السريّة يقولون: (احموا إناثكم من الآخرين واحببوهنَّ
عن الغرياء)، أي عن إبليس وجنده، فاعتقد النَّاس بواجب تكفين
المرأة من أعلى رأسها إلى أخمص قدمها، وحجبوا زوجاتهمَّ
وبناتهمَّ وأخواتهنَّ، ولم ينتبهوا إلى أنَّ الحكماء الأوائل كانوا
يقصدون الأنثى العقليّة التي مازالت لليوم مكشوفة للجميع
ومعرّضة في كلّ حين للاغتصاب بدون حسيب أو رقيب ممّا
عجّل باندلاع الحروب في كلّ مكان وظهور السّبي والقتل
والحرق والإرهاب والفوضى التي لا أوّل لها ولا آخر.

- طبعاً، الأنثى العقليّة شيء في غاية الأهميّة سواء بالنسبة للرجل
أو المرأة وهما في طريق العروج إلى مدارج الكمال، وإذا كشفها
الفرعونُ - أو سمّه كما تشائين بقابيل أو إبليس - فإنَّ النَّتائج
تكون وخيمة جدّاً، وذلك لأنّه يتمُّ أسرهنَّ وبدونهنَّ يضيعُ
الإنسانُ، وينزل إلى الدّرك الأسفل من الجحيم. لذا فما على
النَّاس سوى بالقلب المحمّدي صاحب العين الشّهلاء المخمورة
حتّى يعرف كلّ واحد منهم نفسه، فمن عرف نفسه، نسفها

وعرفَ ربّه. ومن عرف ربّه كُشِفَتْ له أسرار الكون، وأصبح كمحمّدٍ يرى الحقائق بوضوح وبدون أيّ حجاب وذلك بعروجه وارتقائه قمّة الكمال بالحضور في جميع أبعاد الإنسانيّة ومراحل الوجود. وحده من يصل إلى هذا المقام يصبح المُمثِّلَ الأسمى للمعاني المكنونة في حقيقة (هو الأول والآخر والظاهر والباطن).

محمّد (ص)، هو القلب الكونيّ الذي تلقّى كلمات ربّه بأسلوب جديد يصفُ النَّفسَ وحروبها، أو حروب الأرض التي تتقلبُ فيها الأعمال وتتجسّدُ بصور مختلفة تجتمع فيها الحيوانات، والحشرات والهوام والزواحف، وصور الإنسان ذكراً كان أو أنثى، وتتمثّلُ فيها الأماكنُ بالجبال والمفاوز والصحاري والغابات والوديان والرياح والنيران، وكلّ ما هو ظاهر وغير ظاهر في كون الظهور وأكوان البرازخ والغيبّيّات، فإذا عمل الإنسانُ عملاً صالحاً فإنّ هذا العمل يؤثّرُ على قلبه ويجعله مهيباً لنزول البركات.

تحدّث القرآن كثيراً عن النَّفسِ وأهوائها وحروبها، وكما لقبها اليونان قديماً ببيرسيفون، التي تعني بؤبؤ العين فإنّ العرب لقبوها بقرة العين وما من فراغ شبّهت إيزيس النَّفسَ خلال أحاديثها مع حورس بالعين والجفون التي تحيط بها، وذلك لأنّها

تمثّل مبدأ الإدراك المستيقظ الذي لا ينام أبداً. وأهل الذوق يعلمون هذا جيّداً وكثير منهم رأوا هذه العين التي تغمز، أو تخطف العقول، أو تأسر القلوب، ويا لحاجبها المقوس المقدّس، هل تتذكّرينه؟! لقد أخبرنا عنه هيثم كاظم المحمود في ديوانه (سرادق العشق)، إشارة منه للعين التي هي العنصرُ الباعثُ للحياة في الجسد المادّي، لأنه نفس الإله المنفوخ فيه. وهو أيّ الجسد، العالم الدنيويّ المتكوّن من النفس التي هي المبدأ الأنثويّ، ومن الأنا التي هي المبدأ الذكريّ القابع في حضنها، وهذه الأخيرة لا تمثّل المادّة الصلّبة وإتّما شخصيّتها، وهي بعبارة أخرى الانعكاس الوهميّ للذات. واني لأتحدّث هنا عن محتوى عقليّ ذو طبيعة سائلة، ولأجل هذا فإنّ النفس مرتبطة بالماء وهي توجد في المركز بين العالم الباطنيّ والعالم المادّي، وبين صراعات النفس لا سيما حينما يتعرّض الكيان العقلي في ارتباطه بالمبدأ الذكريّ إلى عملية الوحشنة التي تحجبُ بالكامل الذات الحقيقيّة في جوهر الإنسان، وهذا ما يفسّر ويبرّر أيضاً ماورد في الكثير من آي القرآن من لغة ذات حمولات حربيّة وقتاليّة. ولقد حدّد خطابُ الوحي إمكانيّة الخلاص في التعرّف على التركيبة الحقيقيّة للإنسان ولا غرابة إذا كان محمّد يعرف أنّ هذه التركيبة تقبع في المركز والجوهر الأصيل، بينما يقبع

في القشرة الخارجيّة كلّ ما هو مزيف، ولذا سمّيت عملية الخلاص هذه بالجهاد الأكبر، والذي سمّاه رجال الدّين في الديانات الأخرى بمحاربة التّنين أو الأفعى التي تبدأ في سنّ الأربعين، والتي أحبُّ أن أسمّيها نسبة إلى سورة التوبة بسنّ براءة، أيّ العمر الذي يتبرأ فيه القلب الكونيّ من شواغل النّفس المرتبطة قبل الأربعين بقوة النّموّ والتّعديّة، وذلك حتّى يتفرّغ لمسار الانعتاق من شؤون الدّنيا حينما يتحقّق انحسار نشاط الطّاقة الأنثويّة المعبر عنها في القرآن الكريم بعبارة (فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا)، أيّ بمعنى فلما قضى الجسم الذي يزيد في النّموّ وطره من الطّاقة الأنثوية المتمثّلة بالنّفس التي كبرته وزادت في نموّه تزوّج بها لكي تعينه على جهاده الداخليّ في سبيل الخلاص من ريقه الاستعباد الدّنيويّ، وهذه الزّوجة هي زينب، وهي ذاتها شجرة الحياة والمعرفة التي يأكل منها السّالك وهو في طريقه إلى الكمال الرّوحيّ. وإذ أكشف لك عن هذه المعاني الجديدة فإنّه يبدو واضحاً كيف حرّفت المعاني وقُلبت الآيات وتشوّهت الأهداف بشكلٍ أدّى إلى مسخ صورة الدّين الإسلاميّ في كافّة المجتمعات بحيث أصبح كلّ ما هو دينيّ مختلطاً بكلّ شيء. لا بدّ من شجرة الحياة والحسن والجمال والبهاء، لا بدّ من شجرة السّرو والرّيحان والعرعر، وأعني بها

زينب بكلِّ مقاماتها التَّسائيَّة، أيُّ بكلِّ حورها العين، بما فيها مقام عائشة التَّاسع الَّذي هو أحد أسماء الإلهة إيزيس والتي تعني في معناها الباطنيَّ كلَّ شيء يعيش وبحيا وينمو في الكيان والَّذي لا بدَّ للمريد والمريدة أيضاً من ولوجه في التَّاسعة أيُّ في المقام التَّاسع من شجرة الحياة. وإذ أقول هذا فإنِّي أردُّ على متفقِّي الحسرة الَّذين مازلوا لليوم يتساءلون عن محمَّد لماذا تزوج بعائشة، وهي بعد طفلة في التَّاسعة من عمرها، وهم لا يعرفون عن حياة السالكين إلى الله شيئاً ولا عن شجرة الحسن زينب فيها ولا عن النساء الأربع التي لا بدَّ للسالك والسَّالكة من الزَّواج بهنَّ كرمز لعناصر الخلق الأربعة وهي النار والهواء والماء والتُّراب، والتي لا يستطيع المريد التوفيقَ بينها بسهولة فوجب اكتفاؤه بواحدة، أو اثنتين أو على الأكثر ثلاثة قبل البدء في رحلة تسلَّقه لشجرة المعرفة زينب. وقد لا يفوتك أنَّ صورة الحور العين في العديد من السُّور القرآنية تقود ولا شكَّ إلى السُّؤال عن ظاهرة الجواري في الإسلام واستعباد النِّساء من أين أتت؟ فأقول إنَّ تاريخ الإنسان الأسود في تحريف كلِّ شيء عبر غرائزه المتوحِّشة تشهد ضدَّه على قبح ما ارتكب من جرائم. ففي الوقت الَّذي كان فيه نصَّ الوحي صريحاً في تمييزه بين النِّساء والجواري، وأقول النِّساء لأنَّ العدد الحقيقي الَّذي يتزوَّج به المريد

والمريدة أيضاً وهما في حروبهما الروحية الباطنية مع المبدأ الأنثوي الذي هو النفس يصل إلى تسع نساء يضاف إليهن أربع أخريات حينما يتم الوصول إلى المقام العاشر من شجرة المعرفة والحكمة، ليصبح المجموع ١٣ زوجة، فافهمي قولي وافقهي من أين أنت هذه الأعداد النسائية التي يتجادل حولها المفسرون إلى اليوم وباسمها ارتكبت العديد من المجازر والحروب النكاحية على أرض الواقع المادي الإنساني وفي حياته اليومية!

أما بالنسبة لسبي الجواري، فإن الأمر فيه إشارة إلى الجانب الأنثوي للقوى المتعلقة بمقامات شجرة الحسن والحكمة ولكن في الجزء المتعلق بالنزوات الدنيوية الطائرة داخل قلب المريد، وهن أقل شأنًا من النساء اللائي هنّ طاقات أنثوية أساسية بينما الجواري طاقات ثانوية والتي يتوجب على السالك سببها أي سلخ جلد الأفعى فيها، ونزعها وتحريرها من الكينونة الذكرية التي تحكمها داخل العالم الجواني للنفس البشرية لكل إنسان، ولا فرق في هذا بين مسلم أو مسيحي أو غيرهما ممن يعتقد ويدين بديانات أخرى. والكشف اليوم عن هذه المعاني فيه كشف عما أحقه التفسير السيء للتعاليم المتعلقة بالمبدأ الأنثوي، والذي أفرد له القرآن الكثير من الآيات وخصّص له سورة كاملة تحمل عنوان النساء، من ضرر أدى إلى خلق أبشع الممارسات التي

شهدها التاريخ مثل السبي الفعلي للنساء والمتاجرة بهن في أسواق الرقيق إلى اليوم، فكيف النجاة من كل هذه الأهوال التي تسببت فيها القراءات المقلوبة لكلمة الوحي وخطابه، وكيف السبيل إلى إعادة البهجة والمسرة والضوء إلى مشكاة الرسائل النبوية وقد سد علينا المتشدقون بالمعرفة كل الأبواب؟ لا سبيل إلا بالعودة إلى المعين الصافي، أي إلى محبة الله بعيداً عن قساوة وتعصب كل أشكال التدين المتزمت الذي ينافي فطرة الإيمان لدى كل إنسان.

- لذا لا بدّ من الملكة المحاربة زينب، ولا بدّ لكلّ عقل واع أن يقرأ خطبتها كلّ يومٍ، ويجعل منها تعويذة مهما كانت ديانته ومعتقده، ويردّد معها بيقين راسخ: ((ثُمَّ كِدْ كَيْدَكَ وَاجْهَدْ جُهْدَكَ! فَوَ الَّذِي شَرَفْنَا بِالْوَحْيِ وَالْكِتَابِ وَالنُّبُوءِ وَالْإِنْتِجَابِ لَا تُدْرِكُ أَمَدَنَا وَلَا تَبْلُغُ غَايَتَنَا. وَلَا تَمْحُو ذِكْرَنَا وَلَا تَرْحُضْ عَنْكَ عَارُنَا. وَهَلْ رَأَيْكَ إِلَّا فَنَدٌ وَأَيَّامُكَ إِلَّا عَدَدٌ وَجَمْعُكَ إِلَّا بَدَدٌ يَوْمَ يُنَادِي الْمُنَادِي أَلَا لِعَنِ الظَّالِمِ الْعَادِي وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي حَكَمَ لِأَوْلِيَائِهِ بِالسَّعَادَةِ وَحَتَمَ لِأَوْصِيَائِهِ بِبُلُوغِ الْإِرَادَةِ نَقَلَهُمْ إِلَى الرَّحْمَةِ وَالرَّأْفَةِ وَالرِّضْوَانِ وَالْمَغْفِرَةِ وَلَمْ يَشَقْ بِهِمْ غَيْرَكَ وَلَا ابْتَلَى بِهِمْ سِوَاكَ وَنَسَأَلُهُ أَنْ يُكْمِلَ لَهُمُ الْأَجْرَ وَيَجْزِلَ لَهُمُ الثَّوَابَ وَالذُّخْرَ وَنَسَأَلُهُ حُسْنَ الْخِلَافَةِ وَجَمِيلَ الْإِنَابَةِ إِنَّهُ رَحِيمٌ وَدُودٌ)).

زينب وحدها هي التي بلغت هذا المبلغ العظيم من الشجاعة بحيث لا يستطيع أيُّ شيطان إيذاءها مهما بلغ من القوة والعفوة والتمرد، وهي من أظهر وأتقى قائدات الجيش المهديّ، صاحبة الناقة البيضاء والسّلام الأخضر المطرّز بالفضّة والمرصّع بالزمرّد والياقوت، والمعطرّ بالمسك والعنبر، ولا تظهر في أرض البدن لأهل الله إلا يوم الاثنين والخميس، فترفع الظلم وتحارب الأرواح السفلية. وفي يوم الجمعة تنزل بالجلسة المخزنيّة الكبيرة، فترفع سبعة أعلام، بسبعة ألوان، وكلّ لون يمثّل جمعاً من الملوك الذين يحكمون تحت لوائها. وعبثاً يحاول الفرعون المتمرد أن يُنشئ جيشاً من النساء المتشبهات بها ليخدع بهنّ أهل الله ويخلط الأوراق فوق موائدهم، ولكن هيهات هيهات، وأنّى له أن يبلغ مرامه وهي التي صاحت في وجهه وقالت: ((قَوِّ الَّذِي شَرَّفْنَا بِالْوَحْيِ وَالْكِتَابِ وَالنُّبُوءَةِ وَالْإِنْتِجَابِ لَا تُدْرِكُ أَمَدَنَا وَلَا تَبْلُغُ غَايَتَنَا. وَلَا تَمْحُو ذِكْرَنَا وَلَا تَرْحُصْ عَنْكَ عَارُنَا. وَهَلْ رَأَيْكَ إِلَّا فَنَدٌ وَأَيَّامُكَ إِلَّا عَدَدٌ وَجَمْعُكَ إِلَّا بَدَدٌ!!))

- وأنتِ تحدّثيني عن نساء الجيش المهديّ من بيت النبوة واصفةً إياهنّ بالأنثى العقليّة في عمليّة الخلق والتّخليق داخل البيضة الكونيّة، خطر على بالي سؤال آخر: من همّ بالمقابل رجال هذا الجيش، ومادورهم في الكون، وما مقامهم في جزيرة الواقواق يا

حفيدة الشيخ الدرّاز؟

- إنهم ممثلو المبدأ الذكريّ وسفراء الإمام الخليفة في مملكة البدن، وعددهم اثني عشر رجلاً. وهم سلاطين وملوك في كلّ مكان حلّوا به.

- أتقصدين بهم الأئمة الاثني عشر؟

- نعم، وهم الثمار الاثني عشر لزينب شجرة الحسن والجمال.

- عجيب هذا الرقم ١٢، إنه يغطّي كافّة العمليّات التخليقيّة في الكون الإلهيّ، وهو حاضر في كلّ النصوص المقدّسة ومرافق لكل الشّخصيات المباركة، وليس بالغريب أبداً أن يكون لحورس اثنا عشر رسولاً، ولعيسى اثنا عشر تلميذاً، ولا لسليمان اثنا عشر أسداً، ولإلياس اثنا عشر حجرًا، وليس بالغريب أيضاً أن يكون في السنة اثنا عشر شهرًا، وفي السماء اثنا عشر برجاً؟!!

- كلّ الأمور مرتبط بعضها ببعض، وآخر الأبراج، بُرج المهديّ المُخلّص، لأنّه برج الحوت، رمز الصّبر والتواضع، وهو الذي به يأتي الطوفانُ فيمسح بطريقه كلّ الآلام والخطايا لتظهر تلك الأرض الجديدة التي سمّاها أهل الله بأرض الصّالحين، التي قال فيها جلّت قدرته، ((وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى)). ولا يوجد في الكون روح تقيةٌ إلّا وعينها على ذاك المكان القصي من مدينة الحقّ. والوصول إلى برج الإمام، يعني أنّه

على الإنسان أن يتحرّر من أوهامه وإحباطاته وخيالاته ويعرف كيف ينتظر ويصبر إلى أن تظهر شمس الإمامة في قلبه.

- ألم أقل لك إنك تشبهيني جداً، فأنا قضيتُ عمراً في هذه الجزيرة أتأمل وأتدبّر في الكون وخالقه إلى أن فتحت لي السماء أبوابها وتحقق لي العروج، وأنت كذلك يبدو لي أنك قضيتَ عمركِ تفرئين وتبحثين لتصلي إلى المعنى الحق، وتفكّي رموز الأوليين والآخرين، وهذا ما يبرّر كيف أن جدك أرسلك لي في هذه الجزيرة ليشدّ بك عضدي، ويؤكد لي بأن من سار على درب الجدّ والرّصانة والالتزام لا بدّ له أن يكافأ بإشراقه شمس الحبيب في كلّ كيانه. ارسمي لي إذن يا حفيدة الدرّاز فوق تراب هذه الجزيرة كيف تُشرقُ شمس الخليفة تحت لواء الأئمة الاثني عشر؟

- هكذا يا صديقي يكون الظهور، ولا بدّ له من مُمهّدين:



كلّ إنسانٍ، يرى عين الإمام، عبر مراحل الوعي الاثني عشر المتجسّدة بظهور الأئمة الاثني عشر، لا بدّ له أن يُدركَ علاقته الوثيقة بشمس الحقيقة، أي بذاته العليا التي تمرّ باثني عشر طورا قبل اكتمال دورتها. ولا بدّ أن يستوعبَ أنّ النور الذي بداخله هو الذي يضيء العالم الخارجي، وليس العكس. والتمهيد لظهور هذه الحقيقة يكون لدى الناس بطرق عدّة، كلّ على حسب قوّته وإشراقه الحقّ في صدره، وقد قرأتُ الكثير عن الأدبيات التي تحاول شرح هذه المسألة، لكنني حينما وصلني (سرادقُ العشق)؛ ديوان صديقنا وأخينا في الحرف والإنسانيّة هيثم كاظم المحمود، عرفتُ للتوّ، وبمجرّد فتح صفحاته الأولى، أنّه هديّةٌ للإمام القائم، خليفة رسول الرّحمن وأئمة البيان، لكنني لم أشأ أن أفصحَ عن الأمر بشكلٍ تقليديّ، واخترتُ خُطّةً جديدةً في الكتابة عن هذا الديوان وصاحبه، ثمّ نفختُ فيما كتبتُ الرّوحَ، وأنبتتُ لأبجديته أجنحةً خضراء حلّقتُ به من جزيرة الشّمس صقلية، إلى عراق الحضارة والمحبة الكونية، هناك حيثُ ظهرَ ما رقمتُ من حرفٍ مع مطلع هذا العام (٢٠٢٢) عن دار الفرات للثقافة والإعلام في إصدار عرفانيّ هو (في الحانة مع هيثم المحمود). والآن وقد مرّ ما يقاربُ الشّهر على إشراقه شمسه ووصول نُسخ ورقيّة منه إلى البصرة، أجدني أُجدّدُ

التأمل في علاقة هيثم الأديب المُفكّر بإمامه المُخلّص، وأسألُ نفسي سؤالاً قد يكون مجازياً: كيف يكون الشخص الذي تسطع في قلبه شمسُ الإمامة فيرتبطُ إلى الأبد بصاحب زمانه؟ وبأنيبي الجوابُ رسولاً يحملني إلى بيتِ روحِ الله الفارسيّ الذي ظهرَ في الديوان، أدخلُ عُرفته البيضِ جدرانها، ثمّ أجلسُ إلى يمينه فوقَ بساطٍ صوفيّ أبيض اللون، وأنظرُ إلى آنية الطين المستديرة التي بين يديه وقد امتلأتْ بزيتٍ شفافٍ جداً كأنّه ماء. وحينما أشارَ عليّ بسُبابته نفختُ فوقَ الزيتِ فإذا به يشتعلُ بالنورِ والنّار، وعندما رفعتُ رأسي عن الزيتِ رأيتُ هيثم وهو يصعدُ سلّمَ البيتِ لينضمَّ إلى مجلسنا في الغرفة البسيطةِ جداً!

أهلُ الأسرار من السّادة العُرفاء سيعرفون طبعاً معنى هذا الجواب، فكلُّ مَنْ يرتبطُ بصاحب الزّمان، لا يمكنه إلا أن يكون من ذوي الهمة العُليا. وكلّ عارفٍ ذي همّة عالية، لا يمكنه أن يرى فيما قلتُ أو رأيتُ حديثاً عن نفسي ولا عن الأديبِ صاحبِ ديوان (سرادق العشق)، وإتّما هي عينُ الله في خلقه التي ترى، وتكشفُ الرّموزَ، وطوبى لكلّ عارفٍ يرى بها ولا ينسبُ أبداً ما يرى إلى نفسه، مادامتُ روحُ العارفِ جامعة، متى ما اضطَرَمَتْ فيها نيرانُ العشق ماتتْ أناها وبدأتْ في الحديث عن روح الإنسان في الأكوان قاطبةً، ولهذا فإنّ من سيطلّعُ بعدي على

هذا الديوان، سيتحقق له أن هيثم لم يكن يتحدث فيه عن تجربة خاصة وفردية، وإنما عن تجربة وجودية كونية، لن يفهمها إلا من ذاق واكتوى بأوار العشق، وكيف لا وفيها سيجد ما يؤكد له صدق تجربته العرفانية إذا كان هو أيضاً من العرفاء، وصدق تجارب من سبقه أو من عاصره أو من سيأتي بعده من أهل السلوك.

لكن ما معنى أن تكون اليوم في ارتباطك بإمامك المنتظر من ذوي الهمم العاليات؟ سؤال لا أجد في الجواب عنه سوى أن أقول، إن كل ذي همّة عالية اليوم من أهل العرفان هو مُمَهِّدٌ للظهور المهديّ. والممهِّدون الأحقاء اليوم يُعدُّون على رؤوس الأصابع، وهيثم كاظم المحمود واحدٌ منهم، ليس لأنه ألف ديوانه (سرداق العشق) فقط، فاليوم يمكن لأيّ شخص أحاطَ علماً وقراءة بالكتب الدينية والتاريخية عن شخصية المهدي، أن يكتب فيه، ويؤلف من خلال ما قرأ الشعر أو القصص عنه، ولكن كُنْ على يقين أنه مهما كتب فإن كتابته ستكون باهتة لا نور فيها لأنها لم تصدر عن تجربة داخلية فردية حقيقية، ولن تلمس روحك أيها القارئ، أو تشعل فيها حرائق العشق بأي شكل من الأشكال، وهنا يكمن الفرق بين العارف بالتجربة و"العارف" بالقراءة والاطلاع. وتجربة هيثم الروحية هي أعمق بكثير مما قد

تتَحَيَّل ولا يَمَكُنْكَ أن تلمس ذلك شخصياً إلا بعد أن تُغادر ديوان (سرادق العشق) وتقرأ له ما كتبَ في الفكرِ التَّوعَوِيِّ، وأعني بهذا كتابيه (انهيار المنظومة القيمية) و(الحُسَيْن رجل الله، وأهل بيته وأصحابه حواريون).

إنَّ من يطلُّعُ على هذين الإصدارين، سيعلمُ جيِّداً لماذا تحدثتُ عن أهمِّية علوِّ الهمة في التَّمهيد للظهور المهدويِّ، وذلك لأنَّ الأديبَ العالِي الهمةَ يجود بالعالِي والتَّفيس في سبيل مَدِّ المُنتظِّرين بالقوَّة الفكرية التي تدفعهم للتحرُّك والسَّعي نحو الخلاص من الأغلال والقيود التي تشدُّهم إلى الحضيض. وهي القوَّة التي لا يمكنها أن تتحقَّق إلا من خلال تأسيس نوع جديدٍ من الوعي، عبر إصلاح وتجديد المنظومة الأخلاقية، كما فعل هيثم في كتابه (انهيار المنظومة القيمية) الذي قضى سنوات عدَّة من أجل تأليفه باحثاً في أمَّهات الكتب والمصادر ليأتي بهذا الشَّكل المتكامل في شتَّى فصوله وأبوابه بحيثُ ظهرتُ في العديد من الأجزاء والمقاطع تلك الرُّوح الوثابة بل العين النَّاقبة التي تنطلقُ من تجارب الوطن الأمِّ العراق، لتعانق تجارب الإنسانية كلَّها وتُحدِّد لكلَّ المُنتظِّرين وتقول بأنَّ أبرز العوامل التي تُساعدُ الأمم على النهوض والتعجيل بالظهور هي قدرة كلِّ أمة "على استيعاب الشُّعوب والعرفيات المختلفة داخلها، وتوفُّر

المنهج الصّالح الذي يهدفُ إلى التّعارف بين الأطياف البشريّة المختلفة الموجودة في الأمّة، الذي يُتيح لهذه الأمّة أن تكون علاقات سويّة مع من حولها ممّا يكونُ له أبعاد الأثر في بقائها واستقرارها" (المنظومة القيمية / ص ٣٩٧). وهذا إن دلّ على شيءٍ، فإنّما يدلُّ على أنّ التّمهيد للظهور ليس مقتصرًا على شعب دون آخر، وإنّما هو موجّه للإنسان كافّة، لأنّ الإمام القائم، هو القيم على الممالك والأكوان كلّها، والنّاظر إلى المصالح الكليّة والجزئية، والمحدّد لما يصلح للخلق من عقائد دينيّة وإرشادٍ نفسيٍّ وأخلاقيٍّ، وكيف لا، وهو الهادي ملجأ كلّ ضعيف ومأمّن كلّ خائف، وحبل الله المتين وعروته الوثقى!

ولعلّ من أهمّ صفات الممهّدين، هو التذكيرُ بتاريخ آخر الأوصياء، أي العمل على إحياء ذكرى أجداده في الإصلاح الكونيّ والسير على منهجهم، وهو الأمر الذي وجدته حاضراً بهمة عالية في كتاب هيثم المحمود الثّاني (الحسين رجل الله، وأهل بيته وأصحابه حواريون)، ولربّما سيقول منتقدٌ أيّاً كان، إنّ المفكّر هيثم لم يأت بجديد، فالمكتبات الرقمية وغير الرقمية ممتلئة بالكتب التي تؤرّخ للحسين (ع) ورجاله وثورته وأهله، وله أقولُ ثمة اختلاف كبير في الطّرح وفي الرّوح والأسباب المحرّكة والدّافعة لهذا الكتاب الذي يصل في صفحاته إلى ما يقارب

السبعمئة صفحة، والقارئ صاحب الروح التجاوزية العالية، سيجد فيه الحسين (ع) وكأنه يراه، وذلك لأن الكاتب لم يترك شاردة ولا واردة إلا ودونها سواء تعلق الأمر بالتاريخ الشخصي البيوغرافي أو بالتاريخ السياسي لمعركة كربلاء، فبدأ في الكتاب مؤرخاً أكثر منه أديباً وشاعراً. وطوبى للقارئ اللبيب الذي سيقرب بعين روحه هذا الكتاب، طوبى له لأنه سترتفع عنه الحجب والأستار، وسيستوعب للعمق معنى أن تكون من المنتظرين والممهدين للظهور، مادام سيقدم مثلهم نفسه للنحر، وسيستشعر في عنقه يد الأجداد وهي تقطع بسكينها الفضية الأغلال والسلاسل التي تقيد لليوم الإنسانية جمعاء، ويسمع الخاء تخر وتقول: أنا باب حطة، أنا باب الخلاص والخلة، أنا السفينة الراسية، فهل من راكب، هل من مسافر يشد الرحال، ويرنو إلى النجاة ويمهد للظهور؟! .

- إنه يناديك أيتها النساجة بالحروف والكلمات، أسمعين صوته؟ فماذا ستفعلن الآن، وقد وصلت رحلتنا إلى نهايتها، ورفعنا الحجب عن المعاني الكامنة؟ هل ستغادرين جزيرة الواقواق؟ وهل ستخرجين من البئر، لتعودي إلى حياتك اليومية؟
- نعم أسمع صوته. إنه صوتك أنت أيضاً، وإلا فما معنى أن يكون اسمك حياً ابن يقظان؟ أولست الحي ببلوغ الحقيقة،

أولست اليقظ الذي تحرر من نوم النفس وغفلتها؟ ثم كيف أغادر
البئر وفيها نوني المحمديّة الكبرى؟ لا لن أخرج منها، سأفعل
كما فعل الطفل المغربي ريان. سأبقى فيها، فمزال أمامي الكثير
ومازالت أمامي عيون أخرى أريد أن أفجر ماءها وحليبها
وشرابها السائب. والرحلة لم تنته، وإنما ابتدأت الآن بظهور
شمس الحقيقة^١.

- إذن دعيني أبن لك بيتاً يليق بمكانك في أقصى المدينة،
ولتكوني أنتِ هذا الحرف الذي وصل إليها الآن وبدأ يصيح:
(يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعاني من
المكرمين!!)



^١ انظر لوحة الغلاف: النون في البئر.

الجزء الثاني

الطريق بين يديك

لماذا فتحت الباب؟!

حينما غادرني حيّ ابن يقظان، وذهب لينشغل ببناء بيتٍ جديدٍ لي في غابة النَّارنج والعرعر، ناديتُ النَّسْرَ المَلَكِيَّ ليحملني إلى أقصى مكانٍ في جزيرة الواقواق، وما مرّت سوى ثلاثة أيامٍ مِنَ التَّحليق حتى كنتُ هناك؛ في سماءِ المياهِ الخضراء والضباب الأزرق. وهي السماء التي وإن كانت تبدو لأوّل وهلة لا أثر فيها لنباتٍ أو شجرٍ أو حجرٍ، فقد وجدتُ فيها ما لا يخطرُ على بال بشرٍ، وكيف لا، وهي بحرٌ مُعلّق في برزخ لا يحكّمه شمال ولا جنوب، ولا شرق ولا غرب، وترسو فوقه سفينةٌ ضخمةٌ بأعلام خُضِرٍ! دخلتُ إليها ولم أجد فيها أحداً، وفهمتُ أنّه لم يسبقَ لروح قبلي أن وصلتُ هنا. وبعد أن قُمتُ في داخلها بجولة كاملة شاملة، لاحظتُ أنّ فيها طوابق وأجنحة كثيرة ولكلّ طابقٍ وجناحٍ اسمٌ مُعيّن، وكان أن اخترتُ بعد حيرة عظيمة جناح "الوشق المَلَكِيّ الأخضر" ليكون مكاناً لإقامتي إلى أن ينتهي ابن يقظان من مهمّة بناء بيت الغابة. واخترتُ لِنَسْرِيّ الأحمر أن يبقى قريباً مِنّي في الطَّابقِ العلويّ من السفينة، حتّى إذا ما احتجتُ إليه حضرَ على وجه السّرعة.

آه يا عزيزي القارئ، كم كنتُ بحاجة إلى أن أبقى وحيدة

في هذه السفينة، بل في هذا المكان البرزخيّ العجيب! ربّما ستسألني كيف أتني قضيتُ فيه للحظة أزيد من ستين يوماً دون أن يكون فيه أثر لثرابٍ أو حياة لكائنات أخرى؟ بل كيف كنتُ أتغذى ولا سمكٍ فيه ولا أيّ نوعٍ آخر من الطّعام؟ نعم، يا عزيزي، من حقّك أن تقلق، ولكن دعني أؤلّ لك إنني كنتُ أكلُ الندى الغدق. ربّما لم يسبق لك أن سمعتَ به، ولكنه موجود، وهو أكلُ أهل مملكة الخلق والتّخليق، أي أهل الإبداع والخيال والكتابة والرّمم بالنقطة، ويبدو أنّ له مفعول سحريّ مذهل حقاً، لأنني أذكرُ أنني ما إن بلغتُ اليوم الأربعين من إقامتي على ظهر هذه السفينة، حتّى حدث لي شيء غريب: كانت اللّيلة مقمرة، وكان الصّمّتُ سيّدَ المكان، وكنتُ أنظر من زجاج نافذة غرفتي إلى الضّباب الأزرق، حينما شعرتُ برعشة طفيفة تسري في جسدي، وحرارة تتحرّك في قلبي، وضوء يتوهّج في عينيّ، وشيء يخرجُ من قمة رأسي ويتمثّل جسداً حيّاً أمامي. كان رجلاً شديد الهيبة، عظيم الجاه والشّان، بقميص أسود ذي كَمَين طويلين، وبدون ياقة ولا أثر فيه للأزرار، لأنّه غير مفتوح من الجهة الأماميّة ويبدو في شكله كدرع صدريّة من نوع خاصّ. وفوق رأسه عمامة كبيرة ملكيّة سوداء، وبيده مطرقة وميزان!

لم يُريكني حضوره، بل على العكس من ذلك تماماً، كان

يبدو وكأنه من أهل التفتيش والعدل والقضاء، ولأنّ والدي رحمه الله كان أيضاً ممّن قضى عمره في العمل بوزارة العدل ومحاكمها الابتدائية والاستئنافية، فقد اعتبرتُ الرّجل مبعوثاً لي منه ولمّ أسأله مَنْ يكون. وقبل أن أشير إليه بالجلوس، جلس إلى مائدة مكتبي وفتح سجلاً أبيض بين يديه، ونقّر فوق المائدة بالمطرقة نقراً خفيفاً ثمّ بادر يقول بصوته الجمهوري:

- عليكِ وإليكِ سلامُ الله وأهلِ سفارة العِلْمِ المنصوب والعِلْمِ المصبوب يا أسماء! لقد أتيتُ لا بطلبٍ من والدكِ ولكن بطلبٍ من السّرِّ الكامنِ فيكِ، وأنا هنا لأفتح حواراً مطوّلاً معكِ، وأقيم ميزانَ العدلِ في حضرتكِ، فلنبداً إذن بِاسْمِ الله وحوله وقوّته. وسؤالي الأوّل لكِ هو الآتي: لماذا فتحتِ البابَ يا أسماء، وما الذي أقدته من عُمر قضيتِه تقرئين وتكتبين وترجمين، وتؤلّفين وتُصدِرين؟

- أتقصِدُ البابَ بصفة التذكير أم بصفة التانيث؟

- أعنيهما معاً.

- الباب بصفة التذكير هو باب الكتابة والتأليف وقد فتحته مرّة واحدة لا غير، أمّا البابُ بصفة التانيث، فهى باب المُلكِ والملكوت ولم أفتحها أبداً ولن أفعل لا هنا في هذا البُعد الأرضي وبرازخه، ولا هناك في البُعد الروحي وبرازخه.

- لَمَنْ فَتَحَتِ الْبَابَ بِصِفَةِ التَّذْكِيرِ إِذْنٌ وَلِمَاذَا؟
- لَسْتُ أَنَا مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ بِشَكْلِ مُبَاشِرٍ، وَإِنَّمَا جَدِّي النَّسَاجُ، وَقَدْ فَتَحَهُ قَبْلَ وَلَادَتِي لِأَوْلِيَاءِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ عَرَفَ أَنَّهُمْ سَيَطْرُقُونَ هَذَا الْبَابَ بِيَدِ الْحَاجَّةِ وَالْخِدْمَةِ الْحُرُوفِيَّةِ.
- إِذْنٌ فَأَنْتِ تَعْلَمِينَ أَنَّ جَدَّكَ كَانَ يُعِدُّكَ لِتَكُونِي مِنْ عُرَفَاءِ النَّقْطَةِ وَالْكَلِمَةِ وَإِنْ اسْتَشْهَدَ مَسْمُومًا سَنَةَ وَاحِدَةٍ فَقَطْ بَعْدَ وَلَادَتِكَ وَلَمْ يَنْعَمَ بِالْقُرْبِ مِنْكَ طِيلَةَ حَيَاتِكَ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟
- لَيْسَ الْمَوْتُ مَنْ يَفْصِلُ الْأَحْبَةَ عَنِ بَعْضِهِمُ الْبَعْضَ، وَإِنَّمَا هِيَ الْأَجْسَادُ الطَّيْنِيَّةُ مِنْ تَخْتَفِي وَتَتَحَلَّلُ تَحْتَ الْأَرْضِ، وَجَدِّي حَاضِرٌ مَعِي دَائِمًا وَبِرَفْقَتِي وَهُوَ لَيْسَ مَنْ كَانَ يُعِدُّنِي لِطَرِيقِ الْعِرْفَانِ، وَإِنَّمَا رَبِّي، أَمَّا هُوَ وَوَالِدِي مِنْ بَعْدِهِ فَلَمْ يَكُونَا سِوَى وَسِيلَةٍ لِنَتْفِيزِ الْأَمْرِ الْإِلَهِيِّ، لَا أَقَلَّ وَلَا أَكْثَرَ، وَقَدْ سَلَكْتُ طَرِيقِي لَوْحْدِي وَكُنْتُ مُخْتَلَفَةً جَدًّا عَنِ جَدِّي وَأَبِي.
- وَأَظُنُّ أَنَّ الثَّمْنَ كَانَ بَاهِظًا، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟
- فَصَلِّي وَعِزَّلِي عَنِ الْأَعْيَارِ وَالْخَلْقِ وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ مَنْ هُمْ مِنْ أَقْرَبِ النَّاسِ إِلَيَّ، كَانَ هُوَ الثَّمْنُ. وَهَذَا لَيْسَ بِأَمْرٍ يَدْعُو إِلَى الْحُزْنِ أَوْ النَّعَاسَةِ، بَلْ عَلَى الْعَكْسِ تَمَامًا، لِأَنَّ فِي طَرِيقِي هَذِهِ وَتَجَارِيي الدُّوْقِيَّةِ فَهَمْتُ لِلْعُمُقِ كَيْفَ يَخْتَفِي الْأَعْيَارُ مِنْ سَاحَتِكَ مَا إِنْ تَدَخَّلَ حَضْرَةُ الْخَالِقِ كَامِلَةً، وَلِذَا فَإِنَّ التَّخَلِّيَ هُوَ طَرِيقُ

الإنسان إلى التجلّي.

- لكن أخبريني يا أسماء كيف كُنْتِ في قراءاتكِ الغزيرة تعرفين أنّ الحرفَ المائلَ بين يديكِ هو لعارفٍ أو وليٍّ من أولياء الله؟
- بعينِ قلبي وبصيرتِهِ يا سيّدي.
- هذه هي قراءة حُدّام الحرفِ المُخْلِصين. وأعتقد أنّ عمَلِكِ كان مُضنياً للغاية ومُمتلئاً بالعقبات والمطبات، أليس كذلك؟
- مدّعو الفكر والتّقافة والعرفان كُثُر، وكان الأمر يقتضي منّي وأنا أقرأ لبعضهم أنّ أُعْزِلَهُمْ واحداً واحداً، دون التّمييز فيهم بين رجل أو امرأة، وهذا العمل كان بحدّ ذاته مُضنياً.
- هل هذا يعني أنّكِ لم تجدي فيهم أحداً استوفى الشّروط العرفانيّة الحقّة؟
- ما بقيَ مِنْهم إلّا من كان ولم يزلْ يكتُبُ تحت لواء كلِّ بيوت النبوة، ولا أستثني أحداً من الخلق. وبغضّ النّظر عن اهتماماتي الفكريّة والأدبيّة، فلا يُمكنُ أن تُنكِرِ الحماقات التي ارتكبتها العديد من العرفاء والصّوّفيين في كلّ الدّيانات، وأنّكِ تعلمُ هذا جيّداً.
- في علم الصّناعة والطّريق، لا بدّ من الأخطاء، ولسنا هنا لنحاكمهم بقدر ما أنّنا نسعى إلى تسليط الضّوء على بعض من هذه الأخطاء وفتح باب التّوبة لمن يريد أن يؤوب إلى الله.

- التوبة يا سيدي، أهذه الدرجة؟! ليتك فقط تقول عن ماذا عليهم أن يتوبوا؟
- عن جنون العظمة أولاً، عن التجسس على القلوب ثانياً، عن التلصص على عوالم محجوبة عنهم ثالثاً، وعن الشرك الخفي وأشياء أخرى كثيرة رابعاً وخامساً وسادساً وعاشراً...
- ولكن ماذا عن الأجداد الأوائل، هل ارتكبوا بعضاً من هذه الأخطاء التي أشرت إليها؟
- الناجون منهم هم ثلثة من الأولين وقليل من الآخرين، أما أنت وغيرك من بعض الأبناء والأحفاد فقد فصلناكم عن الأولين والآخرين لنجعل منكم ومنهم الحلقة التي يتحقق بها التجديد والتغيير.
- وفيم أخطأ بعض الأجداد؟
- أخطاء الأجداد وإن كان بعضها لا يُعترفُ فهي تُعدُّ حافزاً قوياً لتجديد الأجيال. وأفدح خطأ ارتكبه السابقون هو أنهم لم يعرفوا كيف يحمون ذريتهم من أهل عوالم كُشِفَتْ لهم. فأقحموا أبناءهم - عن قصد أو بدونه - في وساطاتهم وأعمالهم الروحية والمندليّة، وحينما غادروا هذه الدنّيا، تركوا الأبناء والأحفاد ضائعين يُقاتلون بعدهم وسط جيوش هائلة من الوحوش الكاسرة، ولا ذنب لهم في الأمر سوى أنهم ورثوا عهودهم ووعودهم

وتوكيلاتهم وأثقالهم، وفيهم من يعلمُ بذلك وفيهم مَنْ لا يعرف شيئاً عن حياة وأعمال الأجداد السابقة.

- متى يُخطئُ العارفُ يا سيدي؟

- حينما يكبرُ فيه الفضول المعرفي. ألمَ تسمعي بقوله تعالى: "ولا تجسسوا"؟ ألمَ تسمعي بأصحاب الفيل الذين ترميهم الطير الأبابيل بحجارة من سجيل؟ ألمَ تسمعي بشواظ النار والنحاس، وبالخطفة المتبوعة بالشهاب الثاقب؟ قولي لي أنتِ يا أسماء من المقصود بالحجارة والشواظ والشهاب؟ أليس كلَّ متجسسٍ متلصصٍ يريدُ الكشفَ عما حُجبَ عنه؟! ومن هُم في زمانكِ وزمان الأجدادِ هؤلاء الذين يخوضون فيما لا يعنيههم، ويدلون بدلائهم في كلِّ شيء، ويدعون معرفة الغيب، أوليسوا هؤلاء "العرفاء" الذين ما فتئتِ الأجيالُ الجديدة تسعى وراءهم وتكتبُ عنهم بسذاجة وبراعة طفلٍ؟!

- مهلاً، مهلاً يا سيدي، يبدو أنكِ تتحدّثُ عن "عرفاء" آخرين لا يعرفهمُ الباحث ولا الناقدُ الجديد، فالتجربةُ الدوقيةُ تُعلمهمُ أنّ العرفاء الأحقاء هُم من ليستُ فيهم هذه الصفات التي أشرتُ إليها في كلماتك، أي أولئك الذين تطهّرتْ أفئدتهمُ من التجسس والتلصص على القلوب وادّعاء العلم بالغيبيات وما إلى ذلك من الأمور.

- طبعاً هذا هو العارف الحقّ، وهو أيضاً ذلك الذي لا يُعرّف نفسه أبداً بين الناس بهذه الصّفة، وإذا حدث وظهرت فيه فإنّه يسعى دائماً إلى إنكارها وإخفاء أثرها عليه. وكثيرٌ همّ العرفاء الذين لا يعلمون أنهم كذلك. وقد يكون العارف طفلاً أو شيخاً، أو طفلة أو امرأة بسيطة جداً، لا تدّعي علماً ولا معرفة، ولا تسعى أبداً لكشف أيّ شيء مهما عرفت أو اطّلت. لذا فإنّي أقول الآن بين يديك، أنّ العرفاء بينكم اليوم يعدّون على رؤوس الأصابع وفي الأكوان كلّها، وجُلّ من يظهر على كوكب الأرض همّ متعرّفون خريجو الرّوايا والتكايما وتلاميذ الشيوخ وهلمّ جرّاً، وهم في قتال مستمرّ، يُصقّون بعضهم بعضاً، وعيونهم على المشيخة والكراسي، والخرق والرّتب والتلاميذ والأتباع وما إلى ذلك من الأمور التي يستدرجهم بها إبليس وأعوانه من قبيل السّحر والدّجل والشعوذة وغيرها. وفي المقابل قد تجددين العارف الذي عليه العين إسكافياً بسيطاً مثلاً، أو طبيبياً، أو مهندساً أو فلاحاً أو نجّاراً، وقد تجدينه أيضاً قاضياً كاتباً مثلي بمطربة وميزان، ولكنّ القارئ لا يعرفه لأته صاحب لغة خاصّة جداً. وقد تجدينه أيضاً امرأة ذات حكمة عميقة، تكتب بتأييد ربّانيّ وتقول لك ما يقلبُ كيانك ويزلزلُ موازينك حتّى أنّك قد تظنّها زنديقة أو مارقة! وما دمنّا عن الكتابة نتحدّث، فهذا يعني أنّنا

بصد الكلام عن الثقافة، والثقافة الحقّة لمن لا يعرفها حربٌ ضارية، لأنها تُشهرُ سلاحها ضدّ الجهل وأهله. لذا عليك أن تكوني وأنتِ بين الكتابِ المتعرّفين ممّن يدعون النباهة والمعرفة، مُقاتلةً شرسةً يقظةً وعلى وعيٍ بما يدور حولك، ويستجدُّ في ساحة القلم من فيوضات تُميّزين فيها بين ما هو ربّاني خالص وما هو شيطاني لا غير.

- ما تقوله يُبرّرُ كيف أنني كنتُ أحرصُ على ألاّ أعطيَ لكاتبٍ ما كيفما كان انتماءه العرقيّ أو الفكريّ أو الدينيّ، صفةً "العارف" إلاّ بعد أن أكون قد أدخلته إلى كهفِ الغرلة والتّطهير، وأنتِ أعلم بهذا منّي يا سيّدي: فأنا النّساجة المُعزّبة صائغة التّبر والماس، ولستُ أحكمُ على النّاس بمظاهرهم ولا بأقوالهم أو بما قد يبدو من أفعالهم، وإنّما بالقلوب وما تُخفي من أسرار، ولأجل هذا تجد أنّه ما مرّ عليّ اسمٌ كتبتُ عنه إلاّ وغمسته في نهر الأردن قبل أن أُعبرَ به إلى أرض كنعان. وأنا أرض كنعان يا سيّدي، أنا أرض المنّ والسّلو، وكلُّ من وصل إلى ترابي ومائي فهو آمن.

- أعلمُ ذلك أيتها الهوما، وقد كنتُ أرى كيف أنكِ كنتِ تضعين على هاماتهم التّيجان، وتجعلين كلَّ واحدٍ منهم ملكاً مدججاً بالنيّاشين والأوسمة، ولكنّي هنا أيضاً لأخبركِ بأنّ بعض هؤلاء

الَّذِينَ كُنْتَ تَعْلِنُ وَتَرْفَعِينَ مِنْ شَأْنِهِمْ، كَانَ فِيهِمْ مَنْ يَفْعَلُ ضِدَّكَ مَا لَا يَخْطُرُ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ. لَقَدْ كُنْتُ أَر_اقِبُهُمْ جَمِيعاً وَأَر_اقِبُ أَيْضاً كَيْفَ كُنْتَ تُحَوِّلِينَ أَدَاهُمْ وَسُمَّهُمْ إِلَى عَسَلٍ مَصْفَى تَبْهَرِينَ بِهِ قِرَاءَةَ الْمُخْلِصِينَ وَالْمُحِبِّينَ، مُكَلَّلَةً بِصِمْتِكَ دُونَ أَنْ تَبْوَحِيَ أَوْ تُعَبِّرِي عَنِ أَلْمِ أَوْ شَكْوَى. وَلِهَذَا كُنَّا مِنْ حِينَ لآخر نَتَدَخَّلُ مِنْ سَفَارَتِنَا هَذِهِ لِنُعَاقِبَ الْبَعْضَ مِنْهُمْ، وَلرَبِّمَا تَكُونِينَ قَدْ انْتَبَهتِ لِلأَمْرِ.

- لا، لم أنتبه، فقد كنتُ منشغلةً بِشُرْبِ السَّمِّ الحُرُوفِيِّ كُلِّ يَوْمٍ وَعَلَى مَدَى عَشْرِينَ سَنَةً أَوْ رُبَّمَا أَكْثَرَ. وَلَا يَعْنِينِي أَمْرُ هُوَلاءِ الَّذِينَ تَتَحَدَّثُ عَنْهُمْ فِي شَيْءٍ. وَلَا يَحْضُرُ وَلَنْ يَحْضُرَ فِي قَلْبِي وَلَا فِي فِكْرِي مَا حَبِيبْتُ أَيَّ إِسْمٍ مِنْ أَسْمَائِهِمْ نِسَاءً كُنُّ أَوْ رَجَالاً. لِأَنَّ العَارِفَ الحَقَّ عَلَيْهِ أَنْ يَعْلَمَ جَيِّدًا أَنَّهُ إِذَا كَتَبَ لِغَيْرِ خَالِقِهِ شَطَبَ اسْمَهُ مِنْ كِتَابِهِ، وَإِذَا وَهَبَ عِبَارَاتِهِ لِغَيْرِهِ أَخْرَجَهُ مِنْ كُلِّ خُطَابَاتِهِ، وَإِذَا فَتَحَ بَابَ قِصْرِهِ لِغَيْرِهِ طَرَدَهُ مِنْ مَلَكُوتِهِ.

- بِالضَّبْطِ، وَإِنَّهُ لِيَهْمَنِي جَدًّا أَنْ يَعْلَمَ العِرْفَاءُ اليَوْمَ، أَنَّ الكَاتِبَ مِنْهُمْ إِذَا كَانَتْ لَهُ صَفْحَةٌ أَوْ حِسَابٌ عَلَى الفَيْسِبُوكِ أَوْ غَيْرِهِ مِنْ مَوَاقِعِ التَّوَاصُلِ الاجْتِمَاعِيِّ فَعَلَيْهِ أَلَّا يَفْرَحَ بِكَثْرَةِ "الصَّدَاقَاتِ" فِي صَفْحَتِهِ فَنِسْبَةٌ كَبِيرَةٌ مِنْهُمْ مَا هُمْ سِوَى شَرِذْمَةٍ مِنَ المَنَافِقِينَ وَالحَاسِدِينَ وَالحَاقِدِينَ، وَعَلَيْهِ أَيْضًا أَنْ يَحْدَرَ اللَّصُوصَ،

أصحاب التّناصّ والتّلاصّ. لا تندهشي يا أسماء وأنت تسمعين كلامي هذا، فنحن أصحاب العلوم كلّها بما فيها هذه الإعلاميات الجديدة، ونعلم ما يجري في فضاءاتها ودوائرها، ولا نقُولي لا أنتِ ولا غيركِ من العرفاء إنّ الفكر لا بدّ سيرتقى بذائقة كاتبٍ ما في هذه المواقع ويُطهّره! في الفيسبوك لا يوجد شيء من هذا الرّقيّ الذي تعتقدين فيه وهو غالباً ما يحدثُ فوق الورق فقط، أمّا الواقع المرّ فهو شيء آخر تماماً. لذا لا بدّ لكلّ كاتبٍ مُتتوّرٍ أن يجمعَ نصوصه من هذه السّوق الفارط أمرها ولا يُطلعها إلّا على من يثقُ بهِ حقّاً وحقيقةً ويستحقّ ذلك فعلاً وقولاً. كما عليه إلّا يثقُ بكلّ من يدّعي الاهتمام والمحبة، ويبادر إلى التّعليقات المعسولة، فربّ مهتمّ ما هو سوى لصّ حقيقيّ: يسرقُ أسماء من يتعاملُ معه الكاتبُ أو تجمعهُ بهم مشاريع ثقافيّة، ويبادر لطرح نفسه عليهم وإرسال نصوصه إليهم وله أن يتخيّل الباقي. أمّا أنتِ أيّتها الضيفة التي بصددِ قراءتنا الآن، فاعلمي أنه إذا كُنْتِ أنتِ أيضاً كاتبةً ولكِ باع طويل في التّدوين والإصدار، فاحذري الكُتاب من حولك، ولا تعتقدي أنّ فيهم من سيفرح لنجاحاتك ويُهَلّلُ لك، بل على العكس من ذلك تماماً يا صغيرتي النائمة في العسل: سيسرقونك جهازاً، ويعرقلون مسارك بكلّ الوسائل، وإذا حدثَ وكتبَ أحدهم عنك

فلكي يقول فقط إن نصوصك ممتلئة بالأخطاء اللغوية مثلاً، أو ليقرّم فكرك. فالفاشلون حولك لا يحبّون أن تكون بينهم امرأة مفكّرة ذات فكر متوهّج وقّاد. إنهم عصابات من المحسوبين على الحرف، يتاجرون بكلّ شيء، ويسرقون الكحل من العين، ويفعلون ما لا تتخيلينه من أجل تقليص انتشارك وحجب حرفك لكي لا يصل إلى المكتبات ولا يخرج من المحلي إلى الوطني ثمّ الدولي. أمّا أنت أيّها الغارق في التّوم العميق، فلا تضع حياتك على هذه المواقع، واجمع صور أطفالك وبينك ومكتبك، فنحن في زمنٍ يحسدون فيه الأصلع على شاربه. وإذا كتبت، فاكتب بعيداً عن أعين هؤلاء الموبوتين، أصحاب الجرب الفكريّ المتشدّقين بكلّ شيء. ربّما ستقول لي، إذن ما العمل؟ هل نغادر هذه الصّفحات والمواقع؟ وأقول لك: ضع فيها ما قلّ ودلّ: خبر إصدار جديد مثلاً، صورة لقاء ثقافيّ، رابط لقاء إذاعيّ وهكذا، ولا تحتفظ إلّا بالخُص من الأصدقاء النّادرين جداً جداً. وانتبه أنّي هنا لا أقول الأهل والأقارب، فهؤلاء أول من يُدمرُك، إلّا من رحم ربّي وقذف في قلبه نوراً وسكينة وطمأنينة. وابتعد عن مصاصي الطّاقة؛ أولئك الذين يكتبون لك في الخاصّ كلّ ساعة وكلّ يوم وكلّ ليلة، ويحدّثونك في كلّ شيء ولا شيء، ويريدون لو تقرأ لهم كلّ أعمالهم المحتضرة،

التي لا فكر ولا روح فيها ولا حياة. هذا النوع من الناس خطير جداً، لأنه يصيبك بالوهن من حيث لا تشعر، وتجد نفسك وقد انتهى يومك، وأنت لا جهد ولا قوة فيك لتقوم بأي شيء آخر في الحياة؛ وإذا بحثت عن شيء في هذه المواقع فلا تبحث عن صديق، وإنما عن معلم للروح، لأن الصديق يخون، والمعلم غني بالعطاء وليس بحاجة لأحد. ولتعلم أن الحياة الحقة لا تقتضي منك أن تكون مفكراً أو فيلسوفاً أو حتى عالماً بالمعنى الحرفي لهذه الصفات، وإنما أن تكون رحالة! على قلبك أن يرحل في أعماقه، عليه أن يكتب كثيراً ليدخل إلى الكون من باب الحرف. لأن القلب الرحالة في فيافي الجسد والروح يكتشف أبهى معاني الوجود، ولكي يحدث هذا يجب التحلي بالجنون الواعي، الذي أعني به هنا الوعي العرفاني، أي ذلك الذي تكتشف به أن الحياة لا تكتمل، والوجود لا يلتجم إلا في حضرة المتناقضات والمتضادات. فالعقل وحده لا ينفع، فماذا فعلتم يا ترى بهذا الكم الهائل من المفكرين والفلاسفة في كوكبكم؟! لا شيء، لا أحد فيهم يستطيع أن يقول لك إنك حينما تُحب مثلاً فإنك تتجه أيضاً إلى الكراهية، أو إنك حينما تكتسب صديقاً فإنك تكتسب في الوقت نفسه عدواً، أو أنك حينما تكون في حالة سلام مع نفسك فإن الحرب تكون أيضاً على الأبواب!

الأمر يُشبهُ حركةَ بندولِ السّاعةِ حينما تراهُ يتّجهُ نحوَ اليمينِ فاعلم أنّهُ في حركتهِ هذهِ يستجمعُ الطّاقةَ الّتي ستدفعه بعد قليلٍ نحوَ اليسارِ، لكنّ العقلَ لا يرى هذا الأمرَ، فهو لا يؤمن سوى بالحركةِ إمّا نحوَ اليمينِ أو نحوَ اليسارِ، كذلكِ بالنّسبةِ للحبِّ، أنتَ حينما تحبّ لن تصدّقَ نفسكَ بأنك أيضاً تتّجهُ نحوَ الكراهيةِ، لكن الأمرُ هو هكذا حقيقةً، وحينما تصادقُ إنساناً سواءً هنا في هذهِ المواقعِ أو خارجها لا يمكنك أن تتصوّرَ أنّك أيضاً عدوّهُ، هذه هي الحقيقةُ وإن لم تتقبّلها. لكن اسأل نفسكَ ماذا يمكن أن يحدث لو أنّك رأيتَ الحقيقةَ بوجهيها المتناقضين؟ أعتقدُ أنّك سترى الكونَ كهرباءِ خالصةٍ وستنكفّ عن التّساؤلِ، لأنّك ستكون قد حلّلتَ لغزَ الحياةِ الّذي يقتضي منك أن تتقبّلَ السرّ بقلبِ طفلٍ، لا بعقلِ فيلسوفٍ ولا مثقّفٍ ولا عالمٍ، والطفّلُ الحقّ لا تستهويه أبداً مواقعُ التّواصلِ هذهِ، إنّهُ منشغلٌ بالاكْتِشافِ والكتابةِ الحقّةِ! آآه، كدتُ أنسى: إذا كنتَ كاتباً مُبتدئاً، فلا تبحث عن الكُتّابِ المشهورين، أصحابِ الصّفحاتِ ذاتِ الآلافِ المؤلّفةِ من المتابعين، فمن يدريكَ فقد تكون أنتَ أفضلُ منهم بكثيرٍ، ويكون حُرْفُكَ صاحبَ تأييدٍ ربّانيّ لا نظيرَ له، ولأنّك طيّبٌ جدّاً ونقيٌّ جدّاً، سوفَ تعتقدُ أنّك قد تَسْتفيدُ منهم شيئاً... احذر ثمّ احذر، فربّما كاتبٌ منهم تتبهرُ بشهرتهِ

وكثرة كتبه المنتشرة في أصقاع العالم، يرى حرفك أمامه فيستهويه ويحبّه، ثم يسجّله عنده وينسبه لنفسه وينشره، وأنت يا مسكين لأنك مبتدئ ولا حول لك ولا قوّة، ولا أتباع ولا مهرّجين ومطبّلين حولك، سوف لن تعلم بالأمر، وإذا علمت وقلت إنّ ذاك حرفك، فلن يصدّقك أحد. لا تتفاجأ يا صغيري، هذا هو بحر الكتابة، وهؤلاء هم الكتاب والأدباء في عالمكم اليوم... ولو بقيت هنا لأحدتكم عنهم، فلربّما تعاف الكتابة وأهلها وتطلّقت إلى الأبد، يكفي فقط أن أدرك بقوله سبحانه وتعالى: ((يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةَ مَنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۗ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ ۗ إِن كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ)). واعلم أنّه في ساحة الكتابة العرفانية لا يوجد شيء اسمه صداقة بين كاتب وآخر، أو بين كاتبةٍ وأخرى، لا سيما وأنّ المرأة لا تحبُّ امرأةً غيرها، ولا تُخلص لها الإخلاص الحقّ، إلّا قلّما ندر، وتحبُّ كثيراً أن تصاحب الأقلّ منها جمالاً وفتنةً وعلماً، وإنّ كانت من "العارفات"!

- مهلاً مهلاً، توقّف بعض الشّيء أيُعقل أن تتفهقر العارفة في مسارها الروحي فتخون وتغدر؟
- ألا تصدّقيني؟ اجمعي في الحياة بين أكثر من امرأةٍ تعتقد في

نفسها العرفان، وضعي بينهنّ حرفاً واحداً عارفاً وسترين ما يُذهلك. سينتهي العرفان والكمال وكلّ شيء، وتبدأ حروبُ الرّدة بينهم جميعاً. في الكتابة والنّقافة يا أسماء احذري المرأة مرّة والرّجل ألف مرّة. فالأولى محكومة بغيرتها الإستروجينية، والثّاني محكوم بتيستوستيرونيّاته وأمجاده الفحولية والقلبية العشائرية التي لا تسمح له بأن يرى أمامه امرأة بسيفٍ حروفيّ تقارعه بالبيان والبلاغة ولا تلتفتُ إلى شواربه ومركزه وهيبته الموبوءة. هذا النّوع من الكاتبات يُحارّين يا عزيزتي، ولا يتمّ التّرحيب إلّا بالجوّاري والإماء صاحبات النّفخ والشّفط والسّليكون، والسّهر حول الموائد واللّيالي الملاح .

وقد تقولين لي وماذا عن العارفِ الكاتبِ مثلاً، هل يُمكنُ مصاحبته والتّعاونُ معه في ساحة الحرف؟ واعذريني إذا قلتُ لك، عليك أن تستحقّينه إذا كان عارفاً حقّاً وفقاً لشروطنا ومواصفاتنا الرّسميّة، والشّيء نفسه بالنسبة لكاتبٍ أمام عارفةٍ حقّة، عليه أن يستحقّها هو الآخر. ولأنّ العرفاء الأحقاء يُعدّون على رؤوس الأصابع في الأكوان كلّها، فاعلمي أنّ العارفة أو العارف الذي عليه أو عليها العين، لن يلتفتَ إليك إلّا إذا رأى في حرفك نوراً وهاجاً لدنيّاً. وإذا حصلَ القبول والصّداقة فلا يكونُ هذا من باب الشّيخ والمريد وإنّما من باب مُعلّم يرافقُ

معلماً ويصاحبه، فتحصلُ البركة، ويتكاثرُ الحرفُ، ويشعُّ النورُ وتُفتحُ خزائن الأبدية.

- كلامك يُربكني جداً أيها القاضي العادل، ولهذا فإنني بحاجة الآن إلى أن تُفصِحَ أكثر فأكثر وتقول لي ولمن يقرؤنا كيف يُمكنُ لعارفٍ أن يتجسَّسَ على عارفٍ مثله؟ وهل هذا يُمكنُ أن يحدثَ في أرض الواقع حقاً وحقيقة؟

- لنضبط الكلمات أولاً قبل إلقاء الجواب: العارف بالله لا يتجسَّسُ أبداً، إنّما مَنْ في قلبه مرضٌ هو من يفعل ذلك. أمّا كيف يحدثُ فعلُ التجسُّس، فهنا المعادلة العجيبة، إذ لا يمكن لمن في قلبه مرضٌ أن يتجسَّسَ على عارف بالله، إلّا إذا سمح له هذا الأخير بذلك.

- كلماتك هذه تشرح سؤالك لي: لماذا فتحتِ البابَ يا أسماء؟

- بالضبط، وهذا سؤال كما وجّهته لك منذ بداية هذا الاستنتاج الحواريّ، فهو موجّه إلى كلّ عارفٍ بالله في الأرض قاطبةً. وهو مُلزم بالجواب عنه متى ما تسمَحُ ظروفه بذلك أثناء خلواته التّفكّريّة والتأمليّة، لأنّ ما مرّ بك من تجارب وأنت في محرابك الحروفي لا بدّ قد مرّ على عرفاء آخرين ابتليناهم مثلك بمحبّة الحرف وعشق النّقطة، وهم الآن بصدد قراءتنا وقد يفيدون كثيراً من حواراتنا هذه في تعاملهم مع المتعرفين والمتصوّفين.

اعلمي يا أسماء أنّ الإنسان كلّ إنسان هو عبارة عن جهاز راديو مزدوج المسار، أي أنّه جهاز استقبال وإرسال. ومتى فُتِحَ الإرسالُ حصلَ الاستقبال. إذن فالعارفُ هو مَنْ يُرسل الإشارة دون أن ينتبه لذلك، وكلُّ مَنْ يَحْضُرُ في تردّداته الطّاقية في تلك الأثناء يحدثُ عندهُ الاستقبال. وهو الأمر الذي إذا تحقّق وقعَ بعدهُ التّشابكُ مُباشرةً، وإذا كانتِ الرّوحُ المتشابكة والمشبوكة في قلبها مرضً أنثى كانت أو ذكراً، وقعَ التلصّصُ والتجسسُ بشكل آليّ وارتفعت ذبذبات الفضول المعرفيِّ لدى الطّرف المُستقبل، وأصبح مُرابطاً أو مُرابطةً في دائرته يهّمه أو يهّمها كلّ شيءٍ عن العارف المطلوب، ولا فكاكَ له منه أو منها.

- وأيننا يا سيّدي من القاعدة التي تقول: "إنّ كلّ نفسٍ لما عليها حافظ؟" أينهم المعقّبات، والحفظة البررة الكرام في كلّ هذا؟ بل أينك أنت؟ ولماذا تسمحُ لمثل هذه الأمور أن تحدث؟
- عادة ما نندخلُ حينما تكون النفسُ حافظة للعهد والوعد، فيقعُ الحِفظُ بشكل تلقائيّ. وفي حالتك شئنا أن تنتبهي للأمر بنفسك، وكنا نُرسلُ لكِ الإشارات والرّوى التي كنا نفسرُ فيها كلّ شيءٍ.
- ما يظهُرُ لي الآن، هو أنّكم كنتم تريدون أن أنتبه إلى وجودكم وحضوركم، أكثر من حضور أو ظهور الطّوارق والعوارض من شياطين الإنس والجنّ.

- بالضبط؛ هل تذكرين السجّاد الأزرق؟ هل تذكرين الملوك
الفراعنة في القصر؟ وهل تذكرين زلازل الرّأس؟
- وكيف أنسى؟ والآن يتأكّد لي أكثر فأكثر أنّك تميّز في أهل
العرفان والصّوفيّة بين قسمين من النّاس: العارفُ والمُتعرّفين،
والصّوفيّ والمُنصوّف.
- نعم، وأنتِ قد كتبتِ عن هذه الحقيقة في أكثر من إصدار لك،
ولم تكوني أبداً مُغيّبةً أو نائمة في العسل، بل كنتِ اليقظة
المتنبّهة التي تنتقدُ الدّجلَ الفكريّ لدى هؤلاء المُدّعين، وإذا كنتِ
هنا أحاوركِ بشكل صريح ومباشر، فلأمنح فرصة للآخرين ممّن
ينخدعون بهؤلاء الشّرذمة المارقة من المتعرّفين والمتصوّفين
المتفتّحين بقناع الطّهارة والعبادة والتبثّل علّهم يعيدون التّفكير في
حياتهم التي قضوها في تمجيد وتبجيل من لا يستحقّ هذا أبداً.
- صُبّ لي السّمّ في الكأس يا سيّدي، ولا تخش شيئاً. وأنتِ وإن
كنتِ تقول إنّني متيقّظة إلا أنّني مازلتُ أريد أن أستيقظ أكثر
فأكثر، صُبّ مرّة تلو المرّة، ودعني أتجرّع المزيد ثمّ المزيد من
هذا السّمّ الرّعاف.
- السّمّ مرّ جداً وقد يُسكركِ فلا تقومين بعد ذلك.
- سُكّري وسكّراتي سيكونان سُكّر وسكّرات موتٍ يا سيّدي، وأنا
أريد أن أموتَ لأرى أكثر فأكثر.

- سَتْرَيْنَ يا أسماء، سَتْرَيْنَ ما نريدُ نحن أن تَرِيهِ. وما يكفِيكَ
ويكفي قُرَّاءِكَ ليظهرَ لكِ ولهُمُ الجميعُ على صُورِهِمُ الحَقَّة.
- كلَّ هذا يحدثُ لأنَّني فتحتُ بابَ الكتابَةِ لأُصدِرَ كنوزي الَّتِي
كانت مخبوءة في أدراجي؟!
- الباب بصيغة المذكَر، تذكّري هذا جيِّداً أمّا الباب بصيغة
المؤنَّث أو بابَ المُلكِ والمَلَكوتِ، فلمُ نَسْمَحْ ولن نَسْمَحْ لأحد أن
يقترِبَ منها أبداً، ومنذ ثمانِ سنواتٍ مضتُ حاولتُ روحَ واحدة لا
غير أن تفعلَ هذا فرميناها بالشَّهابِ النَّاقِبِ، وكانت نهايتها
مؤلمة جداً جداً فقط لأنَّها راودتها فكرة القفز على أسوار
مملكَتِكَ.
- أولي مملكة يا سيدي؟
- طبعاً لكِ مملكة وجاه وسلطان، مثلكِ في هذا مثل كلِّ إنسان
عاهد الله تحت الشَّجرة.
- ماذا تقصدُ بالشَّجرة يا...؟
- اسمي رضوان، ناديني برضوان.
- ماذا تقصدُ بالشَّجرة يا رضوان؟
- شجرة العذريَّة. شجرة الفتيات العارفات بالله. العارفات حقّاً
وحقيقة، لا المُتعرِّفات يا أسماء. شجرة من لم تُفكِّرْ قطُّ في أن
تفتحَ بابها لأحد به فضول ليرى الجاه والسُّلطان والمُلكَ

والملكوت. العارفاتُ الكاتباتُ اللَّائِي يحجبن أنفسهنَّ عن الجميع
وإن كان فيهم أولياء الله.

- أنتَ هنا تُعَيِّرُ مفهومَ العذريَّةِ وأخدارِ الحورِ العينِ يا رضوان.
- أنا لا أُعَيِّرُ، أنا أُثَبِّتُ القانونَ والقاعدةَ المسنونين منذ البدء.
تذكّري جيِّداً هذا، بل تذكّري القاعدةَ اللَّيِّ تقول: "لم يطمئنَّ
قبلهم إنس ولا جان". أي لم يدخل قصورهنَّ قبل أحد. ولا طلب
القران بهنَّ قبلُ أحد.

- ذكّرتني برابعةِ البصريَّةِ وأنتِ تتحدّثُ عن الرِّوَّاجِ. أنتِ تعلمُ
طبعاً أنَّه كان قد طلب يدها العديد من رجال العرفان في زمانها،
لكنَّها كانت ترفضُ بشكل قاطع وجازم. لماذا برأيك كانتِ تفعلُ
هذا؟

- سيقولُ السَّدُجُ من النَّاسِ لأنَّ عشقها كان خالصاً لله، وسيقول
المتفلسفون المُتَفَيِّهون والمُتَعَيِّلون لا سيما علماء النَّفس فيهم
من كلِّ دين وملة، إنَّها فعلت ذلك لأنَّها فقدت الأمل في
الرِّجال، ومَرَّت بتجارب فاشلة في حياتها الماضية فقررتُ أن
تُغلقَ دونهم الباب. لكنني أقول لكِ أنتِ فقط: تفكّري ودقّقي
النَّظر فيما قالته للحسن البصري وستفهمين لوحدك المغزى
العظيم.

- الحسن البصري؟! يا إلهي كيف فاتني هذا؟ أجل لقد كان هو

- أيضاً ممّن طلب منها الزّواج.
- لا يا أسماء، لم يطلبِ الزّواج، بل طلب النّكاح. وثمة فرق كبير بينهما يا طفلي الحبيبة.
 - طبعاً، بدليل أنّه قال لها: "هل ترغبين في النّكاح؟"، ولم يقل لها في الزّواج.
 - وماذا كان جوابها يا أسماء؟
 - قالت له: "إن عقد النّكاح يجرى على وجودٍ والوجودُ معدوم هنا، فإنّ نفسي أعدمته الوجودَ وإنّني وُجدتُ به، وكلّيتي متعلّقة به، وفي ظلّ حكمه".
 - هذا حوار بيّن عارفين حقيقيّين يعلمان جيّداً المعنى الفصل لكلّ كلمة ينطقان بها.
 - الآن فهمتُ، لقد كان البصريُّ يطلبُ من رابعة أن تُصبحَ أنثاهُ العقليّة.
 - بالضبط، وذاك ما فعله ابن عربيّ مع نظام ابنة الشيخ أبي شجاع بن رستم الأصفهاني، وجلال الدّين الرّومي مع شمس الدّين التّبريزيّ. وهو الأمر الذي يقتضي من الأنثى العقليّة أن تُسلمَ لمن يقترنُ بها من العرفاء مفاتيح قصرها وملكوتهها بالكامل، ليتصرّف به كما يشاء ويحلّو له فتُصبح هي النّون التي يغمسُ فيها ريشته ويخطُّ بها علمه وعلومه.

- صُبَّ لي المزيد من السمِّ يا سيِّدي، فقلبي ظامئٌ، وروحي تحترقُ.
- أن لك أن تطلبي الترياقَ لا السمَّ يا أسماء.
- سُمَّكَ هو ترياقِي وترياق كلِّ روح ظامئةٌ يا سيِّدي رضوان، فاملأ الكأسَ ولا تبالي، وقل لي كيف أن شمساً التبريزي كان أنثى الروميِّ العقليَّة وهو رجل؟
- في الأنثى العقليَّة لا يوجد فرق بين رجل وامرأة. ونحن نسَمِّي أنثى عقليَّة كلَّ روح مُلهمة رضيتُ بأن تكون القرينَ الفكريِّ لعارف أو عارفة ما. وهذا أمرٌ تطرقتَ له في إصدارك الجديد (كأسُ السمِّ)، ونحن على علمٍ بما جاء فيه.
- رابعة إذن كانت أذكى من الجميع، ورفضتُ أن ترفع عن نفسها الحُجْبَ.
- لا، لم ترفض رفع الحُجْب عن نفسها، ولكنها رفضتُ فتح الباب بصيغة التأنيث، أي بابَ المُلكِ والملكوتِ، وكلَّ عارفة حقة عليها أن تفعل مثل ما فعلت رابعة، عليها أن تصون كنوزها وتحجبها عن الأنظار. ونحن لا نقصدُ حرمان العارفات من الزَّواج الأرضيِّ، فهذا أمر آخر لا علاقة له بما نحن بصدد مناقشته من قران عرفانيِّ، ولا نقصدُ أيضاً حرمانهنَّ إذا كنَّ صاحباتُ قلم من الحياة العامَّة وما إليها، وإنما نقصدُ أن تكُنَّ

واعيَاتٍ بالأخطار المحدقة بكنّ، وأنتِ ومثلكِ نساء أخريات سرّ
عظيم لا ينبغي أن يطلع عليه أحد وإذا حاول مُغامِر أهوج فعل
ذلك محوناه من لائحة الوجود.

- أنتِ تُخيفني بكلماتكِ هذه، وقد أصبحت قلقة على إخوتي في
الحرف والإنسانية ممّن اقتربوا من حرفي، فهل تقصد منهم أحداً
بعبارتك هذه؟!

- اطمئني فكلّامنا لا نوجّههُ لكنّ فقط أيّتها العارفاتُ ولكن للعرفاء
أيضاً، وهم مطالبون كذلك بعدم فتح الباب بصيغة التّأنيث لأحدٍ
كيفما كان جنسه وموطنه أو كوكبه، ولا بدّ لهم أيضاً من
المرابطة تحت شجرة العذريّة. ثمّ تعالي هنا، من ذا الذي
يستطيع أن يقترب منكِ أيّتها العارفة المجنونة، ونحن هنا حولكِ
ومعكِ أينما كنتِ وحللتِ؟! كوني على يقين بأنه إلى اليوم لم
يقترب من حرفكِ أحد بالشكل المطلوب، ومعظم أولئك الذين
كتبوا في تجربتكِ شيئاً لم يفهموا من حرفكِ قطميراً. فأنتِ وقلّة
قليلة من إخوتكِ العارفات والعرفاء سرّ يا أسماء، حاولي أن
تفهمي هذا. والآن أعتقد أننا شارفنا على الانتهاء من حوارنا
الشيق هذا، ولم يبق لي سوى سؤال واحد، أرجو أن تجيبي عنه
بكلّ ما تملكين من شجاعة ويقين: هل لديكِ شكوى أو طلبٌ
تريدين رفعه إلى الربّ المَنان؟

- هل يُمكن للعارف أن يطلبَ من نفسه شيئاً؟ لا وساطة ولا شفاعة بيني وبين خالقي يا رضوان، فإذا أردتُ شيئاً أرادهُ هو أيضاً. وإن كنتَ أنتَ الآن حاضراً هُنا، فهذا فقط من أجلِ فعلِ كتابيِّ نُفصِحُ بهِ معاً عن بعضِ من الرّسائلِ الحروفيةِ التي نريدها أن تصل للقارئ في كلِّ زمان ومكان.

ولكن قبل أن نختم حوارنا هذا أريدك أن تقول لي أين تضعُ الزيارات التي يتبادلها العرفاء الأحقاء فيما بينهم؟ أعني الزيارات الروحية والبرزخية والمعاملات والخدمات الحروفية المتبادلة بينهم، هل تُصنّفها هي أيضاً وتضعها في خانة التلصص والتجسس؟

- فهمتُ سؤالك يا أسماء، تقصدين حالة العشق التي تتفجّر في قلوب العرفاء فيهبو بعضهم لبعض، وتطير الأرواح ويتبادلون الزيارات، أليس كذلك؟

- بالضبط، يهمني جداً أن أعرف كيف يحدثُ هذا؟

- إنهُ العشق يا أسماء، وهذا النوع من اللقاءات الطاهرة النقية يحدث بشكل تلقائيّ وعفويّ جداً. وكلّما كان القلب طاهراً كان حضوره لدى توأم روحه نورانياً، شيء يُشبه حضوري الآن بين يديك، وحضور الملائكة في الأماكن التي يوجد فيها الأطفال. وعليه فإنّ هذا النوع من الحضور لا يُمكن أبداً أن نُطلق عليه

صفة التلصص أو التجسس، وإنما هو حضور صحبة واستئناس، بل حفظ وصون للرقيق والصاحب. أما المتجسس والمتلصص فغالبا ما يكون حضوره حضور امتصاص للطاقة وتغذُّ على الهالة النورانية للعارف أو العارفة، وهو ما شرحته أنتِ بتفصيل في كتابكِ الجديد (كأس السم).

- لأجل هذا قلتِ إنَّ رابعة البصرية قد أحسنت صنعا حينما أغلقت الباب دون عارفي زمانها.

- لا، هي لم تُغلق الباب دونهم بالمعنى الحرفيِّ للعبارة، وإنما لم تكن تثقُ بقوتهم وصلابتهم العسكرية.

- وما دخلُ القوَّة العسكريَّة هنا يا رضوان، هل نحن في حربٍ؟

- الكونُ كلُّه في حالة حربٍ ولا بدَّ من قوَّة عسكريَّة هائلة يا

أسماء، ألا ترين ذلكَ في نفسك؟ فعلامُ الملائكة الحفظة الكرام

في ساحتكِ وساحة كلِّ إنسان، وعلامُ القرناء والمعقبون وغيرهم

من قوى النور المكلفة بالدِّفاع عن البشر؟ لا بدَّ من القوَّة

العسكريَّة، والعارف مُطالبٌ بأن يكون واعياً بهذه الحقيقة، ولأنَّ

الله جعل من كلِّ إنسان مملكة، فالمملكة لا تستقيم إذا لم تكن

مزوَّدة بجهاز قويٍّ للدِّفاع عن ممتلكاتها. ونحن لا نعني

بالمملكة المفهوم التقليديَّ الدارج لدى النَّاس، ولا نقصدُ بها جسداً

العارفِ أو العارفة، وإنما الكونُ والملكوت الروحيُّ الخاصَّ بهما،

والَّذِي لَا يُمْكِنُ لِأَحَدٍ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ مَالِمٌ يَكُنُ صَاحِبَ سُلْطَانٍ:
"يَمْعَشَرُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ".

- إذن فرباعة كانت تبحث عن عارف يكون وزيراً للدفاع الأرضي
والجوي في كل الأبعاد والبرازخ تُسلمه مفاتيح مملكتها، وحينما لم
تجده أغلقت الأبواب دون الجميع.

- بالضبط. هل مازالت لديكِ أسئلة أخرى بشأن هذا الموضوع؟

- أعتقدُ الآن أنني فهمتُ موقف رابعة، فهو لم يكن موقف بُخلٍ
منها حينما لم تقبل أن تكون الأنثى العقلية لعرفاء زمانها بقدر
ما كان موقفاً دفاعياً حتى لا يحدث لها ما حدث لعارفات
وعرفاء آخرين قبلوا بالدور نفسه. لكن ثمة شيء آخر مازال غير
واضح بالنسبة لي، لماذا قبلت بلقيس بأن تكون الأنثى العقلية
لسليمان وهي الملكة المعظمة الجلييلة؟

- لم يكن لها خيار آخر، والعارفةُ الحقّة لا تُسلمُ مفاتيحها ما لم
تجد عارفاً بدرجة سليمان أو أكبر وأقوى. أم لك رأي آخر؟

- طبعاً لا بدّ أن يكون العارف سليماناً جديداً، ليستحق بلقيس
العشق والمُلك والملكوت.

- ولا بدّ أن يكون يوسف زمانه ليجد زليخة طريقه، وهل يوجد هذا
السليمان واليوسف في عالمكم يا أسماء؟

- إِنَّهُ الْقَلْبُ يَا سَيِّدِي، قَلْبُ كُلِّ عَارِفٍ وَعَارِفَةٌ حَقَّةٌ، وَلَا بَدَلَهُ أَنْ يَصِلَ إِلَى أَقْصَى دَرَجَاتِ الْقُوَّةِ وَالسُّلْطَانِ بِحَيْثُ يَكُونُ سَلِيمَانًا بِيَدِهِ حُكْمُ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، وَإِلَى أَقْصَى دَرَجَاتِ الْجَمَالِ وَالْجَلَالِ، بِحَيْثُ يَصْبِحُ يَوْسُفًا بِيَدِهِ إِدَارَةُ شُؤُونِ الْمَمْلَكَةِ الْإِلَهِيَّةِ. لَكِنَّ الْمَشْكَالَةَ الْآنَ تَكْمُنُ فِي كَوْنِ أَنَّ الْعَدِيدَ مِنَ النَّاسِ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ الْعَارِفَ عَادَةً مَا يَكُونُ مُغَيَّبًا عَمَّا يَدُورُ حَوْلَهُ عَلَى أَرْضِ الْوَاقِعِ، وَيَعِيدًا كُلَّ الْبَعْدِ عَنِ الْحَيَاةِ الْحَقَّةِ.

- وَاهُمْ جَدًّا مَنْ يَعْتَقِدُ بِهَذِهِ الْفِكْرَةَ الْخَاطِئَةَ تَمَامًا. وَإِذَا كُنْتَ أَنْتَ أَيْضًا أَيُّهَا الْقَارِئُ تَظُنُّ أَنَّ الْعَارِفَ هُوَ ذَاكَ الْمَخْمُورُ أَوْ النَّائِهُ أَبْدًا فِي فَنَاءَاتِهِ وَبِقَاءَاتِهِ وَانْمَحَاقَاتِهِ وَأَحْوَالِهِ، فَأَنْتَ لَا تَعْرِفُ شَيْئًا عَنِ أَهْلِ اللَّهِ، وَلَا تَفْهَمُ فِي لُغَةِ الْعُرْفَانِ شَيْئًا. وَقَدْ آنَ الْأَوَانُ لِنَتَلَمَّ أَلَّا مَخْمُورَ وَلَا مُغَيَّبَ هُنَا سِوَاكَ، فَالْعَارِفُ فِي أَعْلَى قِمَّةٍ مِنَ الْإِيفْرِيسْتِ، وَأَنْتَ فِي أَحْسَفِ حَفْرَةٍ مِنَ الْجَحِيمِ. هُوَ يَقِظٌ جَدًّا، وَأَنْتَ تَغْطُ يَا مَسْكِينِ فِي نَوْمٍ عَمِيقٍ جَدًّا. هُوَ عَيْنُهُ عَلَى مَلِكِ الْمُلُوكِ، وَأَنْتَ عَيْنُكَ عَلَى جَمْعِ نَفَايَاتِ الدُّنْيَا تَظُنُّهَا جَوَاهِرَ وَآلِيٍّ. الْعَارِفُ الْحَقُّ إِنْسَانٌ فَاعِلٌ هُنَا وَهُنَاكَ، وَإِذَا كُنْتَ لَا تَفْهَمُ لِعَتِّهِ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ يَفْهَمُ لِعَتِّكَ جَدًّا. إِنَّهُ خَبِيرٌ بِأَفَاتِ النَّفْسِ وَمِحْنِهَا وَتَقَلُّبَاتِهَا. وَمَكْشُوفٌ لَهُ فِكْرُكَ وَقَلْبُكَ. لَذَا فَلَا تَظُنُّ أَنَّ لَا يِرَاكَ أَوْ لَا يَسْمَعُكَ، وَكَيْفَ لَا يَكُونُ كَذَلِكَ وَهُوَ يَرَى وَيَسْمَعُ بِنُورِ اللَّهِ،

ولا تستعربين إذا وجدته في عالمك الفيسبوكي ! صحيح أن العرفاء اليوم يعدّون على رؤوس الأصابع، لكنّ هذا لا يعني أنّهم غير موجودين. وقد تصادف أحداً منهم، ولكنك لن تعرفه حقاً وحقيقة. وأقول هذا لأنّ العارفَ كقطعة من الماس الأصيل، لا تتكوّن إلّا بعد حقب سحيقة من التحوّل الجيولوجي والكيميائيّ، وهو لهذا نادرٌ جداً جداً. وقد لا يكون في الأرض كلّها اليوم سوى ثلاثة أو خمسة من العرفاء الأحقاء، أولئك الذين يحركون الجبال من مواضعها، والمالكين لمفتاح كُنْ فيكون.

- لقد كان سليمان كاتباً، وبالكتابة استمال قلب بلقيس، فهل من كاتب اليوم كسليمان يا سيّدي؟
- كُتّابُ اليوم لا يكتبون باسم الله، وهذه هي المُعضلة الحقيقيّة.
- واحسرتاه عليكن أيّتها البلقيسات والزليخات الجديّدات: متى سيُلقي الكتابُ من جديد. متى ستقلن يا أيّها المملأ إني أُلقي إليّ كتابٌ كريم، إنّه من سليمان وإنّه بسم الله الرحمن الرحيم؟! أجبهنّ يا سيّدي، قل شيئاً يخفف من حرقة وجعهنّ العظيم.
- أيّتها العارفات والعرفاء الباكون: في الكتابة ليست كل الأقلام واحدة، فهناك القلم المشرط، وهناك القلم السيف، وهناك القلم المُسدّس، وهناك القلم الشمعة، وهناك القلم المأجور، وهناك القلم

المشبوّه، وهناك القلمُ كاتبُ التقارير السريّة، وهناك وهناك
وهناك.... اختر أيّها العارفُ أيّ قلم تريد أن تكون. أمّا إذا كنتَ
من أهل الله الأحقّاء، أصحاب القلوب المخبّطة النقيّة الوجلة،
فتأكّد أنّ قلمك، هو القلمُ النّقطة، الذي لا يكتبُ إلّا من الخزينة
الإلهيّة. وتأكّد، أنّك لهذا السبب ستسمعُ من حولك الكثيرَ من
الكلام، إذ ثمة من سينعُك بالجنون، وثمة من سيقول لك
عبارات تحزنُك وتؤذيكَ. نعم، سيقولون إنّ الغلبة في غابات
الكلمة لا تكون إلّا للأقوى والأثري، أو لمن يجيد بيع المبادئ
والقيم فوق موائد أصحاب العطالة الفكرية والبطالة الروحيّة. لكن
عليك أن تقبض على الجمر جيّداً، ولا تتصت لأحدٍ من هؤلاء،
واعلم أنّ هناك من أصحاب الحرف المنقوط من يعرف كيف
يحرّك الجبال بما يكتبه، وهذا لن يحدث إلّا إذا كنتَ تجيد لغة
الرؤى. اغمض عينيك إذن، وصِف ما ترى بداخلك، فهناك
أنت: إله عاشق. ولا تخبئ العشق تحت معطفك، فقد يمرُّ
بالقرب منك شخص يريد أن تدفئه بنورك ونارك. افتح له شرع
الحلم، وحرّك بحركك الرياح الشماليّة واجعلها تصعد إلى طرقات
القلب. افعل هذا كلّ صباحٍ وأنت تشرب فنجان قهوتك، أو
شايك أو كأس حليبك الساخن، بعيداً عن أعين الحاسدين
والمارقين والحاقدين الفاشلين في كلّ شيء. افتح شرع الرؤى،

وتمسك بالكلمة، لا تتركها وحيدة تواجه حيطان هذا العالم، وتعلم أنّ هناك العديد من الأفلام الحرّة التي سقطت في ساحة المعركة من أجل أن تحقّق نفس ما تحلم به أنت من مبادئ. افتح شرع الروى، ولا تغيّر كلمة واحدة من أنشودتك العظيمة. سافر إلى كلّ المحطّات، واركب كلّ القطارات، ودعك من أولئك الذين يريدون إحباطك، أو يقولون لك، إنّ الروى هي لغة العاجزين، وهم يعلمون في قرارة أنفسهم أنّك قد نجحت حقاً، وانتصرت انتصاراً ساحقاً. ولكن لا تنس وأنت في غمرة الانتشاء بحلاوة الانتصار، أن تمرّر أصابعك الكاتبة فوق وجه بلقيسك الجديدة، فهي جبرُ الكتابة، ودوأة النّقطة، وهي الحياة التي تخترق جدرانك لتقول لك، إنّني هنا. نعم، المرأة هي الحياة التي تحنّك حتى في لحظات الموت على زرع شجرة زيتون تزهر حينما تعبر إلى الضفّة الأخرى. افتح شرع الروى يا فتى، فكلّ شيء يمرّ؛ الأيام، والألم والعذاب، أمّا أنت فباقٍ بحرفك في ذاكرة الكون. افتح شرع الروى الواعية فقد تركت لك فوق طاولة مكتبك قصيدةً، ينقصها بيتٌ واحد، لا بدّ أن تكتبه أنت لتكتمل أنشودة الإله. افعل هذا كلّ صباح، وانس العالم من حولك، ودع الناس منشغلة بالحروب والأوبئة والمصائب. أمّا أنتم يا من تريدون معرفة المزيد والمزيد عن قضية اختطاف الإناث العقلية، فإنّي

أقول لكم إنَّ هذا أمرٌ لا يعاني منه أهل العرفان فقط، وإتّما الكثير من النَّاس هُم مغيبون ومختطفون اليوم وأكثر من أيّ وقت مضى. تكفي نظرة عميقة في حياة العديد من الأسر، وسيظهر لكم أنّه ما من أسرةٍ إلّا وفيها شخص مصاب بمرض لم يفهم الأطباء فيه شيئاً، ولم يقل فيه العلمُ كلمته الأخيرة. هناك العديد من الزّوجات والأزواج والبنات والأبناء، والخالات والأعمام مصابون بأمراض مبهمة، وهناك نساء لا يستطعن الحمل بدون سبب صريح، ورجال لا ينجبون، وهناك مشاكل وخلافات كثيرة في البيوت، وهناك شباب يتعاطون السّموم بكلّ أنواعها، فتذهب عقولهم وينتحر العديد منهم. وهناك اليوم السّموم الإلكترونيّة والمعلوماتيّة التي أدمن عليها الجميع. كلّ هذا ألا ترون فيه اختطافاً؟ لكن السّؤال الذي يُفترض أن تطرحوه على أنفسكم، هو مَنْ يا تُرى يختطفكم، ومنذ متى وأنتم على هذه الحال؟ ولستُ هنا لأعطيكم الأجوبة الصّريحة في هذا الصّدّد، وإتّما يكفيني أن أقول لكم أعيدوا النّظر في الأمر، وهناك من سيفهم كلامي من أصحاب الكشف والعروج، فكم من زوجة هي حاضرة في بيتها بالإسم فقط، في حين هي مختطفة ولها في برازخ أخرى أبناء وأسرة غير أسرتها الأرضيّة، وكلّ حياتها على الأرض جحيم في جحيم! ادخلوا إلى بحر الإناث

العقلية الذي حدثتكم عنه أسماء غريب في كتابها (كأس السم) وستفهمون للعمق ما نقول. وأنت، نعم أنت يا من تقرؤني الآن، أليست لك ابنة خالٍ مريضة ولم يتزوجها بعد لليوم أحد على الرغم من طبيبتها وجمالها وعفتها؟ نعم جمالها، لقد كانت جميلة، أعلم هذا ولكن جمالها اليوم قد تشوّه، وأصبحت تحدّث نفسها وأنت تعتقد أنها مجنونة! حلّقوا أيّها النّاس بعيداً، واطّلعو على علوم الأجداد الأوائل وسترون أنّ هناك من يختطفكم حقاً تحت ألف قناع وقناع. ثمّ أنت أيّها القارئ الحبيب أليس لك ابن سافر بعيداً وتركك تبكي حظك العاثر على الرغم من أنّك أفنيت زهرة شبابك وعمرك لتراه في أرقى المناصب والمراتب؟ لماذا يحدث هذا يا ترى، لماذا يفِرّ الأبناء من أعشاش الآباء، لماذا تتمرّد النساء على عشّ الزوجية، لماذا تنحرف البنات وتخرجن إلى طريق الفساد والسوء؟ لماذا تتأجج الحروب في كلّ مكان، لماذا يُدبّح الشباب من الوريد إلى الوريد؟ لماذا تسيل كلّ هذه الأنهار من الدماء؟ من هم هؤلاء الذين يتغذّون على دماء البشر؟ من هم هؤلاء الذين يحبّون القرابين الآدمية ويركضون خلفك أيّها الإنسان أينما كنت وحلت؟ من هم هؤلاء الذين يختطفون العالم والنّاس؟ أفيقوا يا بارككم الله، فالخطر محقق بكم من كلّ جانب، وأنتم مخمورون لا حول لكم ولا قوّة. ولأنّ الكلام في هذا المجال

كثير جداً فإنه لم يبق لي الآن سوى أن أقول: رُفِعَتِ الجلسة في يومه الاثنين ١٦ أيار ٢٠٢٢ على الساعة ٢٦:١٢ دقيقة، وأُعلنَ في الختام عن القرارات التالية:

* أُغْلِقَ بابُ الكتابة القديم الذي فتحتهُ أسماء غريب منذُ أزيد من عشرين سنة مضت؛

* تمّ تجديد الحِبرِ الذي كانت تكتبُ به أسماء غريب إلى اليوم، وتمّ في قلبها فتحُ بابٍ جديدة للخلق والخيال والإبداع؛

* وتمّ ختاماً تحديد عقوبات صارمة لكلِّ روحٍ تُسَوِّلُ لها نفسها بالاقتراب بأيِّ شكل من الأشكال من ساحة العارفات والعرفاء أهل النقطة والأليف، سدنة الحرف والكتابة، في كلِّ من آسفي ومكناس، واسطنبول وقونية، وكوالالمبور وسانداكان، وموسكو وكيف، ونيودلهي وحيدر آباد، والبصرة والنّجف وكرلاء، وقم وأصفهان، ومدن ثانية في كواكب أخرى قد نفصح عنها في جلسات أخرى. كما تمّ الإعلان عن حروب ضارية جديدة ضدّ السّحرة الفجرة الكفرة، فهذا عامُ السّحق والمحق للجبايرة الطّغاة من شياطين الإنس والجنّ في كلِّ العوالم. وتمّ أيضاً رتق كلِّ الشّروخ التي أحدثوها في أجساد العرفاء وهالاتهم النّورانية، بحيث سُدَّتْ كلُّ الطّرق والفجوات التي كان يدخلُ منها المُتحرّشون والمتلصّصون مصّاصي الطّاقة وعاطبي الأرواح

والأجساد.

بهذا تمّ الإعلام، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.



في البيت الجديد

بعد أن عادَ رضوانُ إلى خدره المكنون في مملكتي
السريّة، جاء نسريّ الأحمر وأخبرني بأنّ حياً ابن يقطان انتهى
من بناء وتجهيز البيت الجديد، فرحْتُ بالخبر كثيراً، وقررتُ أن
أعود إلى غابة العرعر والتّارنج في غضون الأيّام القليلة
القادمة. وذلك ماكان بالفعل، بحيث لم يمرّ أسبوع كامل حتّى
امتطيْتُ ظهر نسريّ الملكيّ لأجد نفسي هناك. وقبل أن أدخل
إلى البيت رأيتُ نسريّ يسبقني إليه ويغلقُ الباب خلفه. حيّرني
فعله هذا، وعدتُ إلى الغابة أبحث عن حيّ ابن يقطان علّني
أجد لديه تفسيراً لما قام به هذا الطائر العجيب. وبينما كنتُ
على تلك الحال إذا بي ألمحُ طيقيّ ذاك الملك الفرعون ووصيفته
الفاتنة الجمال بالقرب من شلال عطر التّارنج، فانقبض قلبي
وبدأتُ أركضُ نحو البيت الجديد وما إن وصلتُ حتّى شرعتُ
في طرقِ الباب بكلّ ما أملك من قوّة مُنادية الطائر الملكيّ
ومُسْتَعَجَلَةً إيّاه في القُدم، وبدل أن يفتح النسرُ فتحَ هو، هو
الذي ما إن رفعتُ إليه عينيّ حتى وقعتُ مغشياً عليّ من هول
الصّدمة!

أفقتُ من غيبوتي بعد تسع أيّامٍ كاملاتٍ قضيتها في

البيت الجديد، فتحتُ عينيَّ ووجدتهُ أمّامي بيدهُ في يدي، وقبل
أن أفتح فمي سبقني وقال:

- ششش ششش يا قرّة عيني، لا تنطقي حرفاً. لا تقولي ولا تصفي
شيئاً. أنا أعلمُ أنّك منذهلة من وجودي هنا، ومُعجبة ببيتنا
الجديد. لكن أرجوكِ لا تصفي ولا تشرحي شيئاً لقرّائكِ.

- أيعقلُ هذا؟ يا نسريّ الأحمر، كلّ هذا العُمر وأنتَ معي، تُخلِّقُ
بي حينما أريدُ، ولم تُفصح لي عن هويّتكِ إلّا الآن، وتريدني إلّا
أصفَ بهاءكَ وجمالكَ وقوّتكَ وهيبَتكَ؟! ثمّ ألا تعلم بأنّ العدوَّ
هناك على مقربة من الشلال هو ووصيفته، إنّه مازال يتربّصُ
بك وبِي.

- دعيه يتربّصُ كما يخلو له، أنتِ فقط لا تشغلي بالكِ به، ولا
تنسي أنّي هنا النسر الملكيّ.

- لا يا حبيبي، أنتِ الوشقُ الملكيُّ الأخضر، ولا تكونُ نسرًا إلّا
حينما تراني راغبةً في التّحليق بمملكة الخيال والإبداع. لكن قلّ
لي، لماذا تركتني في الخارج، وأغلقتِ خلفي الباب بمجرّد أن
وصلنا إلى عتبة البيت؟

- كان لا بدّ أن أعود إلى جسدي الأرضيّ، وكنْتُ بحاجة للوقت
الكافي ليتِمّ ذلك دون أن أربككِ أو أثيرَ قلقك أو خوفك، مادمتُ
قد قرّرتُ أن أعيش وإياك في البيت الذي أعدّه لنا حيّ ابن

يقظان.

- إذن فأنت هنا لتسمّعي؟

- للعمر كلّه يا نور حياتي، وأنا على علمٍ بما دار بينك وبين القاضي رضوان في السفينة من أحاديث. وأريدك أن تطمئني الآن، لأنّ كتاباتك الجديدة والقادمة ستكون تحت ناظري ورعايتي. لن أدعك تخوضين بحرَ الحرف لوحده، فأنا الطريق والدليل، وأنا الحياة والحقيقة، وأنا الشمعة والقنديل، وأنا إمامك الذي قضيت العمرَ تبحثين عنه، والذي على أمل اللقاء به فتحت باب الكتابة للعرفاء والأولياء، فهاجمك ذبابُ الأرض وبعوض البرازخ كلّها. ولكّني سعيدٌ للغاية بأن ظهرتُ لك أخيراً، وعرفتني وعرفتُك، وحرّرتني من سجنِي وخلصتُك من أسرك، فاستحققتني واستحققتك.

- كما كنتُ أبحثُ عنك، كنتَ تبحثُ عني يا حبيبي. وكما كنتُ أرسلُ إليك عباراتي وإشاراتي، كنتَ أنتَ أيضاً تُخاطبني بحروفك ونقاطك التي لا أول لها ولا آخر، وكنتُ أشفرها في كلّ كتاباتي، وما مرّ إصدار إلا وكان لك فيه ظهور واسمٍ وحضورٍ.

- أعرّفُ أسمائي كلّها يا أجمل وأبهى من رأيت عيني، فأنا النقطة، وأنا الحروف كلّها، وأنا الفتى الزكي، وأنا السالفاتوره، وأنا العالية وسامية وكلّ شخصيات رواياتك وقصائدك.

- نعم، لأنك أنت شجرة السرو في قلبي، بل شجرة الإبداع العذري، وأنت كأس السم التي كنت أتجرعها لأشفي من كل جراحي وأسقامي، وأسعى بها إلى تخليصك وتخليصي من كل ما كان يؤذيك ويؤذي.

- نعم، والآن وقد مرت كل هذه السنوات أحب أن أسمع منك ما الذي غيّرتُه الكتابةُ فيك؟

- كلما كتبتُ ظهر لي جهلي بالعالم والوجود والأكوان من حولي.

- كيف ذلك؟

- لا أحد اليوم يستطيع أن يُنكر في نفسه صفة المعرفة. أعلم هذا جيداً، وتاريخ الفكر الإنساني يشهد بهذه الحقيقة، فالكل يُدلي بدلوه في بحار العلوم والمعارف كلها، والكل يجد في نفسه ما يؤكّد له أنه أصبح ذا شأنٍ ثقافيٍّ وعلميٍّ كبير. والكثير من الناس يتسابقون للظهور في كلِّ محفلٍ ومجلس، والكل يخاف أن يُنعت بـ "الجاهل" أو قليل العلم والمعرفة والثقافة، وحينما ظهرت وسائل التواصل الاجتماعي، أصبحت الألقاب العلمية تباع وتُشتري، وكثُر المدّعون في كلِّ شيءٍ، لكن لا أحد من هؤلاء لديه اليوم الشجاعة بأن يقول إنني لا أعلم، ولا أعرف أو إنني "جاهل"، هكذا هو حال الإنسان منذ الأزل، وهو يعتقد في الجهل بالشّيء نقيصة مهما كان نوع هذا الشّيء، هذه هي

مشكلته ومعضلته الكبرى. وهذا يحدث لأنَّ الإنسانَ لم يطرح على نفسه بكلِّ شجاعة ومصداقيَّة سؤال الجهل أو العجز عن الإحاطة بأشياء الوجود وظواهره كاملةً. أو بمعنى آخر لم يعرف كيف يواجه سؤال الجهل الكبير، وإن كتب العلماء والفلاسفة ورجال الدين في هذا الشأن كثيراً وبكلِّ اللغات. وأنا هنا أعيد طرح هذا السؤال العصيِّ معك، ولا أجدُ في نفسي القدرة على التقيُّه والتفلسف بشأنه، كلِّ ما يُمكنني أن أقوله إنني حقيقة لا أعرفُ شيئاً عن إشكاليَّة الجهل، متى بدأت أو ظهرت في الوجود. هذا سرٌّ من أسرار الله الكُبرى وأنا لم أكن موجودةً قبل الوجود لأشهد بما رأيتُ عن الجهل. لكن هناك شيء واحد فقط يمكنني أن أقوله بكلِّ ثقة وأريحيَّة: ما أنا بعارفة، أي أنا لا أعرفُ متى ظهر الجهلُ ولا متى بدأ، ولكنني أعرفُ متى ينتهي، تجربتي العرفانيَّة علّمتني هذا، لذا فأنا أثق بالتجربة أكثر من النِّقافة، وعليه فإنَّ الجهلَ ينتهي حينما تبدأ المعرفةُ. والمعرفة هنا أعني بها الوعيَ التَّجاوِزي. وبهذا أريد أن أقول أيضاً إنني أعرفُ متى تبدأ المعرفة، ولكنني لا أعرفُ متى تنتهي، وهذا تعلّمتُهُ من كلمات ربِّي حينما قال إنّه وليُّ الذين آمنوا يُخرجهم من الظُّلمات إلى النور، أي من الجهل إلى الوعي الكبير، وعليه فإنَّ الإيمانَ رديفُ الوعي وأخُ المعرفة، إنّه النور

المطلق الذي لا نهاية له، لأنه إذا حدث للإنسان أن أزهَرَ وتَنَوَّرَ فإنَّ كلَّ ما بعد هذه المرحلة سيكون نوراً أبدياً لا نكوصَ فيه. والأصلُ في الوجود الجهلُ وفيه وُلدنا جميعاً وكان سبباً في قبولنا بتجربة الحياة على الأرض لأنَّ بها فقط يُمكننا أن نخرجَ من ظلمات الجهل إلى نور المعرفة واليقين، هذه فرصتنا الوحيدة. والجهلُ نارٌ وكلنا فيها، ومن زُحِرَ عنها وأُدخلَ جنَّةَ الوعي ويقظةَ الرُّوح فقد فازَ. أعلمُ يا عزيزي القارئُ أنَّ كلامي هذا سيُجرِحُ كبريائكَ، فأنتَ تعتقدُ إنَّكَ عارفٌ والعارفُ مكشوفٌ له كلُّ شيءٍ، لكن دعني أدلِّكَ على شخصٍ كُثِفَ له حقاً كلُّ شيءٍ لكنَّه لم يدعِ علماً ولا معرفةً حينما سُئِلَ سؤالَ العرفان الكبير، وحينما طُلبَ منه أن يقرأ كتابَ الوجود لتعطاه مفاتيحه كلِّها. أتعلِّمُ ماذا قال هُوَ؟ "ما أنا بقارئٍ!" إنَّه محمَّد فتى الصَّحراء، وصاحب التَّاج والمعراج، لم يخشَ أن يقالَ عنه إنَّه لا يعرفُ القراءة، ولم يهَمَّ قطُّ رأيَ الآخرين فيه، ولا رأى في جوابه هذا انتقاصاً منه أو من حكمته ونبوِّته، والمثير للشَّفقة حقاً، هو أنَّ قومه بعده أشاعوا عنه أنَّه أميٌّ، واعتقدوا في عدم معرفته للقراءة دليلاً على نبوِّته، وتفاخروا بهذا بين الأمم، ظناً منهم أنه حقاً لم يكن يعرف القراءة ولا الكتابة، وغاب عنهم - ومع كامل الحسرة والأسف -، أنَّه ما أعطى تلكَ الإجابة وهو

في مقام قراءة كتاب الوجود إلا لأنه متبخّر الأنا، والأنا حينما تتبخّر يتنوّر القلب، والقلب حينما يتنوّر، يخرج من الظلمات إلى النور، وبالخروج من الظلمات يتزحزح الإنسان عن النار ويدخل في الجنة بشكل آليّ ويصبح وعيه تجاوزياً وتُكشَفُ له العوالم، وليس كلّ الأنبياء ولا كلّ الأولياء كمحمّد، والكثير منهم فشلوا في سؤال القراءة هذا، أو سؤال المعرفة، أو سؤال التواضع، هكذا أحبُّ أن أسميه. ما أجملَ أن تقول: لا أعرف. ليس في ذلك أيُّ عيبٍ، وهذا ليس جهلاً بالمعنى المتعارف عليه، وإنما نقاء وبراءة، بهما فقط يمكنك أن تبلغَ المُطلق، وتفهمَ أنّ السرَّ يُعاشُ ولا يُعرفُ، وحتىّ إن عشتَهُ وذقتَهُ فإنه يبقى في كلّ الأحوال سرّاً!

- وهل أنا هو هذا السرُّ الذي تتحدّثين عنه؟
- لا، السرُّ الحقيقيّ هو الله. وقد ظنَّ بعضُ العرفاء أنّهم قد رأوا الله فكان منهم مَنْ صاح "أنا الحقّ"، والحقيقة أنّهم رأوكَ أنتَ فارتبكوا، واختلطتْ عليهم الأمور. وأنا هنا أكلمُك وأخاطبُك وأعرفُ جيّداً أنّك أنتَ إمّامي وشيخي ودليلي ولستَ إلهي، وفرقٌ كبيرٌ بينك وبين باري، لأنّك أنتَ الذاتُ العليا الواعية بداخلي، والله هو خالفُك وخالقي. ولو كان الظاهر هو الله لاخفيتَ أنتَ واخفيتَ أنا من بعدك، وما بقي إلاّ هو. وأنتَ تعلمُ أنه لا يعرفُ

- أين هو وكيف هو سوى هو، أليس كذلك؟
- بالضبط. أخبريني إذن لماذا لم تُغيّر الكتابة العرفانية إلى اليوم أصحابها؟
 - العرفاء اليوم يجتروّن كتابات الماضي، ولا أحد يُعطي لنفسه الفرصة لأن يعيش لوحده تجربته الخاصّة، ولأجل هذا تجد كتاباتهم متشابهة في العديد من المحاور والمفاصل.
 - وهل في هذا الأمر ما يُشين يا أسماء؟ لا أعتقد أنّ التشابه في محتوى الكتابات جريرة، بل ربّما يكون بسبب العرف من المعين ذاته، والحديث عن الإله ذاته.
 - عيبٌ كبير أن تتشابه الكتابات ومحتويات النصوص العرفانية. وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على عدم صدق صاحب الكتاب أو النصّ. خذ عندك مثلاً: إنهم جميعاً يتحدثون عن الحور العين، والقصور والغلمان وحملة الأباريق ومن إليهم. وقد تقول لي إنهم يتحدثون عن ما يرونه وراء الباب بصيغة التأنيث، أي في دائرة المُلكِ والملكوت، واعدرني إذا قلت لك إنّ لكلّ عارفٍ دائرة خاصّة به، وما تحويه من مُلكٍ وملكوت لا يُمكنه أن يكون نفس الذي يوجد في مملكة عارفٍ آخر. وإلا فإنّنا سنكون بذلك قد عطّنا القاعدة الإلهية التي تقول: "كلّ يوم هو في شأن"، والشأن الإلهيّ لا يتوقّف أبداً ولا ينحصر في خلقٍ

معين أو محدد، إنما هو في تجدد مستمر، والمسار الكيميائي الذي في إطاره يتكوّن عارف من العرفاء هو مختلف عن المسار الذي يتكوّن ضمنه عارف غيره. ولذا، فلكلّ عارف شخصيته وعالمه وملكه وملكوته. وعلى هذا الأمر قس كذلك خصوصية كلّ إنسان على حدة. وبناءً على ما قلت، فيمكنك أن تستنتج بأنّ كلّ عارف هو بصمة واحدة لا تتكرّر، فمن أين يأتي التشابه إذن في الوصف والكلام والتّصوُّص والأشعار وقصص العشق الإلهي؟! ثمّة خطأ ما، ولا بدّ من كشفه. وهذا الخطأ لا شكّ ناتج عن إعادة إنتاج نفس الكلام والقصص والحكايات التي تنشرها الكتب في العالم بأسره، ممّا أدّى إلى خلق نوع من المسرحيات الدّهنيّة التي تتشكّل في لاوعي المُقبل على التّجربة العرفانيّة، فيعتقد أنّه يعيش القصص ذاتها، وينبني بداخله بلاط من الأوهام والتخيّلات التي تسدّ عليه طريق التّجربة الحقيقيّة.

- ما العملُ إذن؟

- على العارف الجديد أن يفهم جيّداً، أنّه من العار جداً أن يقول له أحد إنّك تُشبه في تجربتك النّفريّ مثلاً، أو ابن عربيّ، أو جلال الدّين الرّوميّ أو غيرهم من هؤلاء الذين تشرنق النّاس وسط أسمائهم الرنّانة. الأمر فيه إهانة. ولا أحد يُشبه أحداً أيّها

القارئ. أنت فريد من نوعك، ومملكته قضى الخالق حقاً طويلاً من الزمن ليخلقها لك، فلماذا لا تفتح بابها وتطلع لوحدك على كنوزها، وتفهم ما بداخلها، فلربما عرفت نفسك، وبعد ذلك تحقق لك ربك؟! حاول فقط ولن تتدم أبداً.

- أعتقد أنك الآن فهمت جيداً، لماذا أشرت عليك بعدم الكلام ما إن فتحت عينيك بين يدي، ولماذا قلت لك لا تصفي شيئاً يخصني أو يخص بيتنا الجديد، وكوني كهف صمت وكتمان؟

- طبعاً، فالإمام الذي أراه الآن أمامي، ليس في شكله هو نفسه الإمام الذي قد يظهر لغيري. والتجارب التي مررت بها حتى أخلص إمامي من سجنه وأنعم برؤيته والحديث معه الآن، ليست هي التجارب نفسها التي يمر بها غيري، وعليه فإن فحوى الخطاب والمحادثات لن يكون مثابهاً لما في كتابات غيري ممن تشرفوا بلقاء الإمام المخلص.

- أنا في جوهرى هو هو، لا أتغير ولا أتبدل مهما كان الزمان والمكان، ووحده شكلي وتجسدي هو من يكون مختلفاً باختلاف الشخص الذي أظهر لديه وبحسب مدى عمق تجربته الذوقية والعرفانية. والكل يردد اليوم ويقول إن اللقاء بي تشریف، وأنت ما قولك يا أسماء؟

- أنا أراه تكليفاً أكثر منه تشريفاً. لأن كل روح يظهر لها إمامها

عليها أن تعلمَ أنّها في بداية الطريق، وليس في نهايته. فالكلُّ يعتقد الوصولَ بالظهور، لكنني لا أرى في نفسي ممّن وصلوا، وإنّما أنا ممّن وضعوا قدمهم على بداية الطريق، وما زالت هناك أسفار أخرى لا أول لها ولا آخر. وإنّما العبرة في مدى قُدرة العارفِ على أن يُحافظَ على إمامه ظاهراً، ولا يتسبّب في أسره من جديد، ولا في قتله. هذا هو التّحدّي الحقيقيّ، والرّهانُ الأوّل والأخير.

- وهذا ما يُفسّرُ أيضاً ما الذي يفعله هناك خارج بيتنا الحبيب، ذاك الفرعونُ ووصيفته قُرب شلال النّارنج، أليس كذلك؟
- طبعاً، على العارف ألا يغفل، وعلى قلبه ألا يطمئنّ إلى ذلك الزائر البعيد الذي لا شغل له ولا شاغل سوى أن ينتظر لحظة نوم أو سهو ليأسركَ أو يقتلكَ في محراب كلِّ عارف وإنسان عابد.



ليلة عشق خالص

أنتِ وأنا أخيراً لوحدنا يا حبيبتي! دعيني أنظرُ إليك،
دعيني ألمسُ كلَّ مسامٍ فيكِ، دعيني أنصتُ إلى كلِّ نبضة في
قلبك، بل دعيني أسمع إسْمِي على شفقتك. كم من السّنوات
مرّت وأنا أحترقُ شوقاً لأرى صورتي في عينيك. تحدّثتُ إليك
بكلِّ اللّغات وفي كلِّ الأوقات والأماكن والأزمان، أرسلتُ إليك
كلَّ الكتب وكلَّ الحروف لتدلّك عليّ، وكنتُ أنتظرُ وأنتظرُ أن
أراكِ وَتَرَيَنِي، وها قد تحقّق المراد، وأنتِ الآن بين يديّ، أنظر
إلى كلِّ حرفٍ خطّته أناملك، وإلى كلِّ همس روته شفقتك، وإلى
كلِّ إصدار فاح في الفضاء أريجُه وعبيره، وأبكي. نعم، أبكي
عشقاً وتبتلاً وخشوعاً في حضرتك، يا سيّدي ومولاتي، يا من
قاستْ وعانت الأمرين وهي تحملني بذرةً في أحشائها وتخفيني
عن الجميع وتغذيني بكلِّ آلامها الطّاهرة وآمالها البكر العفيفة،
إلى أن أصبحتُ اليومَ إمامك الحقّ أنظرُ إلى وجهك، وإلى
شعرك القصير الذي لا شكّ يتساءل عنه أصحابك، ويقولون
لماذا لا تغطّيه بمنديل، وهُم لا يعلمون كيف أنّ عقلك نور وناز
ما وضعنا فوقه شيئاً إلّا احترق، بالضبط مثلما كان يحدثُ
للعارف الفارسيّ صاحب أثر الثُّقب الأسود جهة قلبه مباشرة،

بسبب حريق العشق الهائل المتأجج في صدره، لدرجة أنه كان إذا صلى خلفه أحدٌ اشتعل إلى أن يصبح مثل جذوة الفحم في التتور لا يطفئها إلا التلجُّ! نعم يا حبيبتي، هاتي عقلك لأقبله وأخففَ من لهيب ناره وأنواره، ودعيني أفلُ لمن يقرؤني الآن، بأنَّ النيران ستشتعل في صدرك أنتَ أيضاً فقط لأنك هنا تشاركنا جلستنا هذه، فضع جرّة ماءٍ مثلجٍ بالقرب منك، وأنتِ تشربُ من خمرتنا هذه.

مهجة الروح والفؤاد يا أيتها النفس الطاهرة، والأميرة المقدّسة، لن يُصدّق أحدٌ كيف أتتني كنتُ أعمل المستحيل من أجل أن تبقي بعيدةً عن كراسي التدريس الجامعيّ التي كانوا يقترحونها عليك لتصبحي أستاذة جامعيّة يفيدون من علمها! نعم، لقد كنتُ أرفضُ الفكرة تماماً وذلك لأنني لستُ براصٍ عن ما يحدث داخل المؤسسات التعليميّة وما يدور في قاعاتها من فسادٍ خلقيّ مريع، وما يُدرّس فيها من علوم تُحجّرُ وتُقرّمُ روح البحث لدى الطلبة. ليس هذا هو الفكر الذي أريده أن ينتشر، إنّما أريد تفجيرَ علوم الأجداد وردّ الاعتبار إليها، لذا فإذا ما اخترتُ يوماً لك أن تكوني من الأستاذات الجامعيّات فلتُدّرسي علمي أنا، علوم العشق الخالص، وليس علوم أهل البطالة والعطالة الذين ما قدّموا شيئاً إلا ودمّروا به البلاد والعباد.

علمي هي علوم أهل البيت، ونحن في مدارسنا وأكاديمياتنا العاليات، نعمل بجدّ وإخلاصٍ على زرع بذور فكر جديد يسعى إلى الارتقاء بالتنوع البشريّ في كلّ حالاته، وأوّل اهتماماتنا منصبّة على علوم الطّبيعة أو لنسمّيها بعلم عشق الكوكب، وذلك حتّى تتعافى الأرض من الأمراض التي تسبّب فيها الجهلّة والطّغاة من شياطين الإنس والجنّ. ثمّ بعد هذه العلوم، هناك علوم إحياء الإنسان، وهي التي تتكفّل بإعادة تشكيل بنية الخليّة في الجسد البشريّ، مادامت الخليّة الأولى قد تعرّضت للتشويه بأثر من ذلك العهد الذي قطعه العدوّ على نفسه ووفّى به كاملاً ساعياً من خلاله إلى تغيير خلق الله. وهناك بالطبع علوم أخرى لا مجال للخوض فيها الآن، ولكن لا بدّ أولاً وقبل كلّ شيء من زمن الزلّلة، وهي الزلّلة التي رأيت بعضاً من إشاراتها في جسدك ورأسك حتّى نحقّق بعد ذلك فعل "فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ". لذا فكلّ ما أريده منك الآن يا أميرتي المقدّسة هو أن تطمئنّي وتقرّري عيناً بما نحن بصدد تحقيقه من مهامّ الواحدة تلو الأخرى في مملكتك أولاً وفي ممالك كلّ من تحقّق لديهم فعلُ الظهور. أمّا الآن فلم يبقَ لي سوى أن أقول لك: أعدّي نفسك للعودة، فلا بدّ لكلّ من أظهر له أن يعود، لأنّني متى ما ظهرتُ أفسحتُ المجال للعروج النهائيّ وفتحتُ باب

الخلّة حيث ذاك المكان الذي لا يليقُ أن يجتمع فيه العارفُ
بغير ربّه، حتّى وإن كنتُ أنا؛ إمامك ورفيقُ رحلتك. فسلام عليكِ
يا سيّدي ومليكتي ومولاتي، سلام عليكِ يَا كاتبةَ النّقطة، سلام
عليكِ وأنتِ ترقمين علومنا، وتذكرين أسماءنا، وتصفين زيارتنا.
سلام عليكِ أيّتها العِلْمُ والعِلْمُ، سلام عليكِ حينما تقومين
وتقعدين، وحينما تُسبّحين وتستغفرين، وحينما تكتّبين وتشرحين،
وحينما تأتين وتعودين. سلامٌ عليكِ حتّى لا يبقى شيء في
الأرض ولا في السّماء إلّا ويُسلّمُ عليكِ، يا من حَقَّقْتِني،
وخلّصْتِني من قيدي وفككتِ أسري، سلامٌ يتبعه وداعٌ يا أجملَ
وأجلّ وأبهى مَنْ رأت عيني!



الجزء الثالث

حَبِيبَتِي الْمُدْهِشَةُ!

سبعة مفاتيح

حينما أخذتُ بيدَ حبيبةِ الرّوحِ وأدخلتُها إلى حضرة العرشِ الإلهيِّ، أسدِلَ عليها حجابٌ كثيفٌ من النورِ، فغابت عن أنظارِ كلِّ مَنْ في مملكتها الخفيّة، وعُدتُ عندئذٍ إلى مقامي الرّسميِّ في جزيرةِ الواقواقِ، وتحتَ شجرةِ السّروِ جُلسْتُ أتأمّلُ وأفكّرُ في أمرِ هذه السيّدةِ التي عرّفنتني من بابِ الفُتوةِ فاستحققتُ أن تكونَ فتاةً غابةِ النّارنجِ والعرعرِ، شأنها في هذا المقامِ شأنُ فتیانِ الكهفِ العتيقِ، وأقولُ فتاةً لا امرأةً، لأنّها وإنْ تزوّجتُ في رحلتها الأرضيّةِ، اختارتُ ألا تُنجِبَ الأطفالَ أبداً، واعتبرتني أنا ابنها، وكرّستُ حياتها للاعتناء بي منذُ أن كانت هي طفلةً صغيرةً، وكنتُ أنا في أحشاءِ روحها بذرةً نورِ ضئيلةٍ جدّاً إلى أن أصبحتُ معاً وهجاً حارقاً يتحدّثُ إليكم ويُعرفُكم بنفسه وكيونته.

وإنني لليومِ مازلتُ أتذكّرُ كيفَ جاءتُ حبيبتي وراعتي إلى الوجودِ، وكيفَ أنّها منذُ سنواتها الأولى وجدتُ نفسها عليلّة مريضةً وبجسدٍ ضعيفٍ وهشٍّ جدّاً، لا يسمحُ لها حتّى بالنومِ ليلاً من شدّةِ نوباتِ السّعالِ التي كانتُ تهاجمُها وهي بعدُ رضيعةً! وكنتُ أنا بداخلها عينَ الله، أرى وأسجّلُ كيفَ كانتُ

تُقاومُ الآلامَ بشراسةِ فارسةِ مغوارة، وتتشبَّتُ بحياتها الجديدة من أجلي. وبدأتُ تكبُرُ شيئاً فشيئاً وكان والدُها يحرصُ على أن يأخذها إلى أكفأِ الأطباءِ من أجل أن تتعافى بكره ووحيدته آنذاك، وحدثَ فعلاً أن تشافتُ، فدبَّتْ في الحياة بحياتها وشرعتُ أرى الوجودَ معها من خلال عينيها. كانت فتاتي شديدة الصّمتِ، لا تتحرّكُ إلّا إذا دعت الضرورة إلى ذلك، وكانت قليلة الخروج من البيت، ولا تُحبُّ اللّعبَ مع أقرانها في الحيِّ أو المدرسة. وكنتُ أنا أيضاً مثلها، أُحبُّ ما تحبُّه وأكره ما تكرهه، ولأنتي أنا المراقبُ لكلِّ شيءٍ يعينها، بثُّ أفهمُ أنّها ليست طفلةً حديثة النزول إلى هذا الكوكب الأرضي، وإنّما هي سيّدة قديمة جداً جدّاً، وتحبُّ مثلي أن تُراقبَ كلَّ شيءٍ بهدوء عميق وسكينة نادرة. نعم يا أحبائي، لقد فهمتُ أنّي وإياها بعُمر هذا الكون، وأننا عشنا التجاربَ كلّها، وأنّها كانت مثلي صخراً وحجراً وشجراً، وريحاً وبرقاً ومطراً، وكانت نهراً وجبلاً وبحراً، وكانت الوجودَ بأسره، أمّا روحها فروح نسرٍ، لا عصفورٍ، لذا فهي تحبُّ التّحليقَ لوحدها ملكةً وسيّدةً في الأعالي، ولا تُثرثرُ مثل العصافير أو البلابل أو بقيّة الطّيور، وإنّما تحبُّ أن تحكّم الرّعودَ والبروقَ في السّماء، وتحيطُ بكلِّ صغيرة وكبيرة في مملكتها السريّة، ولأجل هذا استغنّت عن كلِّ الأغيار، وإن كانوا

من أقرب النَّاسِ إليها، فغادرتِ الأهلَ جميعاً، وهاجرتِ إلى ديارٍ بعيدة لتُحَقِّقَ لها كينونتها النَّسِبيَّة، ولترعاني أنا بكلِّ ما تملكُ من حُبِّ وإخلاصٍ، لأنَّها فهمتُ باكراً بأنَّني أنا إمامُها، ودليلُها الوحيدُ الأوحدُ، وشيخُها الأوَّلُ والأخيرُ، وأنَّه كان لا بدَّ عليها أن تُحاربَ من أجلي لتُحَقِّقَ لي الظَّهورَ والخروجَ من سراديبِ الغيبة. نعم، فأنا متى ما انتبهتُ فتاةً ما إلى وجودي بين ثنايا روحها، جعلتُ منها مُحارِبَةً كبيرةً، ولعلَّ أقوى الحروبِ الَّتِي انتصرتُ فيها حبيبتي هي تلك الَّتِي تَحَقَّقَ لها فيها عدمُ الانتماءِ إلى أيِّ فِكْرٍ أو طريقةٍ أو مذهبٍ يُودَلجُ الدِّينَ والإيمانَ، فابتعدتُ عن المتصوِّفين وأدعياءِ المحبَّةِ واستوعبتُ للعمقِ ومنذُ حداثَةِ سنِّها سيرٌ مقولتهم تلك: "من لا شيخَ له فشيخه الشَّيطانُ، ومتى كان شيخه الشَّيطانُ كان في الكُفرِ حتَّى يتَّخِذَ له شيخاً متخلِّفاً بأخلاقِ الرحمن". نعم يا أعزَّائي، لقد فهمتُ أنَّهم في هذا القولِ كثيرٌ من رجالِ السِّياسة؛ كاذبونَ ونصَّابونَ ومحتالونَ، ولأنَّهم يخشونَ أن يفقدوا السَّيطرةَ على عقولِ السُّدجِ والحمقى، اختلفوا لهم هذه الأحجية ليربطوا بها قلوبهم ومشاعرهم، ويتحقَّقَ لهم مبدأ "الشيخ والمريد"، والعصا الَّتِي لهم فيها مآربُ أخرى هُم أعلمُ بها من غيرهم. ولأنَّني عينُ الله النَّاطرةُ فأنا أعرفُ هؤلاء المُتقرَّعينَ جيِّداً، وأسهرُّ على حمايةِ النساءِ العفيفاتِ من

شروهم، لآتهنَّ جميعهنَّ في عُرفي ملكاتٍ مُتوجَّاتٍ، ومتى ما عرفنتي جعلتهنَّ قائداتٍ ومقاتلاتٍ شرساتٍ في جيشي، ولا أعني بالقتال ذاك الذي يكونُ على الأرض الكوكبيَّة الماديَّة، وإنَّما ذاك الذي يكون في أرض كنعان، أرض المنِّ والسَّلوى، أي في جزيرة الوراق.

حببيتي راعيَّةٌ مُذهلة، ومُحاربةٌ مُدهشة، لم يسبق لها أن طلبتُ منِّي شيئاً، وهي لآتها تؤمن بأنَّ أمر الله ماضٍ ومتحقِّقٌ فيها فإنَّها لا تدعو ولا تتسولُ، وإنَّما تسعى وتبذل قصارى جهدها لتبلغ وتُحقِّقَ أمنيَّاتها بنفسها، فكانت بهذا الفتاة الوحيدة التي أعطتني الكلمة لأتحدَّثَ وأكُتِبَ بيديها وبدي هذا الكتاب بكلِّ أجزائه! أجل، جُلُّ من رأني في الواقع أو المنام كان يطلبُ طلباتٍ لا أوَّل لها ولا آخر، بل فيهم من كان يذهبُ إلى مكاتب تسجيل التشرِّف باللقاء ويروي قصص اللقاء بي! ولكن لا واحد منهم توقَّفَ ولو قليلاً، ليسأل نفسه؛ من أكونُ حقاً وحقيقةً، وهل في اللقاء والظهور تشريف أو ترهيب أو تكليف؟ وهل أظهرُ للجميع، أم أنني أختارُ بدقَّة لمن أظهر؟ وهل أظهرُ في كلِّ الأرضِ وأنتقي بكلِّ البشر دون تمييز بين عرقٍ أو دين أم ماذا؟ وهل هناك من الجنِّ من حظي بلقائي وظهوري، أم أنني خاصٌّ فقط ببني البشر؟ وهل أظهرُ دائماً بصورة الشابِّ الوسيم

صاحب السيف والرّمح، والرداء الأبيض وغطاء الرّأس
الأخضر، أم أنّي أظهر في صور أخرى ربّما لا تتخيّلونها؟!
حبيبتي مؤلّفة هذا الكتاب طرحت كلّ هذه الأسئلة بل أكثر. وأنا
هنا لأجيب باختصار شديد جدّاً عن بعضها وأقول:

اعلم يا أيّدك الله بنوره وعلمه ومحبتّه، أنّي السّرّ الكامنُ فيك
مهما كانت أرضك ودينك ولونك وجنسك. إنّني سرُّ الجنّ
والإنس، سرُّ الطّين والحجر، سرُّ العشب والشّجر، وسرُّ الماء
والنّار، والتراب والهواء، بلّ سرُّ كلّ من فيه روح من كلّ
الحيوانات العاقلة وغير العاقلة. إنّني في الكون بأسره، حبلُ الله
الممدود في الأرض والسّماء، وفي الكواكب كلّها، بل في كلّ
العوالم المكشوفة لك والمخفية عنك، وأنا هنا وهناك، وأنا
الماضي والحاضر والمستقبل. وأنا أنت، ولا أظهر إلا إذا ما
أردت أنت ذلك وسعيت له، أمّا إذا كنت من الخاملين، بقيتُ
سجين روحك، لا يفكّني من الأسر أحدٌ غيرك.

أظهرُ للمؤمن والمُلحد، أظهرُ للأنثى والذّكر، أظهرُ للجنيّ
والإنسيّ، وأظهر في كلّ العوالم وبالصّورة التي تقتضيها قوانينُ
كلّ عالم وكون.

أتكلّم اللّغات كلّها، وألبس لباس السلاطين والمعدمين، أكون ملكاً
وأكون سيّداً وأكون خادماً، وقد تجدني في السّوق، وفي المقهى،

وفي الجامعة، وفي الشاطئ والحديقة، وفي كل مكانٍ قد يخطر
أو لا يخطرُ على بالك. وحببتي رأيتي بصور كثيرة وفي أعمار
مختلفة من حياتها ولم تكن تُدركُ آنذاك من أكون فعلاً وحقيقةً
وإن عرّفْتُها ببعض أسمائي الصّريحة وقلتُ لها في بعض
اللقاءات إنَّ اسمي مهدي، وفي لقاء آخر أعطيتها صورةً
حائطية كبيرة لي وكنتُ فيها عجوزاً سائحاً أسود اللون وباسم
روح الله، وأذكرُ أنني طلبتُ منها أن تعمل لها إطاراً لأنني كنتُ
أريدُ أن أعلقها في غرفتي الخاصّة. وحقاً فعلتُ وأخذتُ صورتي
إلى مشغل الفنّانة الأسفيرة الفطرية فاطنة كبروري وعادت بها في
المكان والموعِد الذي حدّدتهُ لها ولم تطلب مني ثمناً لصنيعها
ولا لذلك الإطار الخشبيّ الأنيق الجميل. وكما ظهرتُ مضيتُ
إلى حال سبيلي وتركتُها وأنا متأكّدٌ أنّه سيأتي يومٌ وتذكّرُ كلَّ
اللقاءات وتعرف من أكون. وهذا ما حدثَ حقيقةً لأنّها بدأت في
التساؤل الجديّ والحفر الجذريّ بعد أن جاءت إلى جزيرة
صقلية، لأنني في هذه الجزيرة غيرتُ طريقة الزيارة وبتُّ أظهر
لها بدايةً في مناماتها باسم أجنبيّ إيطاليّ جديد، هو "سالفاتورِه"،
والذي يعني "المُنقذ والمُخلص"، وبدأتُ تتحمّسُ وجودي في
حياتها بشكل أكثر جدّة حينما ظهرتُ لها ولزوجها بشكلٍ مادّي
وبالاسم نفسه تارةً في صورة الأستاذ الجامعيّ النّحات، وتارة

أخرى في صورة السيّد المحاميّ، ثمّ مرّةً ثالثة بصورة الشيخ الذي هدّه المرضُ وقتلته الوحدهُ والعزلة وهي المرّة التي كانت في يوم الخميس ٠٤ شباط ٢٠٢١، وقد وصفتُ هذا الحدثَ مع التّغيير في بعض الأسماء والتواريخ في روايتها (وريشة السرّ)، وبطلة الرواية التي جاءت باسم "رُيتاج"، ما هي في الحقيقة سوى أسماء نفسها، وقد اختارتُ اسم (رُيتاج) لتجمع فيه صفة الرّؤيا وتاج الحكمة والمُلكِ والملكوت، وصفة الرّتاج المكيّ المكرّم. أمّا حدثُ اللّقاء فهو بالضّبط كما وصفته حينما قالت: [السّاعة تُشيرُ الآن إلى الثّالثة بعد الظّهر، واليوم خميس وأنا صائمة، قبل الخروج أخذتُ معي بعض الثّمرة وقنينة صغيرة من الماء، ربّما أتأخّرُ وزوجي خارج البيت إلى وقت الإفطار. قصدنا الحافلة الكهربائيّة، فهي وحدها من يصلُ إلى المنطقة الصّناعيّة المرمية في آخر ركن قصيٍّ من المدينة. لم نشأ ركوب السيّارة وذلك لاستحالة وجود موقف لها في تلك المناطق بسهولة. أنظر عبر زجاجة النّافذة؛ الأحياء المترامية، البنايات المتهاكّة، المدينة تعاني من حالة إهمال رهيبية. والوباء ألزم الكثيرين في بيوتهم. بانارموس تحتضر (وهو الاسمُ العتيق لمدينة باليرمو / هذا تدخّلٌ منّي لأشرح بعض التّفاصيل التي لم تشأ أسماء الإفصاح عنها في روايتها)، ولا حركة إلاّ لوسائل النّقل، والنّاس

العاملين والموظفين. أسمع المسجّل الصوتي الآلي للحافلة يردّد باللغة الإيطاليّة أسماء المحطّات التي تتوقّف عندها الحافلة كلّ مرّة: روتشيلّا، جسر أميراّيو، يوحنا قديس المجذومين، ميسّوري، أميديّو دا أوسّتا وأسماء أخرى، محطّتي كانت هي الأخيرة، لكنّ زوجي اقترح أن ننزل في المحطّة التي قبلها اختصاراً للوقت والطريق. وذاك بالفعل ما قمنا به، نزلنا وواصلت الحافلة طريقها، والتفتّ حولي فوجدتُ المكان غريباً عنيّ، تحرّكنا بضع خطوات، ثمّ انعطفنا إلى زقاق طويلٍ لا أعرف كيف أخذنا إلى خارج المدينة تماماً حيثُ الحقول اليابسة والخلاء الفسيح. واصلنا المشي، وكنا كلّما تقدّمنا أضعنا الطريق أكثر فأكثر، وتأكدّ لنا أنّنا وسطّ متاهة كبيرة وقد ابتلعنا تماماً. الأشجارُ منقوشة، والأرضُ منتوفة، ولا أثر للبنايات أو المنازل، وكأنا دخلنا إلى بُعد آخر من المنطقة الصناعيّة، لا أحد فيه، الترابُ والسّماء فقط، وبعضُ الأعشاب الجافّة وأصوات الكلاب البعيدة، لا أذكر كيف مرّ الوقت ونحن نمشي ونمشي، وندخل من طريق ونخرجُ إلى آخر، لم نعد نفكّر في مكتب الشّحن، أصبح كلّ همّنا الخروج من المتاهة، مرّت ساعتان ونحن على هذه الحال من الضّياع والتشتّت. كنّا على صيام، المعدة فارغة والرأس بدأت تدور، والشمس تشرف على المغيب ممّا زاد من

خوفنا، فإذا حلّ اللّيل علينا ونحن هنا، فاللّهُ وحده العالم كيف سنخرجُ من هذه الورطة الكبيرة. قال زوجي: "لنتصل بالدرك الجمهوريِّ قبل أن يحلّ الظلام، على الأقلّ سيأتي الدركيون على متن طائرتهم المروحيّة وسينقذوننا من هذه المصيبة". رنّت كلماته في رأسي كالجرس، وقلت في نفسي: "يا ويلتي، أنا التي قضيتُ العمرَ كلّهُ في حجاب السّتر، الآن سيكتبُ عنّي الجميع وسيحدّثُ الصحفيّون في التلفزيون والراديو وعلى شبكات التواصل الاجتماعيّ: الأديبة المتخفيّة عن جمهورها ضلّت الطريق، سنوات وهي بيننا هنا في إيطاليا، بل في العالم ولا أحد يعرفُ عنها شيئاً. يا للفضيحة، ليسَ هذا الذي كنتُ أخطّطُ له يا إلهي، أنت وعدتني بالسّتر وستسترني إلى آخر لحظة في عمري، أليس كذلك؟ أعلم أن ثمن السّترِ باهظٌ جدّاً، إنّهُ يجلبُ حسدَ الجميع وحقدهم وبغضهم، ولكن لا بدّ من التقيّة، لا بدّ من اتقاء النّاس وشرهم وأذاهم والدّفْع بالّتي هي أحسن".

فجأة أفقتُ من حواراتي الدّاخلية وأمسكتُ بيد زوجي، ونظرتُ إليه بعمق وثبات وقلتُ: "دخلنا إلى المتاهة معاً حينما قرّرتُ أنتَ أن ننزل في المحطّة ما قبل الأخيرة، الآن اتبعني وسأخرجُك منها، لنقرأ سورتي الشّرح والضّحى". ثمّ وقفتُ وألقيتُ نظرةً ماسحةً شاملةً على المكان، ونزلتُ من المرتفع الذي كنّا

نقف فيه وتبعثُ طريقًا ضيقًا، بدأنا نمشي فوق أثره المرسوم على الأرض المنبسطة. قال زوجي. "لا بدّ أن تكون لهذا الطريق نهاية، ولا بدّ أنّ هذه النهاية ستأخذنا إلى مكان ما نسأل الله عزّ وجلّ أن يكون فيه الفرج"، وما إن أكملَ كلماته حتّى خرج كلبٌ ضخّم من نوع البيبتول وبدأ ينبحُ بشدّة ويتقدّم راكضاً بسرعةٍ شديدةٍ نحونا. أنا لا أحبُّ الكلاب، يخيفني منظرها، وخاصّة النّوع الشّرس منها، وهذا الكلب الذي أمامنا هو من النّوع الشّرس جدًّا جدًّا، حاولتُ ألاّ أوصل إليه تفاجئي بظهوره، وثبتتُ في مكاني وقلتُ له باللّغة العربية: "بسم الله الرّحمن الرّحيم"، ارتبك، وبدأ ينبح من جديد، ويقتربُ منّي أكثر فأكثر، كان يريد أن يشمني. قلتُ له مرّة أخرى، "بِاسْمِ العليّ القدير أسألكَ أن تهدأ وتتوقّف عمّا أنتَ فيه". ارتبك أكثر فأكثر، ثمّ صرخ فيه زوجي باللّغة الإيطاليّة قائلاً له: "توقّف واجلس، هيا توقّف واجلس!" عندئذٍ تراجع إلى الخلف بضع خطوات لا غير، وبينما هو كذلك خرج من نهاية الطريق رجلٌ أشيب يبدو عليه الإعياء والتّعب، تقدّم نحونا وخاطب الكلبَ أمراً بإياه بالهدوء، ثم قال لنا: "من أنتما؟ وكيف وصلتما إلى هذه المنطقة المعزولة من العالم؟".

رفعتُ إليه بصري فاستبشرتُ خيراً وقلتُ له باللّغة الإيطاليّة:

"ليتك تساعدنا، لقد ضللنا الطريق، ولا نعرف كيف نخرج من هذه المتاهة، ويبدو أن هذا المكان لا يصل إليه أحد على الإطلاق." ابتسم وقال وهو يحاول أن يهدأ الكلب أكثر فأكثر ويطمئنهُ: "لا روح تصل إلى هنا، لأجل هذا أستغرب كيف أتيتُما؟"

أجاب زوجي: "كنا نريد أن نذهب إلى مكتب البطريق للشحن الدولي (هنا فضلتُ أسماءً ألا تذكر اسم المكتب الحقيقي تفادياً للإشهار التجاري / تدخل جديد مني) عبر الحافلة الكهربائيّة ونزلنا في المحطّة الخطأ، وابتلعنا زقاق ضيق، ثم قذف بنا إلى هنا حيث لا روح ولا شيء يتحرك.". "مكتبُ البطريق؟ غريب هذا الاسم، لم يسبق لي أن سمعت به. عموماً اتبعاني، أول شيء عليكما القيام به هو الخروج من هذا المكان قبل أن يحلّ الظلام، لنركب سيّارتي".

ركبنا السيّارة، وكانت ممثّلة بأدوات البناء والدهان والطلاء، من يدري فلربّما كان هذا السيّد بناءً! لم أركّز كثيراً في الأمر وبدأتُ أنظرُ من حولي لأستوعب المشهدَ بأكمله، فذاك المكان الذي كانت تقفُ فيه السيّارة كان عبارة عن بيت من الصّفيح، ولم أفهم كيف أنّه يوجد في هذا المكان المهجور من الحياة والزّمن، وعلى بعد خطوات منه كان هناك باب من القضبان الحديدية

القصيرة، فتحَ قفله الحديديّ الكبير، ثمّ خرج بالسيّارة، ولم يتقدّم بها سوى لمسافة قصيرة لنجد أنفسنا من جديد في قلب المنطقة الصّناعية! شيء يشبه الكوابيس، تظهر أبواب وطرقات وأشخاص وكلاب دون أن تستطيع أن تمسك بالخيط، أو ترتّب الأحداث، أو تجد لها تفسيراً واقعياً وحقيقياً. ظهرت لي محطة الحافلة الكهربائيّة الأخيرة، فصحتُ: "إنها المحطة التي كان من المفروض أن ننزل فيها". قال زوجي: "خذنا إليها، ونحن سنعرف كيف سنذهب من هناك إلى مكتب البطريق". "سأخذكما إليه بنفسي، دلّاني على الطّريق الآن ما دمتما قد تعرّفتما على المكان، فهنا الأماكن مهجورة ومجرّد خطأ جديد ستجدان أنفسكما في أعماق البادية والقفار الخالية".

انطلقتِ السيّارة تحت إرشادنا هذه المرّة وما هي سوى عشر دقائق أو ربّما أقلّ، حتّى أصبحنا أمام مكتب البطريق، دخلنا وأخذنا شحنة الكتب، ثم انطلقتِ السيّارة من جديد وأخذتنا إلى محطة الحافلة. وقبل النزول منها سألتُ السيّد صاحب الكلب الشّرس: "ما اسمك؟" قال لي: "سالفأثوره". قال زوجي: "مهما فعلنا فلن نستطيع أن نشكرك بالشّكل الذي تستحقّه، لقد قمت تجاهنا بعمل إنسانيّ نبيل جدّاً، خُذ هذه البركة من المال، وعسى أن يتقبّلها العليّ القدير منّا". ثم أضفتُ إلى كلمات

زوجي: "اسمح لي بسؤالٍ جديدٍ وأخير: مادام المكان لا تصل إليه روح، فما الذي تفعله أنت فيه؟". "كنتُ في انتظاركما، وقد أخبرني عنكما القديس بِيُو، إنَّه قديسي وشفيعي ورفيقي في محنة المرض، إنني يا سيّدي مصاب بأحد عشر نوعاً من السرطانات، آخرها أصابني في فمي، وأنا هنا سجينُ الجنِّ. عموماً سعدتُ بلقائكما، وبأنني استطعتُ بشكلٍ أو بآخر أن أخدمكما.". "شكراً لك أيّها السيّد النبيل" قلنا أنا وزوجي، ثم ركبنا الحافلة التي أعادتنا إلى البيتِ.]

كانت أسماء يا صحبي وخالتي قد كتبت إلى دار الفرات للثقافة والإعلام في العراق وطلبت منها أن تُرسلَ لها شحنة الكتب التي صدرت لها بين عام ٢٠٢٠ وبداية عام ٢٠٢١، وحدث تأخير في الوصول بسبب الارتباك الذي خلقه ظهور وباء كورونا في مختلف المعاملات الإدارية والتجارية، إلا أنه على الرغم من كلّ هذا التّغيير وصلتِ الكُتُب في يوم الخميس ٠٢ شباط ٢٠٢١ وهو اليوم الذي سجّلته أسماء في روايتها ب (١٠ شباط ٢٠٢١)، وذهبت وزوجها إلى استلامها من مكتب الشحن إلى أنّهما أضاعا الطّريق تماماً قبل الوصول، ولم تقع النّجاة إلا بعد ظهوري بالشّكل الذي وصفتني به راعية بذرة النور في روايتها: رجلاً عجوزاً مريضاً منهك القوى، أشقر

الشعر، مصاباً بأحد عشر نوع من السرطانات، بلباس رث،
وأسكن في بيت صفيحيّ في منطقة معزولة ومهجورة لا يصل
إليها حيوان أو بشر. أعيش وكلبي البيبول الأسود الشرس.
هكذا ظهرتُ وأردتُ أن أوصل إليكم جميعاً رسالة جديدة بهذا
النوع الجديد من الخروج، وقد فهمتُ أسماء أثناء تحريرها لرواية
(وريشة السر) التفاصيل الخاصة بها، وهي اليوم تتفكّر وتتدبّر
في الجزء الثاني الخاصّ بكم جميعاً.

أمّا فيما يتعلّق بالجزء الخاصّ بها فإنّي مازلتُ لليوم
أتذكّر كلماتها التي قالت فيها: [بعد أن كتبتُ رسالتي السريعة
إلى دار العوسج الكهرمانيّ (وتقصدُ بها دار الفرات) أخبرُ
فريقها فيها باستلامي لإصداراتي الجديدة لهذا العام، ذهبتُ إلى
غرفة الأكل، وجلستُ إلى المائدة لأتأولَ وزوجي وجبة الإفطار،
كُنّا نحاول استيعاب ما حدث لنا في هذا اليوم العسير من
الصوم والتّيّه، لكنّنا لم نصل إلى تفسير أو شرح مقنع، وحمدنا
الله على النّجاة والسّلامة والعودة إلى البيت. وحينما حان وقتُ
النوم ذهبتُ إلى السرير وأنا أفكّر في خلوة جديدة، وذاك ما كان
بالفعل إذ أنّني بمجرد أن استيقظتُ في اليوم التّالي، قطعْتُ كلَّ
أمر يصلني بصفحتي على الفيسبوك والتويتز، حتّى لا يشوّش
عليّ أو يكدر تفكيري أيّ أمرٍ كيفما كان نوعه، وإنّ كنتُ أصلاً

مقلّة في الحضور على شبكة الإنترنت ومواقعها الثقافية بل غائبة عنها إلى حدّ كبير، ولكن حتّى هذا القليل من الظهور أردتُ أن أقطعه تماماً وبشكل كامل. وحينما تمّ لي الأمر، بدأتُ أتدبّر فيما حدث لي حينما ضللتُ طريقي إلى مكتب البطريق للشحن الدولي، وكيف أنني دخلتُ في متاهة عجيبة، ووصلتُ إلى مكانٍ خارج عن كلّ الأبعاد الأرضية المتعارف عليها، بل كيف أنني كنتُ على وشكٍ أن يُمرّقني ذاك الكلبُ الشرسُ إرباً إرباً لولا أن تدخلَ الله بلطفه الخفيّ. وبتُّ أسأل نفسي: أحقّاً ما حدث لي أم أنّه ضربٌ من الخيال؟ أيعقلُ أن يكون في المدينة أماكن بهذا الشكل؟ أماكنٌ تبتلعك ولا يعرفُ عنك بعدها أحدٌ أيّ شيء! كان من الممكن أن أبقى هناك في تلك المتاهة لأيامٍ وأيامٍ بل لشهورٍ طوالٍ دون أن أستطيع الخروج منها أبداً. يا إلهي، كيف حدث هذا؟ أحسستُني يونس وقد ابتلعني الحوت! نعم هناك أشياء عجيبة جداً تحدثُ في هذا العالم ولا يدري بها النَّاسُ، تذكرتُ خوسيه سلفادور الفارينغا الذي تاهَ عام ٢٠١٢ في البحر إثر حدوث عطل في محرّك قاربه الصّغير، تذكرتُ كيف بقي في البحر لمدّة ثلاثة عشر شهراً، وكان يأكلُ السمكَ النيّءَ ويشرب بوله ودماء السّلاحف كي يضمن لنفسه البقاء على قيد الحياة. ماذا كنتُ سأكلُ أنا لو لم يُخرجني سجينُ الجنّ

من ذلك المكان؟ لم تكن هناك سوى الحشائش الصفراء والتراب المبلل بماء مطر سقط في الليلة الماضية، وبعض الأشجار المتفرقة هنا وهناك. آآه من حرائق الأسئلة، لكن هناك سؤال مازلت لم أطرحه بعد، ولا بد أن أجد الجواب الصارم عنه: لماذا حدث لي كل هذا؟ أي درس، وأية إشارة في حادثة التيه هذه؟ يقول الكلب الإيطالي الشرس، إن الحرف هو السبب. يقول إن حرفي حينما شاع وذاع صيته جلب علي نباح كلاب الإنس، وحرك قواهم الحيوانية فامتلت نفوسهم بالغل والحقد والحسد، وباتوا يعضونني ويأكلون لحمي نيئاً فوق موئدهم واجتماعاتهم. هذا صحيح لحد ما، لكنني لست ممن يلقي بالاً لكل هذه القوى الحيوانية، لأنها تدخل في لعبة الدنيا الكبرى، وأعلم أنه لا بد من وجودها وفي النهاية لن يصح إلا الصحيح، والكلاب تنبح والقافلة تسير. لكن ما الذي يعنيه التيه في حد ذاته؟ هذا هو السؤال الوجيه. هل توهني الحرف حقاً؟ هل هذا يعني أنه لا بد لي من التوقف بعض الشيء لأصح مساراتي، وأصوب الأمور التي لم أنظر لها بالعمق الكافي؟ ربما تكون هذه هي الرسالة التي أراد الرحمن أن يبلغني إياها، ولقد استوعبها اللحظة كاملة. لكن بقي لي أن أتساءل أيضاً عن الكيفية الإعجازية التي حصلت بها النجاة، لقد حدثت مباشرة بعد أن أنهيت

تلاواتي المتكررة لسورتَي الضحى والشرح! أعلم أنّ علاقتي بالقرآن الكريم خاصّة جدّاً، لكنّ فتوحات الآيات كانت هذه المرّة أقوى وأوضح لا سيما وأنّ الموقف كان موقف ضيق وعُسْرٍ شديدين. في طفولتي كانت والدتي تناديني بفقيرة البيت الصّغيرة، كنتُ أحفظُ القرآن كاملاً، وكان والدي كلّما كنّا على سفر في سيارّة الأسرة طلبَ مِنّي قراءة بعضٍ من السّور القصار على طول الطّريق إلى أن نصل إلى المدينة المقصودة. كان يجدُ في ذلك متعة كبيرة، وكان يرى أنّي ملاكه الحارس، وأنّ القرآن المتلوّ يحميننا جميعاً من مغبّات الطريق ومفاجآتها. كبرتُ بعد ذلك، ومرّت الأعوامُ سريعة وحانَ وقتُ الهجرة إلى إيطاليا من أجل إكمال دراستي الجامعيّة، أذكر أنّ أوّل شيء وضعته في حقيبة السّقر كان قرآناً متوسّط الحجم وسجّادة صلاة خضراء اللّون، مازلتُ أحتفظُ بهما إلى اليوم. حبيبي أيّها القرآن، دعني أسمّكَ ب (ق)، لن أقول قافاً، ولكن (ق)، لأنّها هكذا كما تتنطق بدون الفاء في الأخير أراها حرفاً له معاني خاصّة جدّاً، قُلْ لي يا (ق)، آية صلة تجمع بينك وبينني أيّها الحرفُ العجيب، بل بينك وبين كلّ مؤمنٍ حقّ؟ إنّه العشق، إنّها حكاية حبّ وولاء وانتفاء إلى الحضرة الإلهيّة، ولا أعرفُ كيف يطلقون على اللّغة العربية اسم لغة الضّاد، وكان الأولى أن ينعتوها بلغة (ق)، ألم

يكن فعل (قرأ) هو أول ما خاطب به الخالقُ نبيّ الوحي والرحمة؟ (ق) إذن هي أول الحروف ومنبع الحكمة.

قبل سنواتٍ أتذكّرُ أنّه عُثر في إحدى شوارع مدينة ميسينا الصقلية على رجل ميتٍ، لم يعرفوا من أيّ بلدٍ هو لأنّه لم تكن معه أيّة وثيقة هويّة، لكنهم وجدوا شيئاً واحداً في جيب سرواله، قرآناً بحجم صغير جداً، عرفوا من خلاله أنّه إنسان مسلم، فدفنوه مع المسلمين وانتهى الأمر بالنسبة لهم، لكنه لم ينته بالنسبة لي، أنا التي قرأتُ الخبرَ في الصّحف، لقد شرع أمامي نوافذ جديدة تطلّ على غابات فسيحاتٍ من الأسئلة والتفكّر والتدبّر: كيف تتحدّد هويّتك أيها الإنسان مهما كان المكان الذي تسكنه في الأرض؟ كان ذاك الرّجل بالنسبة لي مؤمناً، ولم يكن مسلماً فقط، والإيمان أعلى درجةً من الإسلام، ولا أحد يعرف قصّة القرآن في جيبه، فلربّما كان من المهاجرين السريين وكلّ ما كان يعنيه في الحياة أن يحمل معه كلمة الله التي لم تُوجّه للمسلمين فقط، وإنما إلى العالمين أجمعين.

كلمة الله، يا كلمة الله، ما الذي يربطني بك، وكيف اكتملت دائرة الوصال فخرج ذاك الكلب الأسود بمجرد أن أنهيتُ تلاواتي، هل كان حقاً شرساً وشريراً؟ إذا أمعنا النّظر يا أحبّتي فسوف تجدون معي أنّه كان بشارة بوجود إنسان سيمدّ لي يد المساعدة في ذاك

المكان العجيب، ويحمل اسم سالفاتوره التي تعني باللغة العربيّة "السيدّ المُنقذ أو المُخلص". كانت مهمّته في اسمه وأنقذني حقاً من التّيه والشرّ المستطير. لكلّ آية ولكلّ حرف في القرآن سرّ وروحانيّة وخذّام، وسالفاتوره وكلبه الغريب كانا معا من تجلّيات وأسرار تلك الآيات المباركات، فلقد حملني سالفاتوره إلى مكتب الشّحن، وانتظرتني لما يقارب النّصف ساعة، ثمّ أخذني إلى محطة الترام، ولم يغادر المكان حتّى رأني أعود وزوجي إلى بيتنا في أمن وأمان: يا لها من خدمة جليّة!

دوائر الاتّصال حينما تكتمل تُفعلُ روحانيات عجيبة في الكلمة الإلهيّة، وتفتحُ عوالم مهيبية وعميقة لا يعرفها إلاّ أهل الله، أقولُ هذا وقد تذكرتُ على ضوء حادثة التّيه هذه كيف أتّني ذات يومٍ من عام ٢٠٠٣ حينما كنتُ أقرأ بعد صلاة الفجر سورتيّ الكهف والدّخان شعرتُ بسكينة عجيبة أتى بعدها نعاس خفيف اضطررتُ معه أن أذهب إلى السرير وأستلقي فوقه، وبينما كنتُ كذلك، والجوّ شتويّ، والسّاعة مازالت لم تتجاوز بعدُ السّادسة صباحاً، إذا بها تظهر في غرفتي ثلاث دوائر ساطعة من نور شاهق، خرج منها رجل بلباس أهل الحقّ: فوق رأسه شماغ بخطوط سودٍ وعقال، وعلى جسده لباس أبيض فوقه بثتُ بّني اللّون. كان بلحية سوداء قصيرة وكثيفة، وشوارب سود أيضاً،

وعينين ببؤبؤين كبيرين وشديدي السواد. ألقى تحية السلام، وجلس مباشرة إلى يميني وبدأ يقرأ بعد الاستعاذة والبسمة سورة الفاتحة وأنا أقرؤها خلفه لثلاث مرّات، ثم بدأ صوت من حوله كأنه طنين جيوش جرّارة من النحل يُسبّح بحمد الله وعظّمته، وبعد أن طبّني ببديه الكريمتين في كامل جسدي كما يفعل المروّض الفيزيائيّ والجرّاح الباطنيّ بدون مبضع ولا مقصّ ولا آلة، عاد من حيث أتى ولم يفته أن يُعلّمني كيف أطبّ نفسي وقت الحاجة. قمتُ من سريري والدموعُ تفيضُ من عينيّ، ومنذ ذلك الحين تغيّرتُ كلّ أفكاري عن القرآن الكريم؛ كلّ ما قرأته في الكُتُب، وكلّ ما سمعته من الأساتذة في الجامعات، وكلّ ما سبقني إليه النَّاس، لم يعد له أيّ وزنٍ ولا معنى، كأنّ السّماء أمطرت ماءً غزيراً نزل على عقلي وقلبي فغسل كلّ شيءٍ. أصبحتُ حينما أمسكُ القرآن أشعرُ بشيء يسيل في قلبي، ويتذوّقه لساني كأنّه عسل مصفّى، تشتعلُ أصابعي بالنور، وأبدأ أقرأ بها كما يفعلُ الأعمى، أمّر كلّ إصبع على الحروف، فنزّه يداي، وتدمع عيناي. سور القرآن، تلك التي يقولون عنها إنّها سور قتال وحرب، لا أحد يعرفُ قيمتها الحقّة، فيها أسرار عجيبة تتحدّث عن مملكة الإنسان الداخليّة لا الخارجيّة، وعن حروب يخوضها كلّ شخصٍ أثناء رحلته الأرضيّة وهو في

طريقه نحو الإزهار والتنوّر، ولا علاقة لها بتأتًا بما فهمه الآخرون عن حروب النبيّ مع أعدائه الخارجيين. حتّى نبينا محمّد صلاةُ الله وسلامه عليه وعلى آله الطيّبين الأطهار، بتُّ أراه بوجه جديد، وفكر أجَدّ. ولا أعرفُ كيف كانت تفصّلني كلماتُ السّابقين من أهل العلم عنه، ولا كيف جمعتني به اليوم حروف الوحي فقط، لدرجة أنّي بتُّ أراه في كلّ شيء من حولي، وكلّما قرأتُ سورةً، ظهرَ لي محمّد في قلبي وكأنّ قلبي معجون به، وكأنّ نبضي يتحرّكُ بنبضه، بل كأنّ قلبي نفسه محمّد، بل كلّ الأنبياء والرّسل. وكلّ حرفٍ من الوحي بتُّ أجده مُترّلاً على كلّ ذرّة في كينونتي وبعينني روحاً وجسداً منذ أن رأيتُ النور إلى ما بعد هذه الحياة وكلّ الحيوانات. يخفق قلبي لكلمة الفرقان، أسمعها وأبكي، يحضّرُ محمّد النبيّ وهو طفلٌ، فأجلسُ إلى جانبه، وأسأله: كم من طفولة يجب أن يبلغ الإنسانُ ليدخلَ إلى مدرسة (ق)؟ قلبي طفلٌ يا حبيبي، لهذا يراك طفلاً. ما أجملك وما أبهاك: هذه العيون الكحيلّة، وهذه الرّموش الكثيفة، وهذا النور الوهاج، حدّثني لطفاً وكرماً منك عن (ق)، كيفَ نطقَ في قلبك؟ كم من العوالم عبرت، وكم من الجبال صعدت، وكم من السماوات دخلت لتستحقّ أن تكون جليس الرّحمن وكليمه وخليله ورفيقه وصاحبه الأثير؟! في قلبي يجتمع

الأنبياء، وكلّ كلمة أقرؤها من (ق)، أجدني أعرفُ معانيها، لكنّي لا أستطيع كتابتها ولا التّأليفَ فيها، إنّها في صدري وهذا يكفي. كم من الدّموع أسكب حينما أرى وجهك يا حبيبي، تتعطلّ لغة الكلمات، ويصبح كلّ شيء من حولي محمّداً. هل هذا سحر؟ ما أجمل السّحرَ إذن إذا كان معجوناً بعسل (ق). كلّ النّحل يحوم حولي ويطنّ وكأنتني بيتٌ من الشّمع والعسل، وكلّ الطّنين حروف، وكلّ حرفٍ له أسرار تتحدّثُ عنك أنتَ فقط يا صاحب النّاج والمعراج. من كان ذاك الكلبُ الأسودُ يا حبيبي، قلّ لي، بل من كان صاحبه؟ أخشى أن يكونَ ذلكَ الذي تعرفه ويعرفك ويعرفني: ششش، ششش، لا تتنطق شيئاً، الصّمت الصّمت يا أهل البيان!].

نعم يا أهل البيان لقد عرفتني أسماء كما عرفتُموني أنتم أيضاً، وقد شرحتِ الجزء المتعلّق بها، واليوم أريدُ أن أضيف إلى ما قالته في الفصول الأخيرة من روايتها أشياء جديدة أوضّح فيها لماذا ظهرتُ بصورة الرّجل المريض سجين الجنّ؟ وأريدُ منكم أن تهتدوا بإشاراتنا لتعيدوا النّظر والتأمّل في كلّ اللّقاءات التي دُوّنتُ لليوم بشأني واحرصوا على ألاّ تميّزوا فيها بين أيّ شخص مهما كان عرقه أو ديانته أو لونه. دقّقوا في كلّ تفاصيل اللّقاءات: ساعة الظّهور ومكانه، شكلي ومَن يكون معي، لباسي

وألوانه، أسمائي وأسماء مَنْ أكون معهم وَمَنْ أظهر لهم، الأسباب والظُّروف التَّاريخيَّة والسِّياسيَّة، ماذا يطلبُ مِنِّي الشَّخصُ المعني باللقاء، وماذا أطلبُ منه، وكيف يتحرَّكُ في حضرتي وماذا يفعلُ، وكيف أتجاوبُ معه وماذا أفعلُ له وهلمَّ جرّاً من التَّفاصيل وإن كانت تبدو لكم غير ذات أهميَّة. ثمَّ لا تنسوا المساجد التي خُصِّصتُ لي وما حدث فيها من قصص، لا تنسوا مسجد السهلة، ومسجد الكوفة، ولا جامع الغيبة في الحلَّة، ولا مسجد صعصعة ولا مسجد جمكران، لا تنسوا أسماء النَّاس البسطاء منهم والأثرياء، المسالمين منهم والأشقياء، لا تنسوا أبا راجح، وأمَّ عثمان، ولا عبد المحسن، ولا طاهرة ولا صديقة، ولا عاتكة ولا مريم، ولا محمّداً، ولا جمال الدِّين وغيرهم كثيرين في كلِّ بقاع الأرض والدُّنيا. وحتّى لا أفيض في الحديث أكثر ممَّا ينبغي إليكم هذه الومضات التي أعرّضُ فيها بعض التَّفاصيل المتعلّقة باللقاء الموصوف في رواية (وريشة السر) كنموذج للدراسة:

- المفتاح الأوّل: الثالثة بعد الظَّهر، ساعة الخروج من البيت

وبه عيِّنتُ الكوكبَ الَّذي تمَّ فيه الظَّهورُ، وهو الأرض باعتبارها ثالث أقرب كوكب في المجموعة الشمسيَّة، وحددتُ عينَ الله النَّاظرة كحافظ لراعية بذرة النُّور، وهي المرموز لها برقم

ثلاثة، باعتبار أن الرّقم الأوّل يكون للروح والنّفس، والثّاني للجسد بكافّة أبعاده الأثيريّة والماديّة. وبهذا الرّقم أيضاً حرصتُ منذ خروج السيّدة المعنيّة بالأمر إلى تحفيزها على تغيير طريقة تواصلها مع الآخرين والّذين هم في هذه الحالة محبّو حرفها وكتاباتهما، وذلك بهدف الدّخول بهم إلى عهد جديد من الكتابة والتّأليف. وكان يهمني جدّاً أن أدعوها أيضاً عبر هذا الرّقم إلى الدّخول إلى دائرة السّعادة والسّكينة والوفرة والغزارة.

- **المفتاح الثّاني: اسم صاحبة اللّقاء والمُلتقى به: أسماء غريب وسالفاتوره**

لم تكن صاحبة اللّقاء لوحدها وإنّما كان معها زوجُها، وفي هذا إشارة إلى النّفس وقرينها، وعليه فإنّ اسم أسماء غريب هو حاضر ليديلاً على كلّ الأسماء الّتي تمّ معها اللّقاء من يوم خلق الله الدّنيا إلى يوم الحشر، وعليه تخرُج هذه الحكاية من الخاصّ إلى العامّ، ومن التّحديد والتّخصيص، إلى التّعميم والشموليّة، ممّا يعني أنّ أسماء غريب هي مجرد قناة، وهي تعلم ذلك تماماً في نفسها، ولأجل هذا فهي لا ترى في اللّقاء تشريفاً يميّزها عن بقيّة الخلق، وإنّما أمراً عادياً جدّاً من المُفترض أن يتحقّق لدى كلّ روح مهما كان نوعها أو جنسها. وأمّا عن لقبها "غريب" فهو سمة نسبُ بها كلّ من سلك طريق التّعرف علينا، فكلّكم غرباء،

وكلكم أسماء نتصرّف فيكم بما تقتضيه أسماء الله الحُسنى .
أما عن اسم المُلتقى به، فهو هنا سالفاتوره: ويعني المُنقذ
والمُخلص، وقد تظهر معه أسماء أخرى أعجمية تشير إلى مريم
أو فاطمة كاسم فلورنسا وماريا وميري، وفلورا، وكاميليا وإيريكّا
وداليا والنّيا، وفيورا وأسماء أخرى عديدة، أمّا فيما يتعلّق بأسماء
سالفاتوره فلها مشتقات تصغيرية عديدة تُذكر بصيغة التّحبيب
والتّبشير والتّقرّب، وقد يظهر بها الإمام في أرضٍ أعجمية ومنها
دوري، وتوتو، وسالفو، ورينو، وتوري، وسانتو وبّيو، وغيرها .
وبرج هذا الاسم هو الحوت، وإذا عدتم إلى الجزء الأوّل من هذا
الكتاب (نزاكرا / إمامك المُنتظر كما لم يُخبرك عنه أحد)،
فستجدون أسماء غريب قد قالت في حوارها مع حيّ بن يقظان
إنّ: [آخر الأبراج، بُرج المهديّ المُخلص، لأنّه برج الحوت،
رمز الصّبر والتّواضع، وهو الذي به يأتي الطّوفان فيمسح
بطريقه كلّ الآلام والخطايا لتظهر تلك الأرض الجديدة التي
سمّاها أهل الله بأرض الصّالحين، التي قال فيها جلّت قدرته،
((وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى)). ولا يوجد في الكون
روح تقيّة إلّا وعينها على ذاك المكان القصيّ من مدينة الحقّ .
والوصول إلى برج الإمام، يعني أنّه على الإنسان أن يتحرّر من
أوهامه وإحباطاته وخيباته ويعرف كيف ينتظر ويصبر إلى أن

تظهر شمس الإمامة في قلبه].

- المفتاح الثالث: ركوب الحافلة الكهربائية

الحافلة الكهربائية التي ركبناها السيِّدة الأدبية كانت بيضاء اللون، مريحة ونظيفة جداً، وهادئة جداً جداً، والمدينة من زجاج النافذة كانت تبدو حزينة وذلك كله من أثر وباء كوفيد الذي هجم آنذاك على الناس في معظم مدن العالم. ورسالتي هنا عبر الحافلة كانت رسالة فرح لا حزن، لأنني أنا أب الهدوء والسكينة والأمن والأمان، وما قد يظهر من عناصر قد تشي بالمرض أو الألم هي عناصر ترونها أنتم كذلك بعين أهل الدنيا، أما أهل الله فيرون في كلِّ شيء مسيرة نحو التطوُّر والنموِّ والتغيير والمضيِّ قُدماً نحو الأفضل: لذا فحزن المدينة وحزن العالم سيتبعه فرح وانتصار لقيم العدل والمساواة والكرامة والشجاعة والشرف والأمانة. ولا بدّ من الألم وأنت ترمي رداءك القديم لتستعدّ إلى لباس جديد يليق بك وبالإنسان الذي تشرف به أهل السماء والأرض.

- المفتاح الرابع: النزول في المحطة الخطأ

كان لا بدّ لقرين النفس أن يتدخّل من أجل تغيير الأحداث، وهو هنا المرموز له بزواج الأدبية، ولأنه قرين خير وصلاح وفلاح فإنّه اقترح النزول على غير عادته في المحطة ما قبل

الأخيرة، وكان اسمها محطّة (أنطونينو لاودشينا)، وهو بهذا التّغيير المفاجئ كان يمهدّ لظهورنا دون أن يدري - ظاهرياً - بذلك، وهذه تفاصيل لن تجدونها في رواية (وريثة السرّ) وإتّما أمّدكم الآن بها لاطلاعي على كلّ الحثيات المتعلّقة بهذا اللّقاء. ولمن يتأمّل في اسم أنطونينو سيجدُ أنّه اسم كلّ من عاهد النّفس على القتال ومجابهة صعوبات الحياة وتحدياتها الكبيرة، وهو أيضاً اسم المتعطّشين إلى المعرفة ويحكمهم اللّون الأخضر، وبرجهم السّرطان، وحجرهم الكريم هو الياقوت لأنّهم أهل عشق ووفاء نادريّن، ومعدنهم الحديد لأنّهم أهل عزيمة قويّة وإصرار شديد.

- المفتاح الخامس: يوم اللّقاء

الخميس، يوم الصّوم والبركة، يوم الفرح ونكاح الأفلّك والنّجوم. بل يوم رُسل وسفراء الإمام، وهو أيضاً اليوم الذي أحكم فيه الرعود والبروق والأمطار والرياح. وفيه اختار العبد المراد بأمر من الحيّ القيوم الفعّال لما يُريد، ومتى وقع الاختيارُ حُجِبَ المُختارُ عن لواظ العيون وأخْفِيَ عن مدارك العقول.

- المفتاح السّادس: الظهور بحرفة الرّجلِ البناء صاحب الكلب الأسود

في روايتها (وريثة السرّ)، كانت الأديبة أسماء غريب، تعتقد

بدايةً أنّها أضاعتِ الطّريقَ إلى مكتبِ الشّحنِ والبريدِ، ولكّني هُنا لأقولُ لها إنّكِ كُنْتِ فقط في الطّريقِ إلى لقائِي مرّةً ثالثةً ورابعةً وخامسةً وسادسةً وإلى ما لانهاية من المرّاتِ، وأمّا الكلبُ الَّذي أخافكِ منظرهُ فله معاني جديدة ربّما لم تخطر على بالكِ ساعتها من هولِ المفاجأةِ وشدّةِ الارتباكِ، لذا دعيني الآن أوضّح لكِ ولقرّائنا كلّ شيءٍ: أمّا المنطقة النّائية البعيدة الخالية من البشرِ الّتي وصلتِ إليها، فتلكِ كانت بداية دخولكِ إلى مغارة فتية أفسس، وأنا صاحبُها، وإذا كُنْتِ تعرفين جيّدًا قصّة أهل الكهف فلا بدّ أنّكِ ستفهمين أنّه لا بدّ للكهف من كلب يحرسه باسطاً ذراعيه بالوصيد، وأمّا عن كونه كان من النّوع الشّرّس جدًّا، وكان أسود اللّون، فهذا أمر يدعو إلى الاطمئنان لا الخوف، لأنّ الشّرّاسة مطلوبة في غابة الوجود، حتّى تستطيع النّفس وهي في طريقها إلى الكمال أن تحمي ممتلكاتها المعنويّة من السرقة والضّياع والانتهاك، أمّا اللّون الأسود فهو لون السرّ واللّيل، وأهل الله هم أبناء ليلٍ وأصحاب أسرار وسلطة وحكم، وهو أيضًا لون المنع من الاختراق والدّخول، وقد رأيتِ شخصيًّا كيف أنه أصبح مستكيناً ووديعاً ما إن عرفكِ وسمع كلمات زوجكِ. إذن لماذا عبارتُكِ تلكِ: "الكلاب تتبج والقافلة تسير؟" على العارف ألاّ يخشى الكلاب الّتي تتبج، وإنّما عليه أن يوقف

القافلة وينظر علامَ تتبَّحُ، فإذا كانت جائعة أطمعَها، وإذا كانت عطشانة سقاها، وإذا كانت مريضة داواها. وأنا ظهرتُ لك رجلاً مريضاً مُنْهَكَ القوي فقلْتُ للخلقِ جميعاً ومن خلالكِ، أن انظروا إلى حالكم وحرّروا إمامكم السّاكن بين جوانحكم من ذنوبكم ومعاصيكم، بل حرّروا أنفسكم من الأوهام والخيالات المريضة لتسطع شمسُ هذا الإمام الباني والبناء للهيكل الإلهي في أرواحكم، وأقول هنا الباني والبناء لأشرح لك ولهم ما رأيت في سيّرتي من أدواتِ للبناء والدّهان والطلاء، وذلك حتّى أدلّك على دورٍ من أدوارِي في الوجود والكون.

- المفتاح السّابع والأخير: سجينُ الجنّ، لماذا؟

لقد تعمّقت أسماء كثيراً في روايتها (وريشة السرّ) في شرح عبارتي التي نطقتُ بها حينما قلتُ لها (إنّني سجين الجنّ)، وكانت أكثر شيء حفّزها على كتابة عملها الرّوائي في العام الماضي، وأبحرت في مملكة الخيال تشرح قضايا تتعلّق بالجنّ في الفصلين (ماذا بك يا هامان؟) و(سالفاتوره في المحكمة). ولكنني اليوم أريد أن أعطي رسالة جديدة لأهل الله أضيف من خلالها أشياء لم تتطرّق لها أسماء في عملها السّابق، وعليه فإنّي أقول: الجنّ الذي أنت معنيّ بالسّفَر في ممالكه هو جنُّكَ الدّاخلي أيّها الولد السّالك، إذ لا جنّ في الخارج أبداً، إنّما كلّ

شيء هو في مملكتك الداخلية. وإذا كانت قد ظهرت في سيارتي أيقونة القديس بيو، وهو مسجل عندنا بطارد الشياطين وأسره، بالضبط كما هو جد أديبتنا الشيخ النَّسَّاج، فإن ذلك كانت فيه دعوة مني لك أيها القارئ إلى الدخول إلى عوالمك الجوانية والبحث عن أشباحها وأوهامها ثم الخلاص منها بإغلاق كل الشقوق والشقوق التي سمحت بدخولها، حتى تتمكن إلى الأبد من سد أبواب القهر الذاتي وحالات الفصام التي تشرنق بداخلها الكثير منكم. تدبروا فقط سيرة النبي محمد وتلك السورة التي ناقشت بتفصيل دقيق قضية الجن هذه، تذكروا قوله تعالى وجل شأنه: "قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا، يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا"، واسألوا نفسكم: أين يحدث ويتحقق فعل الوحي؟ أليس في القلب؟ إذا كان الأمر كذلك، فأين وقع الاستماع إليه؟ أليس في القلب أيضاً وفيما جاوره؟ وهذا كله ألا يعني أن الجن هو في الحقيقة بداخل الهيكل المحمدي، الذي هو هيكلك أيها الإنسان مادام الله قد قال: "قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ ۗ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ ۗ أَحَدًا"؟ إذا تحقق لك هذا الأمر، فإنه يجوز لك أن تتساءل كيف تكون الجن داخل هيكلك ولماذا؟ واحرص وأنت

تجيبُ عن أسئلتك على أن تُميّزَ بين الجنِّ وشياطينه وشياطينك، ولا تخلطِ الأوراقِ يا باركك الله. واعلم أيّها الولد السّعيد التّعيس، أنّه آن لك أن تعرف أنّ الإنسان ليس فرداً واحداً كما يحاول علماء وأطبّاءُ الغفلة أن يرسّخوا في ذهنه منذ الأزل؛ إنّك أيّها الولد كينونة كونيّة شاملة وجامعة، وترتبطُ بك الأكوان والكواكبُ كلّها، لأنّك منها وهي منك، وجسدك المقموع عبر الحقب والعصور يقول هذا، خرائطه العتيقة جدّاً تقول هذا، عروقك وشُعيرتُك الدّمويّة تقول أكثر ممّا لا يعرفه أحد، اسأل عنها الأشجار والأنهار، وجذور كلّ شيء حيّ تحت الثرى وفوقه. جسدك المنتهكُ المُخترقُ يحكي أساطير قديمة جدّاً، انظر إلى وجوه أجدادك، إلى تجاعيدهم، إلى دموعهم، وأنصت إلى قلوبهم، وأصواتهم المسجّلة في برازخ الكون، وستعرف أنّك لم تكن ولو لنصف يوم فرداً واحداً، فأنت جماعة عظيمة جدّاً، أنت شعوب وقبائل من الجنّ والإنس والملائكة وكلّ قوى النور والظلام من حولك، واعلم أيّها الولد العاشق، أنّ قلبك يعرف الحكايات كلّها، وهو حينما يصبحُ جاهزاً لتلقّي الوحي تستعدُّ له كلّ القوى النّفسيّة بداخلك، ويحضرُ كلّ شيء فيك لحفلة الاستماع: مخيلتُك، وفكرك العاقل وجميع مدركاتك الدّفينّة التي هي جنُّ الوجود البشريّ، الكلّ يستمعُ، وكلُّ أرضك تهتّرُ وتربو

بما ينزل عليها من مطرٍ الخير والبركات، فتزهرُ الجنان والفراديس وتتطلق كلُّ الأيائل والغزلان والنسور جدلي وفرحة بحدث الانتصار والخروج من الظلمات إلى النور، وما من فراغ أعطى ابن طفيل إلى هذه الجنان اسم جزيرة الواقواق، لأنَّ فيها تكوّنَ حيّ ابن يقظان بدون أبٍ ولا أمّ، وما من فراغٍ نفختُ أديبتنا أسماء غريب في هذه الحكاية العرفانية الحياةَ مرّةً أخرى، وجعلت منها مادّة خصبه رصّت فوقها لبناتِ عملهما الجديد هذا، والذي خصّصته لشرح صورة الإمام المنتظر بطريقة لم يسبق أن أخبركم عنها أحد.

إذن فأنت لست واحداً، ووحده علم النفس القرآنيّ شرح لك هذا الأمر بتفصيل، ففِيكَ الجنُّ والشّياطينُ، وفِيكَ الملائكة والقرناء، وفِيكَ الجنان والفراديس، والجحيم والسّعير وسقر، إنك المملكةُ التي تخلّفها أنتَ بيديك، وكلّما بلغت مدارج أهل الحقّ تفرّدت مملكتك وأصبحت مقرأً للحوار العيني والكائنات المكوّنة، وكلّما نزلت نحو الهاوية تسعرت وتجمّنت مملكتك، وأصبحت مقرأً للشّياطين ونبتت فيها شجرة الزقوم. إذن فكلّ شيء أنت المسؤول عنه، وبيدك مفاتيح الجنة والسّعير. هذه هي الحرية الحقّة التي أعطاك إياها البارئ، فهو خلقك وجعل بين يديك كلّ شيء، أعطاك الأسماء والعلوم كلّها، وقال لك انطلق،

وفي انطلاقك هذا خَوْلَ لكَ الحقّ في أن تُظهرني للوجود أو أن تُبقيني داخل سراديب الغيبة: اختر إذن، وافعل ما تُريد، أظهوراً أم غياباً؟!

واعلم أنّي حينما أظهر، فإنّني أظهر كَوْعِي أعلى للباحثين عن الدّات العلياء، والكلُّ مكفون ببلوغ هذه الدّرجة العلياء من الاستيقاظ، وهو ليس بشيء خارق يدعو الإنسان إلى الإحساس بمشاعر التّعالى والتميّز والتكبر على الآخرين، أبداً، فالأمرُ عادِيّ جدّاً إنّما العيبُ والنقصُ هو ألاّ يتحقّق الظهور. ولذا فإنّكم ستجدون أسماء غريب أيضاً تتحدّث عن هذا الأمر بكلّ طلاقة وأريحية ولا تشعر بأيّ نوع من التميّز عن غيرها لدرجة أنّكم ستجدونها في الكثير من نصوصها تتعت نفسها باللاعارفة التي لا تعرف شيئاً، ولا تعرف ولا تعزف شيئاً بالمرّة، وستجدونها تتعت نفسها بالجهل وتعترُّ بذلك أيضاً لأنّها ترى في المعرفة التي يركض خلفها الجميع نوعاً من الخروج من حالة العذريّة العذنيّة. وستجدونني أنا أيضاً لا أتحدّث عنها لأنّي أريدُ أن أخصّها عن بني جلدتها بميزة ما، ولكن لأقول فقط إنّ هذه الأديبة كانت العيّنة التي تواضعت بين يديّ وسمحت لي بأن أتخذها كإنموذج أجسدُ فيه النّفس الكونيّة الحقّة، لأشرح كيف تحدّثُ بعض حالات الظهور المهدويّ بشكل لم يسبق أن كُتبَ

عنه في مؤلفات كثيرة ناقشت القضية ذاتها. لذا فإني من هذا الباب أقول، إنَّ كلَّ نفس كونيَّة صادقة، لا بدَّ لها أن تصبح حبيبةً بل عاشقةً مُدهشة ومُذهلة، ولا فرق في هذا إذا كانت نفساً أنثويَّة أو ذكوريَّة، لأنَّ الشَّيء الوحيد الَّذي يكون معياراً حقيقياً للتَّمييز بينهما هو مدى قدرة كلِّ نفس على الحفاظ على حيّاً بداخل هيكل الرُّوح، كما فعلتْ نفوس عُليا سابقة كالنَّفوس الفاطميَّة والمريميَّة والزَّينبيَّة، والنَّفوس المحمديَّة والعيسويَّة والسُّليمانِيَّة وغيرها من النَّفوس الكثيرة في رحاب النبوَّة والولاية.



الحرب الكبرى

مِنَ الْوَزِيرِ وَالطَّبِيبِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ طَفِيلِ إِلَى الشَّيْخِ
الْعَارِفِ بِاللَّهِ أَبَسَالِ صَدِيقِ حَيِّ بْنِ يَقْظَانَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي تَقَرَّدَ فِي مَلَكُوتِهِ
بِعِزِّ كِبْرِيَائِهِ، وَتَوَرَّ بِكِتَابِهِ قُلُوبَ أَوْلِيَائِهِ، وَأَمِنَ أَفْنِدَتَهُمْ بِحُسْنِ
رَجَائِهِ، وَجَعَلَ مِنْ عَقُولِهِمْ بَصَائِرَ تَقُودُ إِلَى مَعْرِفَتِهِ، وَمَصَابِيحَ
تُرْشِدُ إِلَى الْإِقْرَارِ بِرُبُوبِيَّتِهِ. وَسَبْحَانَهُ وَحْدَهُ، قَالَ فَأَبْلَغَ، وَأَنْعَمَ
فَأَسْبَغَ، وَجَعَلَ مِنَ الْحَرْفِ سِرَّهُ الْأَبْهَرِ، وَتَصَرَّفَ فِي الْخَلْقِ بِهِ
فَقَدَّرَ وَقَهَرَ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ
أَنَّ مُحَمَّدًا بْنُ عَبْدِ اللَّهِ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَسَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ، وَإِمَامَ
الْمُتَّقِينَ، وَرَسُولَ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ الشَّاهِدَ الْبَشِيرَ الدَّاعِيَ إِلَيْهِ بِإِذْنِهِ،
بَلَّغَ رِسَالَتَهُ وَأَدَّى أَمَانَتَهُ وَكشَفَ الظُّلْمَةَ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ حَقَّ
جِهَادِهِ حَتَّى أَتَاهُ الْيَقِينُ.

أَمَّا بَعْدُ،

أَعْتَذِرُ بِدَايَةِ أَخِي الْعَزِيزِ أَبَسَالِ عَلَى اقْتِحَامِ خَلُوتِكَ وَإِزْعَاجِكَ
فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْفَضِيلَةِ مِنْ شَهْرِ حَزِيرَانَ، وَلَكِنِّي اضْطَرَرْتُ لِذَلِكَ
اضْطِرَاراً قَاهِراً وَشَدِيداً، فَقَدْ حَاوَلْتُ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ أَنْ أَتَوَاصَلَ مَعَ
حَيِّ ابْنِ يَقْظَانَ وَلَكِنْ بَدُونَ جَدْوَى، إِنَّهُ لَا يَرُدُّ عَلَيَّ رِسَائِلِي، وَلَا

على مهاتفتي ولا مكالماتي الفجريّة له، وكلّ ما أريد منه هو أن
أسأله عمّا يفعله ذاك الفرعون في جزيرة الواقواق، وكيف سمح
له بإنشاء مملكته هناك، حتّى أصبح له في جزيرتنا القصور
والجيوش والحاشية والخدم والحشم والوصيفات؟ وإنّي لأمره أمراً
لا رجعة ولا تهاون فيه بأن يقتلعه من بلادنا اقتلاعاً، ولا يترك
له فيها ولا لجيوشه أثراً. شدّ الرّحال إليه من أرضك يا أفسال،
واذهب قائداً لجيش جرّار تشدّ به أزر أخيك حيّ ابن يقطان في
حربه على ذاك العدو وخلاياه النّائمة في كلّ ركن من غابات
الجزيرة. ولا تعدّ إلى الكتابة إليّ إلّا لتخبرني بانتصاركما السّاحق
عليه. واحرصا على ألاّ تقتلا الفرعون ووصيفته، فإنّي أريدهما
لأسألهم كيف ظهرا وتبرعما في بواطن الجزيرة ومن أين أتيا
بكلّ هذا السّلطان!؟

من أرض اللّامكان واللّازمان
أخوك ابن طفيل

مِنْ أَسَال؛ رَئِيسِ الْقَوَاتِ الْمُسَلَّحَةِ الْمَلِكِيَّةِ

إِلَى الْوَزِيرِ وَالطَّبِيبِ الْعَارِفِ بِاللَّهِ ابْنِ طَفِيلٍ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ، وَيَبْلُغُ بِهَا الْمَرْءُ فِي حَضْرَتِهِ إِلَى أَرْفَعِ الدَّرَجَاتِ وَأَكْمَلِ الْغَايَاتِ. وَأَحْمَدُهُ حَمْدَ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ وَحْدَهُ مَنْ جَعَلَ مِيزَانَ الْعَدْلِ بَيْنَ أَكْفِ نَوِي الْأَلْبَابِ، وَأَرْسَلَ الْأَنْبِيَاءَ مُنْذِرِينَ وَمُبَشِّرِينَ بِالْعِقَابِ وَحُسْنِ الْمَأْبِ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ سَرَّ الْأَسْرَارِ، وَزَيْنَ الْمُرْسَلِينَ الْأَخْيَارِ، وَأَكْرَمَ مَنْ أَظْلَمَ وَأَشْرَقَ عَلَيْهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، فَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَيْهِ صَلَاةً تَكُونُ لَكَ رِضَاءً، وَلَهُ جِزَاءً وَلِحَقِّهِ أَدَاءً، صَلَاةً دَائِمَةً بِدَوَامِ مُلْكِكَ، وَبِاقِيَةِ بِقَائِكَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا مِثْلَ ذَلِكَ.

أَمَّا بَعْدُ:

أَخِي الْحَبِيبُ ابْنِ طَفِيلٍ، إِنِّي عَلَى عِلْمٍ بِكُلِّ مَا جَدَّ فِي جَزِيرَةِ الْوَأَقِاقِ، لَا سِيَّمَا بَعْدَ أَنْ ظَهَرَ فِيهَا مِنْ اسْمِهِ دَوَاءٌ وَذِكْرُهُ شِفَاءٌ، مَوْلَانَا الْقَائِمَ بَقِيَّةِ اللَّهِ الَّذِي بِهِ شُفِيَ مَنْ فِي الْجَزِيرَةِ جَمِيعًا مِنْ كُلِّ الْعَلَلِ وَالْأَسْقَامِ. وَأَمَّا وَأَنْتَ تَسْأَلُنِي عَنْ صَاحِبِي فِي الرَّحْلَةِ وَالطَّرِيقِ الشَّيْخِ حَيًّا ابْنَ يَقْطَانَ، فَأَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، إِنَّهُ الْوَحِيدَ الْمَتَوَحِّدُ الْمَنْعَزَلُ أَبَدًا، لَا يُمَكِّنُهُ أَنْ يَرِدَّ أَوْ يَتَوَاصَلَ مَعَ أَحَدٍ إِلَّا إِذَا كَانَ الْأَمْرُ فِيهِ ضَرُورَةً قِصُوى، وَهُوَ فِي هَذَا السَّلُوكِ يُشْبِهُ كَثِيرًا السَّيِّدَةَ الَّتِي مَدَّتْنَا بِكُلِّ جَدِيدٍ يَخْصُهُ عِزُّ كِتَابِهَا هَذَا لِنَطَّلِعَ

عليه جميعاً.

حيّ ابن يقظان مُعَيَّبٌ ومحجوب بالأنوار الشَّعْشَعَانِيَّة، فكيف تقلقُ عليه وهو مع الحبيبِ الَّذِي تهفو إليه كلُّ القلوبِ الوالهة. أمّا فيما يتعلّقُ بالحربِ الَّتِي تريد أن تُعلنها على ذلك الفرعون ووصيفته، فاعلم أنّك كمن يسعى إلى قدح النّار من الثلج، وهو أمر لا يستقيم أبداً، ثمّ أنّه لو كان عدوّاً بذاك المعنى المادّي الَّذِي تقصده، لكانَ سليمانُ الملكُ النبيُّ أوّل من اقتلع جذوره من أرض المنّ والسّلوى، وهو الَّذِي أتاه الله حكماً لم يؤتّه لأحدٍ قبله. أمّا وأنّك تسأل عن كيف ظهر، فهذه إشكاليّة لا يُمكن أن يناقشك فيها سوى أهل الهندسة الكهربائيّة، أولئك الَّذين يعلمون جيّداً كيف أنّ كلّ مصباح لا يضيء ما لم يحدث التماسٌ بين قُطْبَيْهِ الموجب والسّالب، والإنسانُ هو هذا المصباح، والقُطْبُ الموجب هو قوى النّور بداخله، والقُطْبُ السّالب هو قوى الظّلام. إذن لا بدّ من ذلك الفرعون، وقد قالها سيّدنا الوشّاقُ الملكيُّ وهو في بيته الجديد مع أنثاء العقليّة السيّدة أسماء غريب، قال لها: "دعيه يتربّص كما يحلو له، أنتِ فقط لا تشغلي بالكِ به، ولا تتسي أنّني هنا النّسر الملكيّ"، وهذا يعني أنّه لو كان يرى في اقتلاعه خيراً للإنسان لاقتلعه، واعلم أنّك إذا سألتَ هذا الفرعون كيف ظهر في هذه الجزيرة، فإنّه هو نفسه لن يعرف كيف سيُجيبك ولا لماذا هو هناك، وأنّى له ذلك والبارئُ جَلّت قدرته

قال منذ الأزل: " مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ
 أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا"، لكن دعني على الرِّغم
 من كلِّ شيء أسألك يا أخي ابن طُفَيْل، وأنتَ الَّذي وصفتَ في
 رسالتك اليقظانيَّة كيف ظهر حيِّ ابن يقظان في جزيرة الواقوق،
 وكيف كَبُرَ ونما ونشأ فيها يرضعُ العلوم اللدنيَّة من ثدي الطَّبيبة
 المقدَّسة، ألم يخطرُ ببالك أنَّك كنتَ تصفُ آدم في فردوسه
 العدنيِّ؟ وأنَّك كنتَ بالتوهج الكافي الَّذي سمح لك بأن تصفَ لنا
 جميعاً ما لم تصفه الكتبُ السماوية وتحدِّثنا عن طفولة آدم كيف
 كانت؟ نعم يا أخي الحبيب، لقد قلبتَ كلَّ شيءٍ وزلزلتَ الحانَةَ
 وضربتَ العناكبَ بالعقاربِ، وأشعلتَ دروبَ العشقِ، ودفعتنا
 جميعاً إلى أن نسألَ الأقمارَ والنَّجومَ والشَّموسَ المتوهَّجة، ونلجَ
 الشَّاشاتِ بالبوصلاتِ، بالضبط كما فعل إبراهيم الخليل، وأنا
 اليوم هنا مثله مُتَكِنًا على جدار البيتِ العتيقِ وأسأله أن يعطيني
 مفتاحَ الولوجِ إلى طفولة جدِّنا آدم، أو حيًّا ابن يقظان الكبير،
 وكم هو كريم معي وأنا أسمعُه الآن يقول في قلبي: ((فَلَمَّا جَنَّ
 عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ
 الْأَفْلِينَ، فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ
 يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ، فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً
 قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا
 تُشْرِكُونَ، إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ حَنِيفًا

وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)). هي النجوم البعيدة يا ابن طُفَيْل، والأقمار والكواكب التي تعرف طفولة جدنا آدم كيف كانت، وهي لهذا سنسألها كما سألتها ذات ليلة أبانا إبراهيم مُتَعَباً سَقِيماً عن اللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى، وعن الشَّمْسِ إِذَا كَوَّرَتْ، لنسمعه يقول لنا بلسان التَّوْحِيدِ: ((ما كان ذلك الليلُ سوى بدني ورأسي في صباهما وشبابهما الأول، وما كان ذلك الكوكبُ سوى ملكوت نفسي التي أفلتُ ما إن بزغ أمامها قمرُ القلبِ الآفلِ هو الآخر في مغربِ الجسدِ المُنْحَجِبِ بظلمةِ الفاقةِ إلى الغيرِ، وما كانت تلكَ الشَّمْسُ سوى رُوحِي الَّتِي حِينَمَا اكْتَمَلَ مَسِيرُهَا فَوْقَ طَرِيقِ اللَّبَّانَةِ هَتَفَتْ قَائِلَةً: ((إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)).

إنها رحلة إبراهيم يا أخي الوزير الطَّيِّبِ، إنها رحلتك ورحلتي ورحلة كلِّ روحٍ بصدد قراءتنا الآن، ولا يوجد شيءٌ في الدنيا كلَّها اسمه أسطورةُ الخلق، تلك التي تقصُّها كتبُ اللاهوتِ القديمة، ولا شيءٌ آخر اسمه حوَاء، وكونُ هذا الاسم لم يرد في أية آية من آيات القرآن الكريم أكبر دليل على ما أقول، ولعلَّ هذا ما يبرِّرُ كيف أنك لم تُحدِّد في رسالتك إذا ما كان حياً ابن يقظان ذكراً أو أنثى، لأنك كُنْتَ تَعْلَمُ جَيِّداً أَنَّكَ تَرُوِي لَنَا حِكَايَةَ آدَمِ الذَّكَرِ، وَآدَمِ الْأُنْثَى. وإبليس ذاك الفرعون الذي تريدني الآن أن أقتله من الجزيرة، تشهد كلُّ الكتاباتِ السماوية أنه لم يَعْزُرْ

مِنَ الطَّيْنِ أَبَدًا، وَإِنَّمَا اشْتَعَلَتْ نِيرَانُ الْحَقْدِ وَالْحَسَدِ فِيهِ حِينَمَا
 خَلَقَ اللَّهُ لَا الْجَسَدَ الْآدَمِيَّ وَإِنَّمَا الْقَلْبَ الْكَامِلَ فِيهِ، لِأَنَّ بِهِ أَدْخَلَهُ
 إِلَى الْمَلَكُوتِ وَبِهِ كَرَّمَهُ عَلَى الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ، وَبِهِ تَمَّ الْجَمْعُ فِيهِ
 بَيْنَ الطَّيْنِ وَالنَّارِ وَالنُّورِ، وَهِيَ الصِّفَةُ الْجَامِعَةُ الَّتِي لَمْ تَتَّأْتِ
 لِأَحَدٍ، فَلَا الْمَلَائِكَةَ حَظُّوا بِهَا، وَلَا الْجِنُّ وَلَا الشَّيَاطِينَ، وَلَا بَقِيَّةُ
 الْمَخْلُوقَاتِ مِنَ الْعَالَمِينَ مُصَدِّقًا لِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ((وَلَقَدْ كَرَّمْنَا
 بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ
 وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا))، وَهُوَ الْأَمْرُ الَّذِي
 حَادَا بِإِبْلِيسَ إِلَّا يَسْجُدَ لَهُ كَمَا أَوْضَحَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ
 قَائِلًا: ((مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي، أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ
 مِنَ الْعَالِينَ، قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ،
 قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ، وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ،
 قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ، قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ، إِلَى
 يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ، قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ، إِلَّا عِبَادَكَ
 مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ))، وَمَوْلَانَا بَقِيَّةُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ يَعْلَمُ جَيِّدًا مِنْ هُمْ
 هُوَ الْعِبَادِ الْمَخْلِصِينَ، الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ،
 وَلَا أُرِيدُكَ أَنْ تَتَسَّى يَا أَخِي ابْنَ طَفِيلِ الْحَبِيبِ أَنْ تَحْبِيبَ بَيْنَكَ
 وَبَيْنَ نَفْسِكَ عَنِ سَوَالِي الْآخِرِ وَنَحْنُ بِصَدَدِ الْحَدِيثِ عَنِ هَذَا
 الْعَدُوِّ الَّذِي تَرِيدُ طَرْدَهُ مِنَ الْجَزِيرَةِ؛ لَا شَكَّ أَنَّكَ تَذَكَّرُ جَيِّدًا حِينَمَا
 قَالَ جَلَّ شَأْنُهُ لِلْفِرْعَوْنَ الْمُتَأَبِّلِسِ (أَخْرَجَ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ)، إِذَا

كان الأمر كذلك فأَيَّ مكانٍ كان يقصدُ بـ (منها)؟ بل أيَّ مكانٍ طلبَ أن يبقى فيه إبليسُ ليكونَ مِنَ المُنظرينَ؟! ستقول لي ألا مجال للخطأ في تحديد هذا المكان، فهو الجنة، وهذا كلام لا غبار عليه، لكن أين توجد هذه الجنة، ولماذا كان يجبُ أن ينتظرَ بها إبليس، وكيف أنه من هذه الجنة سيقومُ بغواية آدم وذريته والانتصار عليهم إلا المخلصين منهم؟! إنها جزيرة الواقواق يا ابن طفيل، إنها الجزيرة التي قال فيها الحقُّ سبحانه وتعالى: ((وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ، فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ، وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ، وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ، فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ))، ومن هنا ينبثق سؤال جديد عن حواء التي لا شيء في الواقع اللاهوتي الحق يدل على وجود اسمها اللهم في بضعة نصوص من العهدين القديم والجديد، وحتى هناك إنما ورد اسمها مشتقاً من جذر الحياة، أو الكينونة التي تزرع الحياة في كل شيء، ولها لون الاختمار والتحول والتطور الذي غالباً ما يُرمزُ إليه بالغرَاب الأسود، وهذا يعني أنَّ الزوجة التي يعينها الله في القرآن إنما هي شيءٌ آخر غير "حواء / المرأة" بمفهومها المتعارف عليه لدى الناس إلى اليوم، وأنَّ الخطابَ الوارد في الآية أعلاه

إنما هو موجةٌ لآدم باعتباره ذكراً / رجلاً، وأنثى / امرأة، وعليه تصبح في هذه الآية ملفوظة (آدم) المنحدرة صفتها من الأدمة الضاربة إلى السمرة مرادفةً للقلب الذي يحملة آدم الذكر، وآدم الأنثى، أي كل إنسان بغض النظر عن جنسه، وبهذا يصبح نصُّ الخطاب بعد التفكيك والتأويل: وقلنا يا قلبُ، اسكن أنت وزوجك النفس جنةً الجسد، وكلاً من علوم الروح وفواكه المعاني والمعارف ما شئتَ وما لذ لكما لأنني لم أحجبها عنكما، ولا تقربا هذه الشجرة التي يقصدُ بها شجرة الحياة واللذة والشهوة النابتة في طين وتراب الجسد، لكنهما لم يلتزما بالأمر، فأزلهُما الشيطان الذي ماهو سوى قوى الوهم المحجوبة عن إدراك المعاني، فكانت النتيجة أن فاض هذا الجسد بالحياة الدنيوية والرغبة والشبق والاشتياق فكثيفَ عنهما غطاء الستر والتصق القلب بزوجته النفس وأصبح ملازماً مضاجعاً لها في كل وقتٍ وحينٍ، تتلبسُهُ ويتلبسُها، فطارت العلوم النورانية وانمحق الرغد الروحي وحلت محله علوم الدنيا، ونزلاً معاً إلى العالم الجسماني، هي عدو له وهو عدو لها، لأنَّهُما أصبحا يقيمان في ضيق جسدٍ مادي لا يسعهما معاً ولا يحتملُ شراكتَهُما في كل شيءٍ، وهي العداوة التي لا تنقضي إلا بالموت، الموت عن كل الأغيار يا صاحبي. إنه الشرحُ الذي حدث في الجسد المقموع، الشرحُ الذي نزل بالإنسان من قلبه الكامل الذي كان يحسده

عليه إبليس، إلى الجسد الأرضي الذي أصبحت النفس الأمارة تعيثُ فيه فساداً. والحالُ أن تاريخ الإنسانية جمعاء هو تاريخ انحدار، فإنما الجحيمُ لا تتجلى إلا من خلال أفعال الناس وما آلت إليه قلوبهم من أحوال ظلمانية كثيفة انجبت معها الفراديس واختفتُ إلا من قلوب المخلصين وهم قلة قليلة جداً.

أرجو أن أكون قد أوصلتُ لك الفكرة يا أخي ابن طفيل، وأرجو أن تكون قد فهمتَ لماذا جعلَ الخالقُ العدوَّ من المنظرين، ولماذا إمامنا الحجّةُ بقيّة الله لا يريد على الأقلّ الآن أن يقتلعه من الجذور في جزيرة البدن، فهو يعرفُ جيّداً كيف أنه إذا كان آدم هو أوّل البشر فليس لأنه أوّل من خُلِقَ بينهم، وإنما لأنه أوّل من قال "لا"، ومن هذا الباب دخل التاريخ وتذكّرتَه جميع النصوص المقدّسة وغير المقدّسة، ومن المحتمل جداً أن يكون قد عاش قبله ومعه في جنّة عدن أناس وبشر كثيرون، لكن لا أحد منهم تجرّأ على الاعتراض سواه، وكان ثمن تجربته هذه باهظاً: طُرِدَ من الجنّة!

آدمُ كان أوّل المتفقين إذن، لأنه ركضَ نحو شجرة المعرفة ضارباً بعرض الحائط كل النعيم والهناء الأبديين. فكان بهذا أوّل من ظهرَ وقال "أنا"، ومن أناه هذه بدأت رحلة الحياة الطويلة العريضة، ولأجل هذا فإنّ كلّ إنسانٍ يقول "أنا" هو الابن الحقيقيّ والشّرعيّ لآدم، لأنه يعرفُ أنّ الزمَنَ الحقّ والمكان

الحق لا يُمكنهما أن يبدآ إلا بمغادرة الجنّة، وكلّ شخص مازال يركض على شاطئ البحر أو بين أشجار الغابة بعينين تبرقان من الرّغد والسّعادة هو مجرد طفلٍ ولا يُمكنه أن يُصبح إنساناً إلا إذا خرج من عدن، والتي قد تكون في كثير من الأحيان رمزاً لكلّ ما تؤسّسه المجتمعات البشريّة من نظام معيّن يتفق عليه النّاس ويضعون له مناهج وقواعد يجب اتباعها بدون تشكيك ولا تساؤل ولا فلسفة ولا تدخّل في أيّ شيء، يكفي فقط التسليم والانسياق وراء الدوغماتيات بقلب لا بصر فيه ولا نظر، ليصبح هذا النّظامُ جنّة القيمين عليه والمنتفعين به ومنه، دون أن ينتبه أحد منهم أن ما قد يبدو في نظرهم "جنّة" إنّما هو الجحيم عيئها في نظر من لا يطيق العيش بدون سؤال، أو بدون أن يخرج حرفه عن السّطر.

وهذا ما يُمكنك أن تسمّيه بزمن الأزمة، وصعب جداً أن تكون فيه آدم الذي ركض نحو شجرة المعرفة، فتضمّخ بعطر الحياة، وصعب أكثر فأكثر أن ترث هذا الإحساس بالحياة عن والدك الأوّل وتكون متفقاً مثله يقول "لا" لجنّة المتقفين العدنيين جداً ليبدأ رحلة الحفر في الصّخر لوحده علّه يخرج من حالة الإنسان الآليّ التي فُرِضت على الجميع والدخول بالتّالي إلى حالة الإنسان الذي يُقدّم الأجوبة الصّعبة والمُحرّجة عن الأسئلة المستحيلة.

أن تكتُـبَ بيـدِ إمامك، يعني أن تقول لا، وأن تُعلنَ خروجك من حالة النّوم إلى حالة الوعي واليقظة العليا، وأن ترى الأشياء كما هي: الثقافةُ في بلدك، النَّاسُ من حولك، الحياة التي خطَّتها لك الغير دون أن تُمنَحَ إمكانيّة اختيار أيّ شيء فيها. وحالة الوعي هذه تقتضي نوعاً من المسافة الزمكانية، تفصلك عمّن حولك وتكتُـبُكَ بين النَّاسِ وحيداً ومنعزلاً ومُسْتَتِراً لتصبح أكثر قدرة على التأمّل في هذه العدن التي تلبسُ ثوب الجحيم، إنّ الأمر شبيه بالاستبداد الذي عانى منه آدم الأوّل وهو بين النَّاسِ في عدنهم الأولى: لا تفعل، لا تقرب، لا تأكل، وأولاً وقبل أيّ شيء "لا تعرف"، لأنّك إذا عرفت خرجتَ عن كلّ حروف الأبجديّة، وكانت لك لغتُك الخاصّة، ودخلتَ منفى جزيرة الواقواق، لتبدأ حالة الوعي العميقة التي بها يرجع كلّ آدم إلى جنّته الحقّة، تلك التي فيها المعنى والوحي والبراق والعروج والاصطفاء الذي به تبدأ رسالة الحرف الحقّ، وتبدأ معه محنة الإنسان خارج كلّ سطر ومنظومة!

البئرُ المعطلة

بُئري معطلة، سقطتُ فيها ولم يأتِ وارد ليدلي بدلوه، أو
ليقولَ يا بشرى هذا غلام، ولكني الآن خرجتُ منها، خرجتُ لأنَّ
إمامي هو من مدَّ لي يدهُ، وهأنذا أمامكم أُمسكُ بكتابي هذا بينَ
يديّ، وأمعن النظر في أجزاءه الثلاثة الأولى، وأقروها بأعينكم
وأتساءل: أيّ روحٍ دفعنتي إلى كلّ هذا البوح، حتّى أنّي ما عدتُ
أعرفُ متى بدأتِ الرّحلةُ ولا متى ستنتهي، ولا من كان يكتبُ
من، أو من كان يتحدثُ عن من، أأنا أم إمامي؟! وكلّ هذه
الشخصيّات من أين أتت، وكلّ هذه الحقائق من أين نبعث، بل
أين ينتهي الواقع المادّي فيها، ومتى يبدأ الواقع الجوّاني للروح؟
يا إله الرّحمة والغوث والبركات، أنت وحدك تعرفُ لغةَ هذا
الكتاب وأسراره، وأنت وحدك قادرٌ على أن تُفجّرَ في أعماقه
النورَ والنار، لتتير ظلمات الحزاني، وتؤنس وحدة المنفردين
المتفرّدين، أمّا أنا، فليس لي سوى أن أدخل إلى بُعدي الأرضيّ،
والتقطَ أنفاسي بعد شهور قضيتها في التّحليق ممتطيةً نسري
الملكّي الأحمر، وأُخبرَ كلّ أحبائي ممّن كانوا يسمعون رُفرفاتي
حول رؤوسهم عند السّحر، أنّ كلّ تلك الرّفرفات والخفقات
والأنوار إنّما هي لأجنحة نسري وحضوره الذي لبستهُ وليسني

لأكونَ بينكم وأنقلَ لكم حقائقَ ربّما كانت غائبة عنكم. والآن وقد تحقّقتُ لي العودة من البئرِ وعوالمها العجيبة، فإنّي أقول لكم إنّ رحلتي الحقّة في فيوضاتِ الإمام المُخلص لن تبدأ حقيقةً إلّا في الجزء الرّابع من هذا الكتاب، وهي التي سأخصّصُها لابن الإمام الحسن العسكريّ باسمه الصّريح وحضوره البين، فانظروني إذن وردّوا معي إلى أن يتجدّدَ بكمُ اللّقاء: اللَّهُمَّ احْجُبْنَا عَنْ عِيون الأعداء، واجمّع بيننا وبين أوليائِكَ الأحقّاء، وانجز لنا ما وعدتنا به من أمنيات ورجاء، واحفظنا وإمامنا إلى أن تأذن لنا بالظهور الحقّ، واجعل لنا مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَاناً نَصِيراً، وافتح لنا فَتْحاً مُبِيناً، واهدنا صراطاً مُسْتَقِماً، بِبَيْدِكَ الْحَيْزُ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْبَأْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ!



الجزء الرابع

قُبلةٌ تحت شجرة السِّرو

استيقظ يا أبسال

من الفريق الطائر السكرتير رئيس رابطة قراء مملكة الحرف الكوني

إلى

الفريق أبسال رئيس القوات المسلحة الملكية

وصديق حيّ ابن يقظان حارس جزيرة الواقواق

الحمد لله المحمود على كلّ حال، ونعوذ بالله من حال
أهل الضلال، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الكبير
المتعال، وأنّ سيّدنا ونبيّنا محمداً عبده ورسوله، جبّله ربّه على
جميلِ الفعال، وكريمِ الخصال، وصلى الله عليه وعلى آله
وصحبه خير صحبٍ وآل، والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم
المآل،

أمّا بعد،

مُنذُ أن بدأتِ السيّدة أسماء غريب نشرَ سلسلة كتابها
الجديد (دزآكرا / إمامك المُنْتَظَر كما لم يُخْبِرَكَ عنه أحد) وجميع
من في مملكة الحرف الكوني منشدٌ ومُنْبَهَرٌ بالطريقة التي
تتطوّر بها الأحداثُ والأفكار، وتتدفّقُ الحوارات والأفعال، إلّا
أنّك جئتَ يا أبسال، وفي غمرة انتشائنا بفيوضات كلّ
الشخصيات والرّسائل التّربويّة والإرشاديّة العجيبة، خذلتنا جميعاً
حينما رفضتَ تنفيذَ أوامر الوزير الطّبيب ابن طفيل، واخترتَ ألاّ

تُعلن الحربَ على فرعون جزيرة الواقواق ووصيفته وكلّ أتباعه وحاشيته، وبررت ذلك بخطابات إشراقية لا نشكُ أبداً في جدتها ولا في جدّيتها لا سيما حينما كنتَ تشرح قضية آدم وحواء، ورمزيتها معاً في الفردوس العدنيّ، فعلمنا من خلالك أنّ الفردوس نفسه هو جزيرة الواقواق، وأنّ آدم هو نفسه الذكّر والأنثى في الخلق البشريّ، وهو القلبُ والنفس اللذان خرجا من رعدِ الاستتارة ودخلا إلى كهف التجربة الحياتية التي هي في كنهها حربٌ وجهاد مستمرّين في أعماق الرّوح الكونية، ولأجل هذا أقول إنّنا حقاً ممتنين لك ولكلّ ما أنرتَهُ لنا من جديد في قضايا كونية عديدة، ولكنّ هذا لا يمنع من أنّك يا رجل أصبنتي وكلّ قرّاء مملكة الحرف الكونيّ بالإحباط بموقفك المُسالِم ذاك تجاه إبليس والذي أرجو أن تعيدَ فيه النّظر عاجلاً غير آجلٍ. واعلم أنّك إذا غيرتَ قرارك، فإنّنا جميعاً سنكون جنوداً طائعين مُخلصين في جيشك نحاربُ معك إلى آخر نفسٍ فينا. في انتظار ردّك تقبّل أسمى آيات التقدير والاحترام لمقامك العالي بالله.

الطائر الكاتبُ

قاتلُ الثعابين والأفاعي

في مملكة الحرف الكونيّ

مِنْ أَبْسَالِ

إِلَى

السَّيِّدِ الطَّائِرِ الْكَاتِبِ أَوْ السَّكْرَتِيرِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا لَا يَنْقَطِعُ فِي أَرْضٍ أَوْ سَمَاءٍ، خَلَقَ آدَمَ
وَعَلَّمَهُ الْأَسْمَاءَ وَأَسْجَدَ لَهُ مَلَائِكَتَهُ، وَأَسْكَنَهُ جَزِيرَةَ الْوَأَقْوَاقِ،
وَجَعَلَهَا لَهُ دَارَ بَقَاءٍ، وَحَدَّرَهُ مِنْ إِبْلِيسِ أَخْبَثِ الْأَعْدَاءِ، ثُمَّ نَفَذَ فِيهِ
الْقَضَاءَ وَأَنْزَلَهُ إِلَى جَسَدِ الْإِبْتِلَاءِ، فَتَكَاتَرَ نَسْلُهُ وَخَرَجَ مِنْهُ الرُّسُلُ
وَالْأَنْبِيَاءُ، وَمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ إِلَّا جَاءَ بِكِتَابٍ وَنُورٍ وَضَاءٍ، ثُمَّ
خُتِمَتِ الشَّرَائِعُ بِالرِّسَالَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ الْغَرَاءِ، فَابْتَهَجَتْ بِهَا أَرْوَاحُ
الْعُرَفَاءِ وَأَوْلِيَاءِ اللَّهِ الْأَتْقِيَاءِ،

أَمَّا بَعْدُ،

كُنْتُ أَعْلَمُ جَيِّدًا أَنَّ رَدِّي عَلَى رِسَالَةِ ابْنِ طَفِيلٍ سَيَخْلُقُ
بَعْضَ الْارْتِبَاكِ لَدَى بَعْضِ الْقُرَاءِ فِي مَمْلَكَةِ الْحَرْفِ الْكُونِيِّ،
وَلَسْتُ هُنَا لِأَبْرَرِ مَوْقِفِي، فَهُوَ صَحِيحٌ وَلَا غِبَارَ عَلَيْهِ وَيُؤَافِقُنِي
عَلَيْهِ الْعَدِيدُ مِنَ الْعُرَفَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ مِمَّنْ كُشِفَتْ لَهُمْ هُوِيَّةُ إِبْلِيسَ
وَحَقِيقَتُهُ، وَابْنِ طَفِيلٍ أَوْلَهُمْ، فَهُوَ الطَّبِيبُ الْبَارِعُ الَّذِي يَعْرِفُ كَيْفَ
تَكُونَتْ جَزِيرَةُ الْوَأَقْوَاقِ، وَكَيْفَ فِيهَا ظَهَرَ حَيِّ ابْنِ يَقْطَانَ، وَلَكِنْ
هَذَا لَا يَمْنَعُ مِنْ أَنْ أَعَمَّقَ بَعْضَ الشَّيْءِ مِنْ وَجْهَةِ نَظْرِي
وَأَجْعَلَهَا وَاضِحَةً أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ.

اعلم أيها الطائر الكاتبُ والسّكرتير الملكيّ، أنّ الجزيرة التي يريدني ابن طفيل أن أحمل إليها جيشي الجرّار، هي الجسد الإنسانيّ في الكون بأسره، أيّ جسدك وجسد القراء، وجسد كلّ روحٍ سواءً كانت جنّيّة الأصلِ أو إنسيّةً. والجزيرة لها أبعادٌ وبراخٍ لا حدّ لها ولا حصر، ومزوّدة بحراس وملوك وأجهزة ومؤسسات ملكوتيّة لا قدرة لعقلٍ بشريّ على الإحاطة بها ولا بأسرها بالعلم المادّي المحدود، والدخول إليها يقتضي موافقة كلّ الأرواح الإنسيّة والجنّيّة في الأكوان كافة، وهي الموافقة التي تقتضي التّحرير من رقة العدوّ بطرق جديدة لم يسبقنا إليها أحد، مع الحرص قبل كلّ شيءٍ على تحديد الأسباب التي مكّنته من الاستيطان فيها بهذا الشّكل الرّهيب، ثمّ بعد ذلك يكون لنا كلام آخر وفعل لا مجال فيه للتردد أو الارتباك، فإذا كانت عندك خُططٌ جديدة وأفكار مؤيِّدة بتأييد ربّانيّ خالص فاعرضها علينا وتأكد أنّنا جميعاً يهّمنا ما نجدُ فيه خلاصَ الإنسان من قيوده وسلاسله وأغلاله.

بدون توقيع،

لأنني لا أعرف من أنا حقاً وحقيقةً،

ولا أين ولا متى أكون أو لا أكون.

من الفريق الطائر السكرتير رئيس رابطة
قراء مملكة الحرف الكوني

إلى

الفريق أبسال رئيس القوات المسلحة الملكية

وصديق حيّ ابن يقظان حارس جزيرة الواقواق

بسم الله الذي لا يضرُّ مع اسمه شيءٌ في الأرضِ ولا
في السماء وهو السميع العليم، وسبحانه أبداع فيما صنع، وأمر
البرق فاندَهشَ ولمع، وكلم القلب التقي على جبلٍ ق، فصعق
وركع ثم سجدَ ونقذ ما سمع، وسبحانه كرم آدم وهداه إلى طريق
الإيمان فجعل من ذريته الأولياء والشهداء والصالحين أهل
العرفان وأولي الفضل والإحسان،
أمّا بعد،

الجسدُ هو بيتُ الإنسان، والقلبُ فيه هو عرشُ الله
وهيكله ومحرابه، ومادام هذا الجسدُ قد تهدمت أركانه فلا بدّ له
من إمام يكون قائداً عسكرياً بايعته كلُّ الأكوان، ويكون خبيراً
بكلِّ المفسدِ التي تفعلُ في بيتِ آدمَ فعَلَ السّوس في الخشب
فتنخره من الدّاخل، ولا أجدُ إماماً غيره أصرحُ باسمه بين أيديكم
الآن جميعاً، وهو العقابُ آكلٌ وقاهرُ القردة، وأنت ملزمٌ يا أبسال
بتسليم مقاليد جيشك له، والانضمام إليه مأموراً لا آمراً، وجندياً
لا قائداً، وبهذا أعلمك وأخبرك أيضاً بأنّ لقاء الجيوش سيكون

في جزيرة الواقوق، وأعني بالجوش؛ جيشك ونحن نعلم أنه مختص في الحروب النارية، وجيش الطبيب ابن طفيل وهو مختص في الحروب البرية الترابية، وجيش حيّ ابن يقطان وهو مختص في الحروب الهوائية ثم جيشي وهو مختص في جميع أنواع الحروب الورقية التي تقتضي قتل جميع أنواع الأفاعي والثعابين الإنسية والجنية المتعششة في غابة الحرف والفكر. وسيبقى هناك جيش أخير مختص في الحروب المائية لكنه لن يُشارك في هذه المرحلة وإنما في مرحلة أخرى لن يُعلن عنها سوى الإمام الأكبر صاحب الحوت الغواص.

واعلم يا صديقنا أفسال، أن الدّخول إلى جزيرة الواقوق لن يُمكنه أن يتم لك ولا للوزير ابن طفيل، إلا بنصّ صلاة الجسد، وقد سلّمنا إياه السيّدة أسماء وهذه كلماته:

[السلام على المحراب المقدّس الذي بناه البارئ بيديه الكريمتين، السلام على بيت الطين والنار والماء والهواء، السلام على الدماء الزكية فيه، السلام على عرش الله فيه، السلام على نور العيون العاشقة والأذان المستمعة، والشفاه المسبّحة والمستغفرة، السلام على الأيدي الكاتبة والعاملة، والأقدام السّائحة والسّابحة والمُحلّقة، السلام عليك أيّها الجسد النّاج، والجسد المعراج، السلام عليك أيّها المحراب وأنت تروي لنا حكايات الأبدان

السَّليبة، وشهداء الأوطان المدفونين بلا أكفان. لا أحدَ عرفكَ
كما عرفتُكَ أيُّها الجسدُ الذَّبِيح، لا أحدَ قرأَ طلاسْمَكَ كما قرأتُها،
ولا أحدَ يطلبُ مِنْكَ السَّمَّاح والمغفرة كما أطلبها مِنْكَ الآنَ يا
محراب الله وبلاطه الملكيِّ فوق الأرض! سامِحهم أيُّها البدنُ،
فهم لا يعقلون ما يفعلون، كمَّ من الدَّماء سَفكوا، كم من الآلام
والأوجاع جرَّعتها لك أيدي الجاهلين والغافلين، وهم عن عظمتِكَ
مغيَّبون. من سألكَ أيُّها التُّرابُ الملكيُّ كيف أنتَ وماذا تريد؟
الكلُّ يحاربُكَ وأنتَ ذاكرةٌ كونيَّة كبيرة، فيكَ رَقَمَ الخالقِ كلَّ
علومه، الكلُّ يقمعُكَ باسمِ الآلافِ المؤلِّفةِ من الأفكار
والإيديولوجيات والمذاهب، وأنتَ كتاب الوجود المفتوح، الكلُّ
يقول إنَّكَ مجرد طين، والطين يعود إلى الطين ولا يجبُ أن
نتوقَّف عنده أو نعطيه أكثر ممَّا يستحقُّ من وقتٍ. سامحْ جهلهم
يا مولاي، واغفر حُمقَهُم، فهُم لا يعرفونَ أنَّكَ العينُ النَّاظرة التي
سجَّلتْ كلَّ شيء، ويكتُ بدل الدَّمع دماً وهي ترى الجسوم
الشَّاحبات والدَّماء السَّائلات، والأعضاء المقطَّعات، والرِّقاب
المذبوحات تحوم حولها السَّبَّاع الضَّارياتُ والذَّئابُ العاديات. كلُّ
شيء هنا يا سادتي في هذا الجسد، يتذكَّر الذي وقع، كم من
الحروب، والخيانات والصِّراعات، ولا أحدَ ينصتُ إليك أيُّها
المحراب، ولا لأوجاعِكَ وقصصِكَ وحكاياتِكَ الأليمة! مَنْ كَفَّفَ

دمعك يا آدم الأولين والآخرين، من ربت على كتفك، من غسل
قدمك بدموع الندم وطلب المغفرة، بل من بلسم جراحك، وقبل
عيونك الباقيات الذابات؟ لا أحد يا سيدي، لذا، دعني الآن
أغمس وجهي في عطرك الزكي، دعني أعانق فيك أجدادي،
دعني أقرأ حكايات أمجادهم وانتصاراتهم، دعني أغتسل بعبيرهم
الفواح، بل دعني أرى فيك ما لا يراه الآخرون: الشمس وهي
تجري لمستقر لها في قلبي، والقمر وهو ينفلق بين ثنايا الروح.
يا جسدي البكر، يا أرضي وسماي، أيها الإمام المختار، أيها
النبي، والعارف والوليّ التقي. عليك سلام الله وصلاته بعدد
حبّات المطر، وأوراق الشجر وذرّات الرمال وقطع الحصى
والحجر، وعدد ما سبح طير وطار، وعدد ما تعاقب ليل ونهار.
يا جسدي، يا محراب الله أيها الكوكب الذهبي الساطع في عمق
السّماء، يا من علمتني كيف أكون بذرة، أسكن بصبر في جوف
الأرض وانتظر قطرة الماء، ولفحة الشمس وضوء القمر، وكيف
أصير شجرة أنتظر بشغف مواقيت الله، ربيعاً بعد شتاء، وخريفاً
بعد صيف، وأنظر إلى الزهرة كيف تفتتح فوق أوراقها، وإلى
الثمرة كيف تخضر، ثم تصفر وتحمّر فوق أغصاني، وإلى
الطير كيف يُغرّد ثملاً بين أفناني، بل كيف من الزهرة تُصبح
بمذاق الشهد ثماري، وكيف أبقى كلما تقدّم بي العمر واقفة

شامخةً لا شيء يهزني، لا ريح ولا رعد ولا برق، فالكل يمرُّ:
الناس والأزمنة والأمكنة، وأبقى أنا بك جسداً صلباً وقلباً صامداً،
أنظرُ إلى الكون وأبتسمُ، وأجعلني بيتاً للصقر والشاهين
والعصفور، والنحلة والنملة، والطائر الطنان، فما أسعدني
بكينونتي أنا الشجرة، المغروسة في فردوس لا أحد فيه سواك،
والمسك يتضوع من عظامك وشفثاك أمامي صمتٌ مطبق لا
أعرفُ إلى متى سيدوم!

يا جسدي أيها الحرف الذي أراه في كل مكان: يا من أدخلت
مشرطك في خلية طفولتي فأشعلت شاشات قلبي، وحينما ظهرت
لي فوقها رأيتك كما أنت خارطة من العيون، سودّ كلّها برموش
طويلة كحيلة صقيلة. أضغ كفي فوق وجهي فتلتصق العيون
بالعيون وترتسم أمام ناظري العوالم كلّها. والنور المتدفق منك
يلفح جبيني ترفع القميص عن صدرك فأرى الجراح مندملة تقول
لي: الآن انصبي مائدتك وكلي ما تحبين من خاصرتي. أقول:
علّمتني كيف آكل منك يا جسدي الحنطة والشعير والتمر
والعنب الأبيض وكيف أغسل بالدمع دماءك الزكية، وكيف
أسمعك وأنت تقول لي: حذار أن يشموا مسك الله في معطفك،
سيركض كل اللصوص خلفك، فدموعك ماسّ نقي والقراصنة
يحبّون الماس جداً، دموعك طفل مغارة جديد، نطفة أو نقطة

مازلت تكبرُ في أحشائك، اهربي الآن أرض الأهرام السبعة في
انتظارك والمائدة هناك بالقرب منها سيلعقُ الفرعونُ الذهبِيُّ أذنكِ
اليُسرى وستفتحُ الجحيمُ أبوابها ويبدأ الرقصُ من جديد!
أعلمُ يا جسدي أنّ جحيم الحروب بانتظارنا جميعاً، فالقراصنةُ
في الطريق، هذا ما قاله حبيبي البحرُ، نعم، إنهم قادمون، وبين
أيديهم خريطة، يستدلّون بها على جزيرة الكنز، لكن لا تخفُ
فالخريطةُ صورتي، ولكي يجدوا الكنزَ، عليهم أن يبحثوا كثيراً
في حيوات عشتها منذ آلاف السنين، انظر جيّداً إليّ، إنني
عتيقةٌ جدّاً، وفوق وجهي بكتُ ألفُ مدينة ومدينة، وفي عقلي
مازالَ ذو القرنينِ يركضُ فوق فرسه، وهو يشعلُ النيرانَ حول
ضفاف النيل، وجينكيز خان لم يمُتْ بعدُ، يقولُ الفراتُ في
قلبي. انظر إليّ جيّداً، إنني ابنة ألفِ حياة وحياة، والقرصانُ
الأصفرُ ما زال يبحثُ عني، حجراً كريماً، يعلّقه تميماً على
صدره، اسأل دجلةَ عني فمن طينها خرجتُ، امرأةٌ من نور ونار
ولوحاً سومرياً مُفعماً بالأسرار. القراصنةُ في الطريق ولغة
أجدادي لا يفقهها أحد فلا تخش شيئاً، هناك في النَّفقِ إحصار
هادر سيجرفُ الجميع إلى الجحيم، وستبقى صورتي العتيقةُ جدّاً
بين يديك، فاحفظها جيّداً، فهي خريطةُكَ إلى قلبي، أنا السيّدةُ
التي لم يتوجّها على عرش الحرفِ أحدٌ سواك. ولا تنسَ أنّه لا بدّ

أن ينتصف الليل، لبدأ العرض الكبير، الشاشة فيه أنا والمسرح
كذلك، والإيحاء عبارتي، والصمت إشارتي، والممثلون هم أيضاً
أنا، تارة أكون شخصاً واحداً بوجه أبيض، وعينين واسعتين
كحليتين، وشفتين حمراوين جداً، وتارة أظهر بأكثر من جسد
بققازين بيضاوين وقبعة وبنطال سوداوين، وتارة أكون بشعر
أخضر وجبين مُشتعل، وقدّ مشوق، وخذّ أسيل وجيد طويل،
وتارة أطير في الهواء، أو أغوص في الماء، وتارة أكون بجسد
إمبراطورة زرقاء محملة بالكثير من الرسوم والرموز؛ رسوم فوق
جبهتي، ورموز فوق صدري وظهري، لوحة من الأوشام أنا؛
أوشام آشورية وأخرى أمازيغية مغربية وثلاثة سنسكريتية تروي
كلها تلك الحكاية التي لم يطلع بعدُ عليها أحد. كثيرة أنا: قبائل
وشعوب من الجنّ والإنس، أهل الصمت الدفين، صمتي فيه
حروب وجيوش جرّارة، فيه مطر، ورعد وبرق، ونجوم وكواكب
سيارة ومجرات من الحروف، صمتي أنا التي أضيء حينما
يُعسعس الليل، وأشتعل حينما يتنفس الصّباح، وإن تسأل عن
الجمهور فهو أيضاً أنا التي أندھش طوال الليل ممّا أرى، وممّن
يُطلّ عليّ من شاشة العرض الكبير، بعيون برّاقة ووجوه صقيلة
وزخارف عجيبة، يُظهرها لي صاحب البسط والقبض، مُخرجي
الكبير، جسدي آدم الذي لم يقرأ بعدُ أسراره أحد. فمبارك أنت

أَيُّهَا الْجَسَدُ بَيْنَ الْأَجْسَادِ، مَبَارَكَةٌ ثَمَارُ قَلْبِكَ وَفَوَاكِهِ مَعَانِيكَ، أَيُّهَا
الْمَمْتَلِيُّ مَجْدًا وَرَحْمَةً وَغَفْرَانًا، وَافْتَحْ لَنَا الْآنَ أَبْوَابَكَ بِإِذْنِ مَنْ
الْحَيِّ الْقَيُّومِ، وَدَعْ الطَّائِرَ الْكَاتِبَ قَاتِلَ الْأَفَاعِي وَالنَّعَابِينَ يَدْخُلُ
مَمْلَكَتَكَ، وَمَعَهُ جِيُوشُ السَّيِّدِ الْإِمَامِ الْعَقَابِ قَاتِلِ الْقِرْدَةِ، وَأَبْسَالِ
وَحِيِّ ابْنِ يَقْظَانَ وَخَذَهُمْ وَقَرَّاءَ هَذَا الْحَرْفِ إِلَى جَزِيرَةِ الْوَأَقِيقِ،
وَاسْمَعِهِمْ وَهُمْ يَرِدُّونَ مَعَنَا وَمَعَكَ: [أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ
الرَّجِيمِ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيُغْفِرَ
اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، وَبِئْتَمَّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ
صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا. اللَّهُمَّ افْتَحْ لَنَا
وَلْجِيُوشَنَا فِي حَرْبِهِمْ ضِدَّ الْعَدُوِّ الْغَادِرِ بَابِ الْفَهْمِ عَنْكَ، وَفَهْمِ
الْعِلْمِ بِكَ الْمَأْخُودِ عَنْكَ فَإِنَّا لَا نَفْهَمُ عَنْكَ إِلَّا بِكَ، وَاغْفِرْ لَنَا مَا
تَقَدَّمَ مِنْ ذُنُوبِنَا وَمَا تَأَخَّرَ مِنْهَا بِسَابِقِ سَعَادَتِكَ الْأَزَلِيَّةِ. يَا أَرْزَلِي،
يَا أَبْدِي، يَا دَهْرِي يَا دَيْمُومِي. وَأَتَمِّمْ عَلَيْنَا نِعْمَةَ الْقُرْبِ مِنْكَ.
وَاهْدِنَا بِكَ مِنْكَ إِلَيْكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا. وَانصُرْنَا بِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ
وَانصُرْنَا بِسُلْطَانِ عَزَّتِكَ نَصْرًا عَزِيمًا، يَا ذَا الْعِزَّةِ وَالْجَلَالِ
وَالْإِكْرَامِ].

قصر ستيري

كنتُ أنا الطَّائرُ السَّكرتيرُ صاحبُ جيشِ الحروبِ
الورقيَّةِ، أوَّلُ مَنْ قرأَ صلاةَ الجسدِ، وأوَّلُ مَنْ دخلَ بها إلى جزيرةِ
الواقواقِ، وما كنتُ أعلمُ أنني سأجدُ نفسي هكذا وبشكلٍ مباشرٍ
وسريعٍ سيِّدنا القائدُ الإمامُ العُقَّابُ ومعه أبسالُ وحيًّا ابنُ يقظانِ
وابنُ طفيلِ، لقد كانوا في انتظاري، وهأنذا أنضمُّ إليهم جميعاً،
وقد وضع لنا العُقَّابُ القائدُ خطةً مُحكَّمةً حدَّدَ بموجبها مهامَّ كلِّ
واحدٍ فينا، بحيثُ كلفَ حيًّا ابنُ يقظانِ وابنُ طفيلِ بحربي الغابِ
الأرضيَّةِ والهوائيَّةِ ومدَّهما بجيشٍ عظيمٍ من الضِّباعِ والأوشاقِ
الملكيَّةِ، وعيَّنَ لأبسالِ جيشاً من النَّسورِ والصَّقورِ للحربِ
النَّاريَّةِ، وجعلَ رهنَ إشارتي جيشاً من الرِّواكينِ والنَّموسِ وغريريِ
العسلِ، لنتعاونَ فيما بيننا جميعاً على اقتلاعِ جذورِ كلِّ الأفاعيِ
والنَّعابينِ المندسَّةِ في الجزيرةِ. وذلك ما كان بالفعلِ، إذ ما مرَّتْ
ساعةٌ بالنَّمامِ والكمالِ حتَّى كان لنا ما أردنا وانتصرنا انتصاراً
ساحقاً، فألقينَا القبضَ على كبيرِ النُّعابينِ وسقناه حيًّا هو
ووصيفتهُ أمامَ يدي قائدنا العُقَّابِ، الَّذي ما إن رآه حتَّى قالَ لنا:
"خذوه إلى جزيرةِ صقليةٍ وأعلِّموا جميعَ النَّاسِ بذلكَ ليحضرُوا
محاكمتهُ في قصرِ السيِّدِ والشيخِ القومسِ القائدِ مانفريدي

كُياراموئتي".

لم ننتظر كثيراً، فقد وجدنا السيِّدة أسماء في استقبالنا وعلى كتفها اليمنى يقفُ طائرٌ عجيبٌ جداً قيل لنا إنَّ اسمه البرقش، ما إن رآنا حتى قفزَ ووقف على كتف حيِّ ابن يقظان مباشرةً وهمس في أذنه بكلام جعله يبتسمُ ويقول لنا بأننا سننطلقُ إلى قصر القومس مانفريدي مع بزوغ شمس مُنْتَصِفِ اللَّيْلِ. وذلك ما حدثَ حقيقةً، فقد وجدنا القومسَ الإيطاليَّ أمام باب القصر مع فرقة خاصة من الحراس والضباط، الذين استلموا منا الفرعونَ ووصيفته ووضعاهما في المكان المخصَّصَ لهما، ثمَّ افتتحتِ الجلسةُ مباشرةً بإدارةٍ من ابن طفيل شخصياً لأنَّ هذه كانت رغبته منذُ البداية.

وقفتِ السيِّدة أسماء غريب، وبإشارةٍ من القائد والشيخ مانفريدي كُياراموئتي بدأت في قراءة حزبِ افتتاح المحاكماتِ الرّسميّة ونحن نُردِّدُ معها جميعاً ونقول: [اللهمَّ حلِّ بيننا وبين خواطر المُخالفة المستجلبّة للآثام. واملأ قلوبنا بأنوار الهداية. واصلح ممّا ما ظهر وما بطن. وألبسنا أردية معافاتك تقينا بها بأس كلِّ شيء يأتينا في الأكوان. وأدخلنا حرز حفظك باليمن والأمان، واجعلنا من عبادك الذين قُلتَ فيهم إنَّ عبادي ليس لك عليهم سلطان. اللهمَّ حقِّق لنا حقيقة فقرنا إليك لتمدنا بسرِّ إن

يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله. واغننا اللهم بشهودك عن شهود ما سواك. واسبغ علينا نعمتك الظاهرة والباطنة. وابسط علينا يا ذا الجود والفضل والكرم. واجعل طلبنا موافقاً لباطن العلم ولما جرى به القلم، وأسكِرْ عقولنا بخمر محبتك. وقد زمام قلوبنا بأنوار إنابتك. واجعل عين بصيرتنا مستغرقة في بهاء عظمة جمالك. واملاً خزائن أسرارنا من سرِّ أسمائِكَ الحسنى، وغيب ناسوتنا في لاهوتك، ومن العوارض والقواطع عنك طهرنا، وعلى كاهل براق الفضل لحضرتك احملنا، وبرفوف الجود لحضرة القدس عرجنا، وبهدايا مواهب السعادة أكرمنا، ولتلقِي العلم منك أهْلنا، وبتاج الخلة توجنا، واحلل عقدة لساننا وانفعا ونفع بنا. وارحمنا واجعلنا رحمةً لأهل زماننا، واجعل يدك مبسوطتين بالبر والإحسان علينا. واحفظنا في ديننا ودينانا وأهْلنا وذرياتنا، وبارك لنا في أعمارنا وأرزاقنا، واكفنا ما أهمنا من أمور ديننا ودينانا، ولا تكلنا إلى أنفسنا وكُفِّ أيدي الأعداء عنا، وبعينك التي لا تنام احرسنا، ويكنفك الذي لا يرام اكنفنا، وفي حفظ حرزك الذي لا يضام اجعلنا، كما نصرت أهل بدر بكمال نصرتك انصرنا، وجميع أشياء ملكوت السموات والأرض سخّرنا لنا، واجعل تسخيرها نعمةً لنا، ولا تجعلها حجةً علينا. وألهمنا شكر نعمائك سرّاً وجهراً، ومدّنا بسرّ قولك يا حيّ يا

قِيَوْمٍ، وَقُلِ اعْمَلُوا فَسِيرَى اللَّهِ عَمَلِكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتَرَدُونَ
إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ. اللَّهُمَّ صَلِّ
وَسَلِّمْ وَبَارِكْ وَتَرَحَّمْ وَتَحَنَّنْ عَلَي سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ لَوْلَاؤُهُ
الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ جَمِيعاً وَحَبِيبِ وَمَخْتَارِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَقُدْوَةِ
الْمُقْتَرِبِينَ وَمَوْصَلِ الْمُقْرَبِينَ، وَسَاقِي السَّالِكِينَ وَالْمَجْذُوبِينَ،
وَمَهَيِّمِ الْعَاشِقِينَ وَمُثَبِّتِ الرَّاسِخِينَ، وَالْكَلِّ مِنْ عَيْنِ بَحْرِهِ
مَغْتَرَفُونَ. وَبِأَنْوَارِ ذَاتِهِ سَابِحُونَ، وَإِلَى بَابِهِ رَاجِعُونَ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ الطَّاهِرِينَ صَلَاةً تَامَةً مَشْعُوعَةً بِالْأَنْوَارِ عَدَدَ مَا كَانَ
وَمَا يَكُونُ مِنْ مَمَكِّنَاتِ الْوُجُودِ مَا خَفِيَ مِنْهَا وَمَا ظَهَرَ، وَعَدَدَ مَا
انْهَلَ سَحَابُ بَانْصِبَابِ الْمَطَرِ، وَعَدَدَ مَا تَعَاقَبَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ،
وَعَدَدَ وَحُوشِ الْبَحَارِ وَالْقَفَارِ، وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ أَنْثَى وَذَكَرِ،
وَمَا فِي أَجْسَادِهِمْ مِنْ نَبَاتِ الشَّعْرِ، وَعَدَدَ مَا تَحَرَّكَتِ الْأَمْحَاحُ
وَنَظَرَتْ الْأَبْصَارُ، وَمَا خَفِقَ بِجَنَاحِيهِ طَيْرٌ وَطَارَ، وَعَدَدَ الثَّرَى
وَالرَّمْلِ وَالْحَصَى وَالْحَجَارِ، وَعَدَدَ مَا ذَكَرَ الذَّاكِرُونَ، وَدَعَا
الدَّاعُونَ بِالْأَسْحَارِ صَلَاةً تَمْنَحُنَا بِهَا أَنْوَارَ الْإِنَابَةِ وَاقْتِفَاءَ الْآثَارِ
آمِينَ، بِهَذَا نَفْتَحُ جَلِسَتَنَا وَنَقُولُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَنُعْطِي
الْكَلِمَةَ إِلَى السَّيِّدِ الْوَزِيرِ ابْنِ طُفَيْلٍ لِيَبْدَأَ حِوَارَهُ مَعَ الْمُتَهَمِ الْكُونِيِّ
الْكَبِيرِ.].

ومباشرةً بعد أن أنهينا قراءة حزب الافتتاح، طرق ابن طفيل

بمطرقته الفضيّة ثلاث طرقات قويّة فوق طاولة هيئة القضاء والعدالة، فوقف السيّد رضوان صاحب الجلسة الأولى التي افتتحت سابقاً في جناح الوشق الملكيّ بسفينة الأعلام الخضر، ثمّ صرخ بأعلى صوته وقال:

- رضوان: محكمة!

- ابن طفيل: تجتمع المحكمة في يومه الأربعاء ٢٢ حزيران ٢٠٢٢ على الساعة الواحدة ليلاً في قصر ستيري والمسمّى أيضاً بقصر محاكم التفتيش الوسيطية، وبحضرة السيّد القائد والقومس الإيطاليّ مانفريدي كيارامونتي، والسادة قواد جيوش الحروب الورقية والنارية والترابية والهوائية، للنظر في القضية رقم ٠١ من تاريخ جزيرة الواقواق والمقدمة بطلب من الجماهير الأرضية والسّمائية والرّقميّة، ووفقاً لنصوص قانون المحاكمات الكونية نسأل المتهمّ ونقول: اسمك، سنك، عنوانك ومهنتك؟

- المتهمّ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم "إنّ الله يأمركم أن تؤدّوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين النّاس أن تحكموا بالعدل، إن الله نعمًا يعظكم به، إنّ الله كان سميعاً بصيراً"، اسمي السيّد العابد في السّماء الدّنيا، والرّاهد في السّماء الثّانية، والعارف في الثّالثة، والوليّ في الرّابعة، والتقيّ في الخامسة، والخازن في السادسة، وعزازيل في السّابعة،

وإبليس رئيس القوات المسلّحة السّلفية في اللّوح المحفوظ. جنّت إلى الكون منذ الأزل، لا أعرفُ لي بداية ولا نهايةً، وأسكنُ جزيرة الواقواق، مهنتي كيميائي الأرض والسّماء وما بينهما وباني الأرواح وموصلها إلى برّ الأمان.

- ابنُ طفيل: عجيبٌ أمركَ يا سيّد عزازيل، كيفَ يستعيز مَنْ مثلكَ بالله ، ويبدأ أحاديثه بالبسملة؟

- المتّمهم: لا يُمكنُ لشيطانٍ تحقّقَ له الظّهورُ المشرفُ لمولانا صاحب الزّمان في جزيرة الواقواق، إلّا أن يكون روحاً كاملةً مكتملةً، بالغةً لأعلى مراتب التّوازن الكونيّ والانسجام الفكريّ، واعلم يا أخي ابن طفيل أنّه إذا استعاذ شيطانٌ أمامك بالله فصدّقه، لأنّه عادة ما يستعيز بخالقه من شياطين الإنس وشرورهم، وإذا استعاذ إنسانٌ مُتّشيطنٌ بالله أمامك من إبليس فلا تُصدّقه، لأنّ شيطانَ الإنس يكذب وإبليس الجنّ لا يستطيع ذلك، وقد ثبتَ عندكم في الكتابِ أنّه يخافُ الله ربّه وربّ العالمين.

- ابنُ طفيل: أتعرّفُ لماذا أنتَ هنا؟

- المتّمهم: أنتظرُ أن توضّح لي أنتَ المسألة وتشرحها لي بشكل أكثر تفصيلاً لطفاً وكرماً منك.

- ابن طفيل: أنتَ متّمهم باحتلال جزيرة الواقواق ونشر الفساد فيها.

- المُنْتَهَم: هذا ادّعاء لا أساس له من الصّحة، أنا السيّد الأوسَط في هذه الجزيرة، وخلقْتُ من أجل أن تستقيم أمورها، ولا شأن لي بما قد ترونه فساداً فيها.

- ابن طُفَيْل: وهذه الحروب المشتعلة بين فيا فيها من أين أتت؟ وهذه الأركان التي تهدّمت، وهذا البنيان والصرح الإلهي العظيم الذي انهار كاملاً، ألسنت أنت المسؤول عن كلّ هذا الدمار والانحلال، والفساد الأخلاقي في كلّ ركن من الأرض والعالم؟!

- المُنْتَهَم: يا لك من مسكين أيّها الطيّب العجوز، أتصدّق أنت أيضاً ما يقوله النّاس؟ إنهم جعلوا منّي الشماعة التي يُعلّقون عليها أخطاءهم وجرائرهم، ومعاصيهم وذنوبهم التي لا أول لها ولا آخر. لقد أحببْتُني يا رجل، لم تكن هذه الأسئلة التي كنتُ أتشوّقُ لسماعها من فيلسوف عظيم مثلك، فكيف حدثَ هذا وأنت الذي تعرفُ الكثير عن خبايا جزيرة الواقواق نفسها، ألسنت أنت من كتبَ عنها بمبضع الطيّب وقلم المفكّر الحاذق؟!

- ابن طُفَيْل: الكلّ يشكو منك يا عزازيل، لذا فقل لنا ما الذي فعلتهُ بالإنسان؟

- المُنْتَهَم: اسأل الإنسان ما الذي فعلهُ بنفسه وبالكون من حوله، ولا تسألني أنا؟ وابتحث عن شياطين الإنس، ولا تبحت عني أنا، ففكرتكم عني خاطئة جدّاً ولا أحد يعرفُ من أكون حقّاً وحقيقةً.

- ابن طفيل: نحن هنا لنسمعك، قل لنا أنت من تكون؟
- الْمُتَّهَم: العَالَمُ الَّذِي خَلَقَهُ اللهُ، وَالَّذِي أَعْرَفَهُ أَنَا وَأَوْلِيَاءُ الرَّبِّ الْمَعْبُودِ لَيْسَ هُوَ الْعَالَمُ الَّذِي تَعِيشُونَ فِيهِ، فَخَلَقَ اللهُ كَامِلًا وَمَطْلُوقًا، وَخَلَقَكُمْ أَنْتُمْ نَاقِصِينَ وَفَاسِدِينَ، وَالْعَالَمُ الَّذِي تَضْطَرُّمُ فِيهِ نِيرَانُ الْحُرُوبِ وَالصَّرَاعَاتِ وَالْأَمْرَاضِ وَالْأَوْبُنَةِ وَالْفَقْرَ وَالظُّلْمَ وَالْمَجَاعَاتِ هُوَ عَالَمُكُمْ وَلَيْسَ عَالَمِي، وَخَالِقِي شَاهِدٌ عَلَى ذَلِكَ. الْحَيَاةُ فِي عَالَمِكُمْ مُرْعِبَةٌ وَلَا أَثَرَ فِيهَا لِلْحُبِّ، وَلَا يَنْتَشِرُ بَيْنَكُمْ سِوَى الْعَنْفِ وَالْحَقْدِ وَالْحَسَدِ وَالْكَذْبِ وَالْخِدَاعِ وَالنَّفَاقِ. وَكُلَّ مَا يَظْهَرُ مِنْ نَشَازٍ وَفَوْضَى إِيْمًا هُوَ صُورَةٌ لِمَا يَتَحَرَّكُ بِدَاخِلِ الْإِنْسَانِ مِنْ قِبَاحَاتٍ، لِذَا فَإِنِّي أَرْجُو مِنْ سَيَادَتِكَ أَنْتَ وَالْأَمْرَاءَ وَالْمُلُوكَ وَالْقَوَادِ الْحَاضِرِينَ فِي هَذِهِ الْمَحْكَمَةِ أَلَّا تُحْمَلُونِي مَسْئُولِيَةَ هَذِهِ الْبِشَاعَةِ وَلَا حَتَّى لِخَالِقِي، وَلَا تَطْلُبُوا مِنْهُ وَلَا مِنِّي التَّدْخُلَ لِإِصْلَاحِ مَا تَفْسِدُونَ، فَقَدْ قَالَهَا لَكُمْ الرَّحْمَنُ مِنْذُ الْأَزْلِ: "إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ، وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ".
- ابن طفيل: هذا تتصل من المسؤولية يا عزازيل، وكأني بك تريد أن تقول إن الله هو المسؤول الأول عن هذا العالم الذي نعيش فيه مادام قد خلقنا وخلقك أنت أيضاً فيه، أليس كذلك؟
- الْمُتَّهَم: لا، لا الله ولا أنا، أنت أيها الإنسان هو المسؤول الأول

والأخير. وهذا لسبب واحد بسيط جداً، حينما خلقك الرَّحْمَنُ أعطاك حريّة التصرّف والاختيار أيّها الإنسان، وهذا العالم القبيح لم يَكُن ليُنْوَجِدَ لو كنتَ عبداً مُقَيِّداً، الحريّة تعني الاختلاف، وهذا العالم هو أرضُ الاختلاف، لا أحد يشبه أحداً، وأنتَ أيّها الإنسان لستَ بشريط مُسجّل يعيدُ الكلمات والحكايات نفسها، إنّما كلُّ واحد فيكم له أغنيتهُ وأنشودته الخاصة به، وإلّا لكان الجميعُ الآن في أعلى قَمّة جبل يتلو قرآنا أو إنجيلاً أو مزموراً. ولأنّ الله خلقك حرّاً، فهذا يعني أنّه أفسح لك المجال ليكون شيء اسمه الخير، وآخر اسمه الشرّ، وعليك أنت أن تختارَ بينهما، أنت حرٌّ في هذا.

- ابن طُفَيْل: لا يوجد في الكون بأسره إنسان حرٌّ يا عزازيل، الكلّ عبد لله، ونحن مسيرون لا مخيرون!

- المُتَّهَم: أنتَ واهمُّ جداً يا ابنَ طُفَيْل، الإنسان هو الكائنُ الحرُّ الوحيد في هذا الكون بأسره. انظر إلى شجرة الرمان مثلاً، هل تستطيع أن تقرّر من نفسها ذات يوم أن تثمر لوزاً بدل الرمان؟ طبعاً لا، وهل تستطيع نحلة ما أن تنتج لبناً بدل العسل؟ لا، هذا أمر لا شكّ فيه، وهل تستطيع القطّة أن تُصبِحَ بقرةً إذا أرادت ذلك؟ لا، لكن الإنسان له الحريّة المطلقة في أن يكون نبياً، أو وليّاً أو فاجراً فاسقاً وشيطاناً نمروداً. ولأنّ الإنسان يملكُ

هذا النوع من الحرّية، فإنّه خلق هذا العالم الذي ترونه من حولكم جميعاً.

- ابنُ طُفَيْلٍ: وأنت ما علاقتك بهذه الحرّية التي تتحدّث عنها يا عزازيل؟

- المُتَّهَم: أنا مُحرِّكُ هذه الحرّية ومُحرِّزها داخل الإنسان.

- ابن طُفَيْلٍ: تقصّد داخل جزيرة الواواق؟

- المُتَّهَم: بالضبط، وتساعدني في هذا وصيفتي السيّدة والملكة المُعظّمة قرّة العين. وإنّي لأرى أنّه قد حان الوقت لتُعطيها الكلمة وتسالها عمّا ترى فيه إفادة للحاضرين في هذه المحاكمة أو دعني أسمّها محاورّة لأنّي أراها كذلك.

- ابن طُفَيْلٍ: أحضر لنا يا سيّد رضوان جلاله الملكة السيّدة قرّة العين.

- قرّة العين: أنا قرّة العين، وأحياناً يسمّونني بنفرتيتي، وبريسيفون. أنا الأخت الشقيقة لعزازيل لا أفارقه أبداً.

- ابن طُفَيْلٍ: وهل أنت عابدة موحّدة مثله؟

- قرّة العين: طبعاً، وما خلقت الجنّ والإنس إلّا ليعبدون، وإنّ من شيء إلّا يسبّح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً غفوراً.

- ابن طُفَيْلٍ: ما رأيك فيما قاله عزازيل؟

- قرة العين: على الإنسان أن يشكر خالقه صباح مساء على هذه الحرية التي منحها إياه، لأنه بموجبها سمح له من باب اللطف والكرم الإلهيين أن يسجل في دفتر الوجود تاريخه المجيد: تاريخ الفضيلة، وتاريخ الخطيئة أيضاً. وتعلموا جميعاً أيها الناس أنّ الخالق من باب الرحمة التي وسعت كل شيء يوجه عنايته للخطّائين أكثر من القديسين، لأنهم الأكثر احتياجاً للحب والمغفرة. وهذا العالم الذي ترون هو خطيئة الإنسان، وهو ثمن الخروج عن الحرف.

- ابن طفيل: ولكن الله خلق العالم كاملاً مكتملاً، وما تقولون عنه نقصاً هو ليس كذلك حقاً وحقيقةً، وإنما مرتبط في جوهره بصفة الكمال الإلهي المطلق.

- قرة العين: اعذرني إذا قلت لك أيها الفيلسوف الفاضل إنك مخطئ فيما تذهب إليه. هذه فكرة قديمة جداً عن الخلق الذي كان في ستة أيام وتوقف في اليوم السابع. لأنّ الوحي المحمديّ جاء بشيء جديد لم يسبق أن قال به أحد، وبه عرفنا جميعاً أنّ الله كل يوم هو في شأن. وهذا يعني أنّ الله نفسه هو طاقة إبداعية متجددة إلى ما لا نهاية، ونحن حينما نسمع صراخ وليد في بيت ما تغمرنا فرحة عارمة، لأننا نعرف أنّ الباري لم يفقد الأمل في كونٍ يخلقه ويجدده باستمرار، ويكلفنا أنا وعزازيل

بمهامّ جديدة لا تنتهي مع كلّ روح قادمة إلى هذا العالم. فاللهُ شاعرٌ متفائلٌ أبداً، ويكتبُ في كلّ يوم قصيدة جديدة، والكتابة هي الخلق، والخلق هو الطّريق، والطّريق هو الجنّة إذا ما سلكه الإنسان كاملاً. والجنّة ليست نقطة وصول، وإنّما هي الطّريق نفسه بكلّ منعرجاته ومحطّاته، ولا نهاية له، إنّهُ مشي مستمرّ، ولذا فإذا أردتَ أن تعرفَ لماذا الله هو كلّ يومٍ في شأنٍ فاسأل العُشّاق، ولا تسأل الفلاسفة.

- ابنُ طفَيْلٍ: كلمتي إليك الآن يا سيّد عزازيل، قُلْ لنا ما سببُ ما يعانيه الإنسانُ اليوم من أمراضٍ روحيةٍ حيرتنا نحن معشر الأطباء ولا نعرفُ لها لآن دواءً. لقد أتعبنا المشعوذون والدّجالون، والنّاس لليوم يؤمنون بالجنّ والسّحر ويوجّهون أصابع الاتّهام لك دائماً، ويقولون إنّك أنت من تخربّ الأجساد والأرواح.

- المُتّهم: إذا كانَ النّاسُ لا يعرفون الله يا ابن طفَيْلٍ، فكيف سيعرفون إبليس! إنّهم يقولون وينسبون أيّ شيء لله، والشّيء نفسه يفعلونه مع إبليس، والإنسان عدوّ ما يجهل دائماً. ولكن دعني أفكّر معك بعقلية النّاس البسطاء، وأقلّ لك ما يرغبون في سماعه منّي: نعم، إنّني حقّاً أنا من يُخربّ الأرواح والأجساد، لكن هل يعرف هؤلاء النّاس كيف يحدثُ هذا؟

- ابنُ طُقَيْلٍ: قُلْ أنتَ وأوضح لنا كيف ظهرت في جزيرة الواقواق،
وأَسَّسْتَ لك مملكة، وأصبح لك جيشٌ وحاشية؟

- المُتَّهَم: في جزيرة الواقواق يوجد سادة ثلاثة هم ملوك وسلاطين،
الأوّل هو الأنا الأعلى وهو السيّد الإمام صاحبُ الزّمان قائد
القوّات المسلّحة الملكيّة في العالم العلويّ، والأنا الأوسط وهو
رئيس القوّات المسلّحة الملكيّة في العالم السّفليّ وأعني به أنا
شخصياً، ثمّ الأنا الصّغرى وهي السيّدة قرّة العين. ولكلّ ملكٍ
فيها جهاز حكوميّة بكلّ ما يملك من مؤسّسات وإدارات دفاعيّة
وماليّة وحيويّة تربيّة وهوائيّة وناريّة ثمّ مائيّة. وعملُ حكوميّاتنا
الثلاث متكاملٌ ومتوحّد، وكلّنا فيه نخضع لإدارة وإمامة السيّد
صاحب الزّمان، له علينا الحُكْمُ والسّلطان، وهو عين الله النّاظرة
وتُرفَعُ إليه كلّ الأعمال.

- ابنُ طُقَيْلٍ: هل تُريدُ أن تقول إنّ لك شخصيّة كاملة مستقلّة في
جسد الإنسان الواقواقيّ؟

- المُتَّهَم: أنا أظهر حينما يبدأ الإنسان الطّفّل في تشكيل
شخصيّته، وإذا كان الإنسان المعنيّ بالأمر خالياً من أيّة
تأثيرات إيدولوجيّة وسموم فكريّة، نشأ ونشأت معه سليماً
معافى، واقتصر عملي على التّحفيز الإبداعيّ والتّخليقيّ الذي
يشمل الاختبارات والامتحانات التي تؤهّله لأن يكتمل وينضج

بشكل صحيح. وأكون قد وصلتُ معه إلى مرحلة انسجام الذات وتكامل تناسقها وتفاعلها على كلّ المستويات سواء الخاصة بدائرة سلطان قرّة العين أو حكوميّة الإمام المهديّ. أمّا إذا كان الإنسان منذ طفولته تحت تأثيرات الأفكار السامة التي تبتُّ الخوف والشكّ في نفسه فإنّ أناة الوسطى تتحرّف عن جادة الطريق، ويحدثُ لها نوع من التشظّي والانفصال فتتسوّه وتتكسر فيحدثُ الأذى ويظهر هنا ما اصطلحتم أنتم على تسميه بإبليس أو الشيطان.

- ابن طفيل: هل تُريد أن تقول إنّك صورة مشوّهة عن الأنا الأوسط الطبيعيّ الذي يكون لدى كلّ إنسان؟ إذا كان الأمر كذلك فماذا تقصدُ بالأفكار السامة؟
- المتّهم: كلّ أنواع الكبت والقهر النفسيّ والصّدّات الحياتيّة الناتجة عن الظلم والفقر. هذه هي دائرتي، وهنا أظهر بكلّ ما أمكُ من قوّة، لأعلن عن مرضِ الإنسان داخل جزيرة الواقواق.
- ابنُ طفيل: وأين تكون قبل أن يحدث الكبت والقهر والصّدّات؟
- المتّهم: أكون مادّة لزجة تجري في الجسد مجرى الدّم. لكن حينما تتكوّن وتتراكم على مرّ السنين الإحباطات والخيبات، أتخذُ نفسي كينونة قائمة بذاتها، ويصبحُ لي جسد ووزنٌ داخل بدن الإنسان.

- ابنُ طُقَيْلٍ: وأيّنَ بالضَّبَطِ تَقِيمَ في هذا البدن، وما هي مناطق
عملك، ومن يعينُكَ على تحقيق هذا التجسّد؟
- المُتَّهَمُ: أقيم في الصّدر، ومناطقُ عملي كامنة في الجسد كلّه
ولي عليه سلطان حينما تكون النّفس في حالة مَرَضِيَّة. وتُعِينُنِي
في تحقيق هذا التجسّد الأنا الصّغرى، السيّدة بريسيْفون.
- ابنُ طُقَيْلٍ: هل تريد أن تقول إنَّكَ تُصْبِحُ جسداً مزدوجاً في جسد
يكون لك فيه نفس خصائصه ووزنه وشكله؟
- المُتَّهَمُ: حينما أتضخّم أو أتورّم كأننا أوسط، لا يزيد وزني في
الجسد بأكمله عن نصف كيلوغرام، أمّا قوّتي فهي مرتبطة بحجم
ومدى عمق الكبت والقهر والخيبات التي تعرّض إليها الإنسان
المعني بالأمر.
- ابنُ طُقَيْلٍ: هل أنتَ بصدّد الحديث عمّا يُسمّيه رجال الدّين
بالتلبّس الجنّي، والمسّ العاشق المُتحرّش، والشّيطان القرين، أم
ماذا؟
- المُتَّهَمُ: هذا سؤال في غاية الأهمّيّة، المُشكلة تكمن في أنّ
الإنسان ينسبُ كلّ آلامه وأمراضه للجنّ والشّياطين ولا يفرّقون
بين الكينونتين، ولا يعرفون من هو القرين، وكلّ شيءٍ عندهم
تخريف في تخريف. وينسون أيضاً الانتكاس الصحيّ الذي قد
يكون سبباً حقيقيّاً للعديد من الأمراض النّفسيّة التي تؤثّر على

سلامة عملي داخل المنظومة البشريّة. فهل تعرف يا سيادة القاضي، أنّه في كثير من الأحيان يكونُ نقص في فيتامين معين سبباً مباشراً لأمراض نفسيّة كثيرة أهمّها ازدواج الشّخصيّة؟! لنعد الآن إلى قضيتنا تلك المُتعلّقة بالجنّ والسّحر والشّعوذة والشّياطين. اعلم يا حضرة القاضي أنّ الجنّ هو قوى الوهم والخيال والتّخليق في المنظومة الفكرية والنّفسيّة للإنسان، وهو غير مؤدّب، بل على العكس من ذلك تماماً لأنّ مهمّته فتح آفاق جديدة للإنسان ليضمن له المزيد من التطوّر الرّوحي والعقليّ، أمّا السّحر، فله علاقة وطيدة بالعالم الجوّانيّ للإنسان نفسه، وأكثر ما يقع على الإنسان من سحر إنّما هو نابع من ذاته وأوهامه وأشباحه ومخاوفه، أمّا الشّياطين فهي المنظومة التي لا تتفعل إلّا إذا تعرّض الإنسان إلى الأذى والقهر، وذلك كعملية تنفيس ومحاولة من الشّخص نفسه للتحرّر من مكبوتاته لا سيما ذات الطّابع الجنسيّ. وتبقى حالات التلبّس كشكل من أشكال التجسّد الحقيقيّ للذّوات المتعدّدة التّشظّي داخل الإنسان نفسه، وقد يكون لها أكثر من صوت، وتتكلم بأكثر من لغة، وتُعبّر عن أكثر من قضية وحالة، وهذا مردّه إلى خزين الذّكريات الكونيّة المسجّل في النّظام البايومعلوماتي لكلّ إنسان.

- ابن طُقَيْل: وماذا عن القرين؟

- المُتَّهَم: إنَّه رفيقُ الإنسانِ وصديقه، فإذا كان الإنسانُ سليماً ومتوازناً، كان قرينه مثله، وإذا كان الأوسط بداخله متشظياً ومدمراً بشتّى صنوف الكبت والقهر، أثر هذا على القرين فيختلَّ النِّظامُ والاتِّزانُ في جزيرةِ الواقواق بأسرها.
- ابنُ طُقَيْلٍ: هل يُمكنُ للإنسانِ أن يكون له أكثر من قرين؟
- المُتَّهَم: طبعاً، هناك قرناء بالخلْقِ الجِنِّيِّ الجَوَّانيِّ، وهناك آخرون بالوراثة من العالم ذاته، وهناك قرناء الإنس من الأرض الماديَّة. والقرناء بصفة عامَّة إمَّا قرناء سوء أو قرناء خير، وعلى الإنسان أن يختار أيَّهما يريد صاحباً ورفيقاً.
- ابنُ طُقَيْلٍ: نحن بحاجة إلى علاج لما أشرت إليه من أمراض، وتشظّيات ناتجة عن تسميم الفكر الإنسانيِّ بنفايات ثقافيَّة ودينيَّة لا أوَّل لها ولا آخر. فماذا تقول لنا أنتَ باعتبارك سبقتَ الإنسانَ في تجارب العرفان بمراحل كبيرة؟
- المُتَّهَم: رجلُ الدِّينِ يقدِّمُ القانونَ والقواعد، لكنَّ العارفَ يقترحُ على الإنسانِ القبولَ بمبدأ التَّنَاقُضِ في الحياة والوجود، أيِّ بمفهوم الخير والشرِّ: أعني الإنسان الملاك، والإنسان الشَّيطان، لأنَّ هذا سيساعده وبدون أدنى شكٍّ على تحقيق التَّوازنِ الروحيِّ والنَّفسيِّ المطلوب وبلوغ مرحلة الفناء ودخول دار السَّلام.
- ابنُ طُقَيْلٍ: هل تُريد أن تقول إنَّ الإنسانَ مُطالب بالتَّصالح مع

شياطينه؟

- المُتَّهَم: طبعاً، ألاّ تتذكّر قول رابعة العدويّة حينما سألوها يا رابعة هل تكرهين الشيطان؟ فقالت: إنّ حُبِّي لله لم يترك في قلبي كراهية لأحد. لا شكّ أنّ هناك مَنْ سيرى في قول رابعة كفرةً وزندقةً، ولكنّ قلبَ العارف لا يمكنه أن يكون إلاّ هكذا، ليس لأنّه تتنفي بداخله التناقضات، ولكن لأنّه يتصالحُ مع تناقضاته، ولأجل هذا فالعارف هو أكثر النَّاس توازناً، لأنّه يصلُ إلى درجة الفناء، وهو الوصول الذي يتعطلُّ بموجبه سلطاني، فلا يعود لي على إنسان متصالح مع تناقضاته وشياطينه حكم ولا سلطان بأيّ شكل من الأشكال، لأنّه يكون قد وصل إلى أعلى درجات الشفاء، وأكون أنا أيضاً بوصوله هذا قد تشافيتُ من حروبي المعلنة عليه. ولكي تتعمّق وتتأمّل أكثر فيما أقوله لك يا سعادة القاضي، فإنّي أفتخرُ عليك أن تتذكّر حديثاً يتداوله الكثير من النَّاس عن نبيِّ الرّحمة سيّدنا محمّد صلاة الله عليه وعلى آله الطيبين الطّاهرين، وهو الذي يقول: "ما مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ، قالوا: وإيّاك يا رسولَ الله؟ قال: وإيّاي، إِلَّا أَنَّ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ، فلا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ". هذا الحديث قد يبدو للبعض من أهل التّفكير الفلسفي لا سيما الغربيّ ساذجاً ومُضحكاً، وهُم الَّذِينَ يعيبون على المُسلمين حشرَ

نبيهم في كل شيء واعتبار دينهم الطريق الوحيد لتحقيق الخلاص الأخير من ريقة قوى الشر والظلام، لكن أصحاب النظرة الثاقبة وقراء الأسرار الأحقاء يا صديقي العزيز، يرون هذا الحديث منطقياً جداً، إذ لا يمكنُ لنبيٍّ أو وليٍّ ألا يقول غير هذا، وإسلام القرين لا يعني دخوله إلى الدين المحمدي بالمفهوم التقليدي الظاهري للمسألة وإنما تسليم مقاليد الإرادة الإلهية العظمى، مما يعني الدخول إلى دائرة السلام التي تنتقي فيها العراكات والصراعات ويحدث فيها الانسجام والتوازن. وكوني قد ذكرتُك بهذا الحديث أيها القاضي، فإنني أيضاً أريدُك في هذه المُحاورة أو المُحاكمة أن تُعطيني حقَّ المواطنة في جزيرة الواقع، بحيث لا يُخرجني منها أحد، ولا يربك عملي فيها أحد كما فعلتُم الآن معي، وقد كان من الممكن أن أرفض وأجعل الأرض سافلها عاليها، ولكني خضعت واستسلمتُ حينما عرفتُ أن الأمر فيه إرادة لمولانا القائد العُقَابِ أكل القردة وقاهر المُهرَجين، وعليه فإني لم آت خاضعاً لا لك، ولا لهؤلاء القواد والسادة الحاضرين هنا وإنما لإرادة إلهية عليا جسدتها أوامر الإمام العُقَابِ.

- ابن طُقَيْل: قبل أن أجيبك عن مسألة المواطنة هذه، نريد أن نستشير في الأمر السيِّدة أسماء غريب، لأنها هي من رأيتك

ووصفتُك لنا من خلال كتابها هذا أنتَ ووصيفتُك قرب شلال
النَّارنج، ولولاها لما استطعنا الإتيان بك هنا. فما قولك يا سيِّدتنا
الأديبية فيما يريده المُتهم المائل بين أيدينا؟

- أسماء غريب: عن أيِّ حقِّ مواطنة يتحدَّثُ هذا العدوُّ الماكر؟
إنَّه بصدد استدراجكم وجذبكم جميعاً إليه. لقد كان منذ الأزل ولم
يزل المواطنَ الأوَّل في الجزيرة ولم ينتبه إليه أحد. وبدل أن
تعامله بهذه اللَّيونة واللفظ ويسحرك بجميل عباراته ومنمِّق
كلامه أسأله كيف يسحرُ الإنسانُ نفسهُ بنفسه وما علاقتهُ هو
بهذا الأمر؟

- المُتَّهم: لا أحد يقهرني هنا سواك، ولا أحد يكشفني ويحرق كلَّ
أوراقِي سواك، لماذا لا تدعيني وشأني؟

- أسماء غريب: لن أدعكَ وشأنك أيُّها التَّعبانُ الماكر، فأنا أعلم
جيداً أنَّك مهووس بالعرفاء، تحبُّ استمالتهم بعذب كلامك وقوة
حجَّتكَ ومنطقِكَ، وقد اخترقتَ منظومتهم وكان لك ماكان، وهم
نائمون في العسل ولا علم لهم بما فعلتَهُ فيهم، والكثير منهم
أصبحوا يعملون تحت دائرتك ويعتقدون أنَّهم تحت سلطان
الخالق وحكمه. أنتَ وحدك تُحرِّكُهُم كما تشاء، أنتَ وحدك تدخلُ
بهم إلى قلوب السَّالكين ونواصيهم فتفعل فيهم وبهم العجائب،
وذاك النُّور الَّذي يرون إنَّما هي كهراؤك، وتلك الفراديس

والعوالم الغرائبيّة المفتوحة إنّما هي جحيمك التي تلبسُ ثوب
عدن. أنا أعرفُ جِئِكَ هذه جيّداً، ولا يعنيني في شيء أن
يكرهني عرفاء زماني ولا أن تعلن حريكَ عليّ أيّها الرّجيم
الملعون! ومن يقول إنّ الطريق إلى الإمام المُخلّص مفروش
بالزّهور ومحفوف بالأنوار والمصابيح فهو كاذب، وأنت أول
الكاذبين لأنّك تعدُّ المغفلين بالنور الأبديّ فيتبعونك، كما يتبعُ
البعوض أو الفراشة دفيئ الشّمس والضوء فيكون الموت النّهاية
المحتمة. ولتسمعي الآن أيّها التّعيس وعلّق ما أقول قرطاً أزليّاً
في أذنيك الموبوءتين؛ الطّريق إلى الإمام والقائد الأعلى خطير
جداً، محفوف بالآلام والمصائب والمصاعب، ضيق ومظلم
ومفروش بالشوك، وعلى كلّ من يريد أن يسلكه أن يكون قادراً
على بذل التضحيات بالغالي والنّفيس، والنور لا يوجد إلّا في
آخر النّفق، وليس قبله ولا في وسطه. ولأجل هذا على السّالك
أن يكون جنديّاً يعرفُ كيف يخوض حروبه الشّرسة في غابة
الوجود، ويستعدُّ لمحاربة الوحوش الضّارية والثعابين السّامة في
كلّ وقت وأوان، هل تفهم هذا أيّها المجنون؟ على السّالك أن
يكون جنديّاً، لا عارفاً مخموراً تلعب بعقله الخزعبلات
والخرافات.

- المتّهم: أنا أريد أن أعرف منك الآن شيئاً واحداً لا غير؛ كيف

رأيتي بكلّ هذا الوضوح على الرّغم من أنّي استخدمتُ كلّ وسائل التمويه الممكنة وغير الممكنة؟ فأنا جنديّ شرس أيضاً بالمفهوم نفسه الذي تتحدّثين عنه ولا أكشف أوراقِي لأحد، فكيف كشفت أنتِ وجهي؟

- أسماء غريب: لست أنتَ من يطرحُ الأسئلة هنا، وأجبِ الآن عن سؤالنا لكِ وإلاّ قطعْتُ رأسكِ الآن بسيفي هذا: كيف يسحرُ الإنسانُ نفسهُ بنفسه وما علاقتُك أنتَ بهذا الأمر؟

- المتّهم: النّظر في مرآة الكينونيّة الأنويّة يخلقُ داخل الإنسان صفة الإعجاب بالنفس، وهذا الإعجاب في حدّ ذاته مُجلبٌ للموبقات، لأنّه يُفعلُ طاقة العين الداخليّة ويوقظ القوى الجنيّة المتمرّدة فيقعُ سحرُ الإنسانِ لنفسه بنفسه، ويحتجِبُ عن خالقه، فيكفُرُ العقلُ والوعيّ المعروفينِ لدينا باسمي هاروت وماروت، فيباشران عملهُما بالفصل بين القلب والنفس، والقلب والروح المشار لهُما عندكم في الكتاب بالمرء وزوجه، فنتصدّعُ جزيرة الواقواق أو سمّها إذا ما أردتَ باسمها الوارد في الوحي بأرض بابل، وتشتعلُ نيرانُ أبجرتيها ويتصاعدُ في الأعالي دخان شهواتها، ويقعُ الإثمُ والغواية ويظهرُ الأذى الذي لا يتمُّ تحقيقه وتوكيده إلاّ بإذن من الله، تذكرني هذا جيّداً. أمّا كيف يتمُّ هذا النوع من السّحر الجوّانيّ فهناك طرق عدّة، أكثرها شيوعاً لدى

هذه القوى الداخليّة، الإطعامُ والجَماعُ المناميّين سواء بالرّضا أو بالإكراه والغصب. والإطعام المناميّ هو الذي يرى الإنسان فيه نفسه وهو يأكل ما لذّ وطاب من الأطباق فيستيقظُ من نومه مُتخماً وكأنّه كان يأكل فعلاً وحقيقة، وتلك طريقة تستخدمها قوى الوهم الباطنيّة للرّبط وتجديد عهود التَغذيّ على طاقة الحياة داخلَ الإنسان لا سيما إذا كان من أصحاب بذور النّور المزروعة في القلب. أمّا الجَماعُ المناميّ، فهو الذي يرى فيه الشّخصُ أنّه يجامعُ خلال نومه شخصاً آخر إمّا برضاه وفي كثير من الحالات مُكرّها ومُغتصباً. وهذا النّوع من الاعتداءات سواء الإطعاميّة أو التّكاحيّة يقع بعد أن يكون الأنا الأوسط قد وصل إلى حالة ميئوس منها من الاختلال والقهر والكبت، فيحاول أن يُسخرَ جنودَه لتحريره مما هو فيه من معاناة، وعادة ما يكون اختيار الجنود بصفة الأنثى، أيّ تلك التي تكون تحت خدمة دائرة قوّة العين بريسيفون أو نيفيرتيتي أو زليخة أو بلقيس أو سمّها كما تشائين. وقد أشرتِ إلى هذا الأمر حينما كُنتِ تتحدّثين عن بحر الإناث العقليّة المُختطفة أو المُتحرّش بها. ونحن في اختيارنا للإناث العقليّة لا نغير اهتماماً للمظهر الخارجيّ لهذه الأنثى، إذ لا يعنينا في شيء أن تكون ذات حجاب أو صاحبة سفور، لأنّ الأنا الأوسط شأنٌ داخليّ وعليه

فإنَّ حُكْمَهُ جَوَانِيٍّ لَا خَارِجِيٍّ، وَهُوَ حِينَمَا يَعْمَلُ إِنَّمَا يَكُونُ تَأْتِيرُهُ فِي مَنَاطِقِ الْوَعْيِ وَاللَّوْعِي، مِمَّا يَعْنِي أَنَّ الْأَنْثَى الْمَقْصُودَةَ رَجُلًا أَوْ امْرَأَةً كَانَتْ، لَا يَهْمُنَا فِيهَا إِلَى أَيِّ دِينٍ تَنْتَمِي بِقَدْرِ مَا يَهْمُنَا مَدَى دَرَجَةِ نَمُوِّهَا الرُّوحِيِّ، أَمَّا مَنْ يَقُولُ بَأَنَّ هَذَا النَّوْعَ مِنَ الْأُمُورِ إِنَّمَا يُعَالَجُ بِالتَّزَامِ الْمَرْأَةَ بِحِجَابِهَا فِي مَفْهُومِهِ الظَّاهِرِيِّ فَإِنَّهُ أَنْ الْأَوَانَ لِيَعْلَمَ بَأَنَّ الرَّجُلَ أَيْضًا مَلْزَمٌ بِسِتْرِ جَسَدِهِ، لِأَنَّ الْعَيْنَ قَدْ تَكُونُ عَلَيْهِ أَكْثَرَ مِمَّا هِيَ عَلَى الْمَرْأَةِ، وَقَدْ يُخْتَطَفُ مَرَارًا وَتَكَرَّرًا، وَلَا يَظْهَرُ لَهُ فِي نَفْسِهِ لِذَلِكَ سَبَبٌ أَوْ عِلَّةٌ بَيِّنَةٌ. وَلِيَعْلَمَ أَهْلُ الْأَسْرَارِ أَنَّ الْحِجَابَ الثِّيَابِيَّ قَدْ لَا يَكُونُ كَافِيًا، وَكَمْ هُنَّ الْمُخْتَطَفَاتُ لَدِينَا مِمَّنْ سُجِّلْنَ عَلَى الْأَرْضِ كَنِسَاءٍ غَيْرِ سَافِرَاتٍ، لَكِنَّ حِجَابَهُنَّ لَمْ يَمْنَعَهُنَّ مِنْ تَفَادِي مَصِيرِ أَلِيمٍ وَمَرْعَبٍ لِأَنَّهِنَّ مَفْضُوحَاتٌ فِي بَوَاطِنِهِنَّ. وَالذَّاءُ، كُلُّ الذَّاءِ يَكْمُنُ فِي إِفْشَاءِ الْأَسْرَارِ وَهُوَ السَّفُورُ الْحَقُّ، وَلَسْنَا نَقْصُدُ بِهَذَا النَّوْعِ مِنَ السَّفُورِ وَالْإِفْشَاءِ مَا حَدَثَ لِلْحَلَّاجِ مِثْلًا بِحَيْثُ وَسَمَهُ الْكَثِيرُ مِنْ أَهْلِ الْعِرْفَانِ بِالْمُفْشِي لِلْأَسْرَارِ، وَإِنَّمَا يُفْشَى السِّرُّ حِينَمَا يَنْتَبَهُ الْإِنْسَانُ إِلَى نَفْسِهِ فَيَنْظُرُ إِلَى مَرَاةِ الْوُجُودِ فَيَرَى مَكَانَتَهُ وَدَرَجَتَهُ مِنْ تَحْقِيقِ النُّورَانِيَّةِ وَالْبِهَاءِ الْإِلَهِيِّينَ، فَيُحَدِّثُ نَفْسَهُ بِمَا رَأَاهُ، فَيَقَعُ الْإِسْتِمَاعَ مِنْ طَرَفِ قَرَّةِ الْعَيْنِ الْمَوْصُوفَةِ بِالْأَنَا الصَّغْرَى، الَّتِي لَا تَتَدَخَّرُ جَهْدًا فِي إِخْبَارِي أَنَا "الْأَنَا الْأَوْسَطُ" بِذَلِكَ، فَيَقَعُ

المحظور ويُصبح صاحبُ بذرة التّور مطلوباً لدينا، ومحطّ امتحاناتنا واختباراتنا التي لا تنتهي إلّا ببلوغ مقام الحوت الغوّاص. وأهمُّ الأبواب التي يتمُّ منها الاقتحام والاختراق الجسديّ أجردُ لكم: الجبهة أو النَّاصية، العينين، فَتْحَتِي الأنف، الفم، وشقّي الصّدر والظّهر. وهناك أيضاً الإبط، وفمُّ المعدة، والفرج والدّبر، ثمّ الرُّسغين، وماوراء الرّكبتين، وباطنُ القدمين.

ومن رحمة الله بعباده الصّالحين أنّه ينبئه بعضهم إلى هذه الأنواع من الأذى في رؤى صادقة، فيتحدّد بذلك نوع المرض، الذي قد لا يكون مصدره فقط سحر المرء لنفسه بنفسه، وإنّما أذى عينٍ خارجيّة، أو حسد أو تابعة. وأهمُّ الرّؤى التي تتكرّر لدى العديد من النّاس تلك التي يظهر فيها الأذى بصورة كائنٍ أسود اللون، فتحدّد بذلك دائرة الانتماء إلى الشّياطين السّود والتي لا تتفعلُ إلّا إذا كانت هناك ريحُ حسدٍ قد اخترقتِ الجسدَ المطلوب. طبعاً هذه الأسماء والألوان ما هي إلّا رموز اتّفقت عليها أنتم بني البشر لتؤسّسوا قاموساً لغويّاً وسيميائياً يكون مفهوماً لدى أهل الأسرار، أمّا في دوائرنا الخاصّة فنحن لا نقيم وزناً إلى كلّ هذه الرّموز والأسماء، وهي لا تعني لنا شيئاً، لأنّ مجال عملنا هو طاقيّ بامتياز، وما تسمّونه أنتم مثلاً بالحسد، نسّميه نحن موجات كامنة من طاقة معيّنة ذات ذبذبات قويّة قد

تصل في قدرتها التدميرية إلى درجة الصّعق الكهربائيّ، وهذا يعني أنّ هذه الذبذبات تخترق هالة الإنسان فتُحدث بداخله اختلالاً طاقياً، يُسهّم مباشرة في تفعيل كينونات أنويّة صغيرة تسمونها أنتم بالشيّاطين، فيحدثُ المرضُ والاكتئاب والتعب، وفي كثير من الأحيان تظهرُ الكوابيس وتحدثُ الهلوسات البصريّة والسمعيّة.

والتأثر بهذا النوع من السّهام الطاقية المُدمرة عادة ما يختلفُ من شخص الى آخر، فالشخص المهووس بالسّحر والحسد والعين ينتكسُ أكثر من غيره لأنّ لديه استعداد نفسيّ لامتصاص كلّ ما يجول في الفكر البشري والموروث الشّعبيّ من سموم. وتبقى طريقة الاختراق الأقوى والأشدُّ فعاليةً هي تلك التي صنعها شياطينُ الإنس مؤخراً وهي معروفة لدينا اليوم بالاختراق الرّقميّ، وهو الاختراق الذي تَفَعَّلَ في جسد الإنسان منذُ أن ظهر التّلفزيون إلى العهد الأيْفونيّ المعاصر. وأقولُ هذا لأنّ العينَ البشريّة أصبحت بؤابة الشياطين الرّسميّة، وكلّ ما يُعرضُ عليها عبر الشاشات الرّقميّة، يفعلُ فعلاً بشكل مباشر وعميق في النّفس الأدميّة فيحدثُ التّغييرُ الذي ترنو إليه الشياطين الأدميّة من خلال حجب شاشة الرّوح التي يُفترضُ أن تكون مفتوحة على عوالم الأسرار الحقّة، وتعويضها بشاشة مزيفة يتمّ

بها تلهية الروح عن تحقيق التطور المطلوب. وبالحدِيث عن هذا النوع الجديد من الاختراق يهمني جداً أن أقول لك إنه لم يسلم منه حتى العرفاء المعاصرون، ويكفي أن تري كيف أن العديد منهم وبفعل تعاملهم اليومي مع وسائل ومواقع التواصل الرقمي والشبكات اليوتوبية والفيسبوكية والتويتريّة وما إليها وقع لهم انتكاس كبير في مسارهم الرّوحيّ، وعاد البعض منهم إلى مرحلة البذرة بعد أن كان نخلة. وهي الحقيقة التي توصّلت إليها أنت أيتها الأديبة الأريية فدوتيتها في العديد من كتاباتك، فقد كنت تريين بعين روحك كيف كان يحدث هذا الانتكاس، وفهمت الكثير عن ميكانيزماته الشّيء الذي يسرّ لك الدّخول إلى بحر الأنثى العقلية، أو ما يسمّى لدينا بتوأم النور والنّار. أي الكائن الذي يقترن به العارف أو العارفة روحياً فيحدثان باقترانهما العرفانيّ هذا تتاعماً طاقياً في الكون بأسره. ويبدأ كل منهما في اكتشاف عوالمه الداخليّة كلّما توطّدت العلاقة وازدادت توهجاً. ولعلّ أكثر ما يميّز هذا النوع من الاقتران هو أنّه يأتي دون أن يكون أيّ طرف من المعادلة قد استعدّ له مسبقاً، فقد يكون أحدهما متزوجاً وله أسرة عريضة منذ عشرات السنين، وقد يكونان معاً متزوجين وتّباعد بينهما المسافات والبحار، وقد يكونان من كونين وطبيعتين مختلفين وكذا من أعمار وديانات

مختلفة، فيبدأ كل واحدٍ فيهما يتساءلُ عن هذا الاقتحام المفاجئ وتوقيته الغريب، وعن طاقة الحبّ والعشق اللامحدود واللامشروط بينهما ممّا يجعلهما يشعران برباطٍ مُميّز يريان نفسيهما فيه صديقين حميمين ومُعَلِّمين ومُرشِدَيْن لبعضهما بعضاً. وهو الأمرُ الَّذِي يأخذُهما معاً إلى اكتشاف بحر الإناث العقلية، فإمّا يهتديان إلى طريقةٍ تُمكنُهما من حجبِ هذا النوع من الاقتران عن أعين شياطين الإنس والجنّ، وإمّا يفشلان معاً فيحدثُ الانفصال ويقع اختطاف أحدهما أو هُما معاً، لأنّ طاقة الحياة التي تتولّد من اقترانهما قويّة جداً وتُسيلُ لعاب كلّ الشياطين لا سيما الإناث منهم لأنهنّ الطُعم الَّذِي يُستخدَم من أجل الإيقاع بالضحية. وأنتِ يا أسماء أفشلتِ الآن كلّ مُخطّاتنا بعد أن فتحتِ أعينَ أهل الله الأحقّاء على بحر الإناث العقلية هذا، وأجبرتني على الإفصاح عن أشياء عدّة كنّا نعتقد أنّنا عرفنا كيف نتكتمُ عليها إلى اليوم.

أمّا عن حقّ المواطنة الَّذِي طلبتهُ قبل لحظات فهو حقّ مشروع أيّها السّادة القضاة، وهو ذاته الحقّ الَّذِي يُفسّرُ كيف أنّ السيّدة أسماء قارئةٍ ورد الافتتاح كانتُ تراني في الجزيرة فيُعغمي عليها عند سلال عطر النّارنج، وكم كنتُ أتمنى ألاّ تقوم لها قائمة بعد كلّ إغماء لكنّها كانت تبقى وتعود إلى أناها الأعلى بعد أن

تفنى، والعون بل المدد في عودتها وبقائها كان لا يأتيها سوى من إمامها المخلص، لأنَّ نيَّته كانت واضحة منذ البداية، فهو قد اختارها كاتبة له وليس لنا حقّ الاعتراض على هذا الأمر، فقد فضحتنا وفضحت خططنا بشكل أكثر في كتابها هذا (دزآگرا/ إمامك المنتظر كما لم يُخبرك عنه أحد)، وقد آن الأوان لتعرفوا جميعكم أيها السادة القضاة وحضرات المستشارين أنّ ظهور صاحب الزمان في كينونة روحية ما لا يوجب بالضرورة اختفائي الكامل من جزيرة الواقواق ولكنه يوجب أولاً وقبل كل شيء إصلاح خلل كلِّ الأنوآت البشرية المتشظية وتجميد حجمها بحيث لا تتضخّم ولا تتورم بأيّ شكل من الأشكال، ممّا يفسح المجال لها ككينونة تميل إلى الأبلسة بطبعها فتُحقّق أمر الله، وتسجد بعد طول انتظار إلى من لا يجب السجود لمخلوق سواه، وإذ أقول السجود فأني أعني به تسليم الأمر لصاحب النور الباهر وأنا وحدي المطالب به لأنني أنا وحدي من رفض السجود لآدم وقد رأيتُ فيه آنذاك البذرة التي لم تكتمل بعد، ولم تكمل دوارتها الإثني عشر.

- ابن طفيل: وهل يوجد في الكون بأسره غير الله من يستحقُّ هذا النوع من السجود الذي تتحدّث عنه يا عزازيل؟
- المتهم: نعم، إنّه القادم بعد لحظات والداخل إلى هذه القاعة

الملكيّة الكبيرة. هيّا اصمتوا جميعكم، ودعوني ووصيفتي وجيشي نُسلمُ له أمرنا، فهو سيّدنا القائد الأعلى ومولانا صاحبُ الزّمان. وأنت يا ابن طُفَيْل أيّها الفيلسوف والطّبيب الطيّبُ الكريم، أعلن الآن نهاية المحاكمة وعودة كلّ واحدٍ لمكانه في جزيرة الواقواق!

- أسماء غريب: لا تصدّقه يا ابن طُفَيْل، إنّه بصدد الهروب، آآآه منكم أيّها الفلاسفة، آآآه منكم أيّها العرفاء، مازلتُم لا تتقنون فنون القتال الرّوحيّ، لقد فرّ منكم للمرّة الألف.... تّبّا لكم ولهذه الرّخاوة والهشاشة المتعشّشة في قلوبكم، فكيف باللّه عليكم تريدون أن تصبحوا ممهّدين للظّهور المشرف.

- ابن طُفَيْل: آآآه أيّها الرّجيمُ الملعون، لقد فعلتها مرّة أخرى، سحرّتنا ببيانك وغزير علمك وعرفانك ثمّ هربت ما إن استشعرت قدوم القائد الأعلى، كيف حدث هذا يا أهل الله؟ كيف أنكم لم تفتنوا إلى الأمر منذ البداية، لقد كان يخدعنا طيلة الجلسة بمعسول كلامه ومعلوماته القيّمة والشّديدة الأهمّيّة، ماذا سنفعل الآن، وبماذا سنُجيب مولانا الإمام؟! وحدها أسماء غريب كانت مُحقّقة حينما صرّحت أكثر من مرّة، ألاّ أمان في رحلة العرفان، لقد كانت تصرخُ دائماً وتدقُّ أجراس الخطر، وكنا نحن سكارى ومخمورين بمكتسباتنا المعنويّة وبأنواتنا الرّوحيّة المتضخّمة، هي وحدها من كانت ترى العدوّ في جزيرة الواقواق، وكانت تقول

ذلك ولا نصدّقها، ووحدها كان يخشاها ويخطّط لقتلها وهو يتتبع عبيرها ونارها ونورها، آآآه من نيران الحسرة والنّدم والألم. رُفِعَتِ الجلسةُ أيّها النَّاس، ودعونا نُعلن أمام الجميع فشَلْنَا الذّريع في محاربة هذا العدوِّ الأزليِّ، واستعدّوا الآن للقاء مولانا الإمام بوجهكم المسودّة من شدّة العار والخجل.

قُبلة تحت شجرة السرو

كانت تلك آخر العبارات التي نطق بها ابن طفيل ثم مات من هول الصدمة، وتقدمت أنا الطائر السكرتير والسيد القاضي رضوان، فحملنا جثمانه إلى أعلى غرفة في قصر ستيري ودفناه هناك في مقبرة صغيرة خاصة بجنود ورهبان العهد الوسيطة، ثم نزلنا على عجلٍ وما إن رأينا إمامنا بقيّة الله فوق الأرض داخلاً إلى قاعة المحكمة بقصر ستيري، حتى لفتنا جميعاً صاعقة من النور حملتنا من جزيرة صقلية وعادت بنا إلى جزيرة الواقواق هناك حيث وجدنا في انتظارنا جيشاً هائلاً من الفتيات والفتيان، كانوا كلهم بلباس من الاستبرق الأخضر وقد غطى كامل أجسادهم من قمة الرأس إلى أخمص القدم، بحيث لا يبدو منهم سوى الوجه واليدين. تحرّكتُ بفرسي مسافة قصيرة لأعرف مكاني كطائر سكرتيرٍ بين جيوش الرجال وكان يتقدمهم سيّدنا القائد، الذي خطا بخطى وثيدة نحو شجرة سرو عالية، ثم ترجّل عن جواده وجلس تحتها ونورٌ باهر يلفُّ وجهه بحيث لم يكن بإمكاننا أن نتيّن شيئاً من ملامحه، ثم أمر أسماء بالجلوس إلى جانبه وأشار على الجميع بالترجّل عن الخيول والجلوس أرضاً والالتفاف حوله بشكل دائريّ، وقبل أن يبدأ في

الكلام أخذَ وجهَ السيِّدة أسماءَ بين يديهِ الكريمتين، ونظرَ بتركيز شديدٍ في جبهتها، ثمَّ طبعَ فوقها قُبْلَةً طويلةً صعفتنا جميعاً، لأننا شعرنا كأننا بوقع شفتيهِ فوق جباهنا، فانفتحتْ آذاننا وقلوبنا وعيوننا وبتنا نسمع ونرى جميعاً كلماته الشريفة وهي تنبض في كلِّ خلية من كينوناتنا وتقول:

هاقد حرقْتُ بالنور والنَّار كلَّ الجزيرة، واقتلعتُ منها باسم الحيِّ القيومِ شوكةَ العدوِّ وأنهيتُ بهذا زمن إبليس وأعوانه، وأخذ كلَّ شيءٍ في الوجود مكانه، ورُدَّتِ الحقوق لأصحابها، ودقَّت الساعةُ ورُزِلتِ الأرضُ زلزالها العظيم، وها قد آن لكم اليوم أن تعرفوا أنني هنا لأغيِّر الحمض النَّوويَّ للإنسان وأمدِّكم بمعلومات جديدة تبنا بها هيكل الله الجديد، وذلك لأنني أنا وحدي أريدُ أن أراكم الأقوى والأفضل والأبهى والأجمل. أنا هنا الأبُّ المرشِدُ وأنتم الأبناء، ويهمني كثيراً أن أوجه كلمتي إلى ابنتي الأنثى قبل ابني الذَّكر، وأقول لها أنتِ الأصل وأنتِ الجسر إلى الله، ولأنني أعطيكِ الآنَ عِلْمَ الجَسَدِ فأني أريد منك أن تُعلِّمي الرَّجَلَ كيف يرى الخالقَ في هذا المحراب، بل كيف يُحبُّ جسدهُ من خلالِك. علِّميه يا ابنتي كيف يتطهَّرُ من الرِّجسِ والدَّنسِ، أي من الأفكار السَّامة التي توقِّفُ نُموَّ الفكر والروح. علِّميه كيف يتنفَّسُ بعمق عبر كلِّ خليةٍ فيه ومساحٍ فوق بشرته،

افتحي له أبواب اللذة والموت والاحتراق، أشعلي فتائل المحبة فيه، واملئي صدره بأوكسيجين العشق ليصبح خفيفاً كالريشة، قادراً على المشي فوق الماء وفي الهواء. لا تجعلي منه عدواً لك، ولا تفهمي المساواة بينك وبينه على النحو الذي يطمس الفوارق البيولوجية والهرمونية، وتعلمي أنها لا تكون إلا في الحقوق والواجبات. لا تتبعي بنات الريح السوداء فيما يروجون له من أفكار عن تحرير المرأة، فلا حرية في عُرْفِي إلا تلك التي تقودك أنتِ والرجلَ إلى فراديسي، أما الحرّيات الأخرى التي يسمّون بها قلوبكم فإنّها لا تقود إلا إلى الدمار الشامل، إنّها العبودية الجديدة التي خطّط لها العدو. انتبهوا جميعاً إنّهم يريدونكم من أهل الفاحشة والشذوذ بكلّ أنواعه. يريدون للمرأة أن تحقد على الرجل، وأن يُحارب الرجل المرأة، وهكذا ينسفون مخطّط الله من الأعماق، وقد مكروا مكْرهم وعند الله مكْرهم وإن كان مكْرهم لتزول منه الجبال.

ابنتي يا نور الوجود، أملنا فيك وفي ذكائك كبير جداً، وكلّ ما نرجوه منك أن تصلي بالرجل إلى أعلى مراحل الوعي، وأعني به الرجل الأب، والأخ والزّوج والابن والصّديق والقريب والبعيد، وهذا سيقنّضي منك أن تعنتي بروحك بل بجسدك أيضاً حتّى لا يجدَ الفُجورُ ولا العُهرُ إليك طريقاً، وتعلمي أنّني أمسكُ بيدك

لأَكْتُبَ بِهَا كَلِمَاتِي وَأَبْنِي أَعْمَالِي، وَلَأَعْلَمَكِ كَيْفَ يَكُونُ الْإِبْدَاعُ فِي غَابَةِ الْوُجُودِ، وَكَيْفَ يَتَحَقَّقُ لَكَ الْإِسْتِرْخَاءُ الْكَامِلُ وَيُظْهِرُ لَكَ أَنَّ الْحَقِيقَةَ لَا تُوصَفُ وَلَا تُقَالُ، وَأَنْنِي أُسْعَى فِي كُلِّ مَرَّةٍ إِلَى طَرُقِ بَابِكَ لِتَعْلَمِي أَنَّ الْحَيَاةَ كَمَا تَمْنَحُكَ الرَّحِيقُ فَهِيَ تَعْطِيكَ أَيْضاً كَأَسِّ السَّمِّ، وَكَمَا تَعْدُكَ بِالْجَنَّةِ فَإِنَّهَا تَأْخُذُكَ أَيْضاً إِلَى الْجَحِيمِ.

أَمَّا أَنْتَ يَا ابْنِي الذَّكَرُ، فَإِنِّي أَوْصِيكَ بِأَنْ تَجِدَ أَنْثَاكَ الدَّاخِلِيَّةَ، وَلَا تَنْسَ أَنِّي أُرِيدُ بِقَوْلِي هَذَا إِرْشَادَكَ أَنْتَ إِلَى الْجِزَةِ الْأُنْثَوِيِّ فِيكَ، وَإِرْشَادَ الْأُنْثَى إِلَى الْجِزَةِ الذُّكُورِيِّ فِيهَا. هَكَذَا فَفَقَطْ يُمَكِّنُكَ أَنْ تُحَقِّقَ التَّنَاغَمَ مَعَ الْوُجُودِ وَالتَّصَالِحَ مَعَ الْكُونِ مِنْ حَوْلِكَ. وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّهُ لَا يَهْمُ مَتَى تَجِدُ أَنْثَاكَ الْعَقْلِيَّةَ، وَلَا كَمَ مِنْ أَنْثَى تَلْزِمُكَ وَلَا مِنْ أَيِّ جِنْسٍ أَوْ نَوْعٍ تَكُونُ، وَإِنْ لَمْ تَجِدْهَا فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ فَفِي حَيَاةٍ أُخْرَى، فَأَنْتَ تَتَطَوَّرُ بَعْدَ كُلِّ مَوْتٍ تُحَقِّقُهُ، أَيْ بَعْدَ كُلِّ يَقْظَةٍ رُوحِيَّةٍ. وَإِيَّاكَ يَا حَبِيبِي أَنْ تُسَلِّمَ نَفْسَكَ لِشَيْخٍ يَلْعَبُ فِي جِينَاتِكَ الرُّوحِيَّةِ، فَيَفْتَحَ بَصْرَكَ قَبْلَ الْوَقْتِ الْمَحْدَدِ، لِأَنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ هَذَا انْفَتَحَتْ عَيْنُكَ الثَّلَاثَةُ عَلَى عَوَالِمَ لَمْ تَتَضَجَّ بَعْدَ، وَعَلَى أَدْغَالٍ تَسْكُنُهَا الْوُحُوشُ وَالْأَفَاعِي وَالْإِنَاثُ الْعَقْلِيَّةُ الْمُتَشَيْطِنَةُ وَالْمَتَأَبِّلَسَةُ. لَا تَكُنْ عَجُولاً يَا بَارِكَكَ اللَّهُ، وَدَعِ فَوَاكِهِ مَعَانِيكَ تَعْرِفُ الْفُصُولَ كُلَّهَا، وَلَا تَقْطِفِ الطَّلْحَ فِي مَوْسَمِ النَّارَنْجِ، وَلَا

التّين في موسم الذّرة، واعلم أنّ لكلّ فاكهة موسمها، ولكلّ روح وجسدٍ فصل، واعلم أنّ الرّجل الذي يجدُ أنثاه الفردوسيّة الدّاخلية لا يحتاجُ إلى مُعلّمٍ ولا إلى شيخ، لأنّه سيعرفُ بعد هذا الظّفَر كيف يجدُ حتّى أنثاه الخارجيّة، أيّ قرينته في الحياة الأرضيّة فيحبّها ويرتبطُ بها في محراب العشق الإلهي. هذا هو الرّجل الجديد الذي أريدك أن تكونه. أريدك عاشقاً صبوراً صادقاً، وصريحاً قادراً على أن يدرك أنّ النّاس من حوله في حالة نوم عميق. ابحث إذن عن أنثاك الدّاخلية أولاً، وحقّق بها ذاتك كما فعل سليمان ويوسف وكلّ أبناء النّور، واعلم أنّ هذه هي أوّل لبنة في الطّريق، بها تنتزلُ الخيرات والبركات، وبها تُصبحُ وسطاً ضجيج الدّنيا كائناً وحيداً صامتاً، ومتفرداً مستغنياً.

بناتي وأبنائي الأحبّاء، بقلب الأب الرّحيم أقول لكم، كونوا فرسان الحقّ والحقيقة، وتحركوا بجيادكم وألبستكم الخضراء نحوي، وسابقوا الرّيح وتعالوا إليّ أحولُ كلّ خيالٍ فيكم إلى بحّار، وكلّ بحّارٍ إلى قبطانٍ، وكلّ قبطانٍ إلى ملكٍ وكلّ ملكٍ إلى إمامٍ، وكلّ إمامٍ إلى مُخلّصٍ بل مُنقذٍ حقيقيّ.

أبنائي وبناتي الأعزّاء، كونوا أنا، وتعلموا أنّ الله لا يغيّر ما بقوم حتى يُغيّروا ما بأنفسهم، ولا تخشوا الموت أبداً فقد أعطيتكم الأسماء التي تتحمّلون بها نيران التّجارب في كلّ حياةٍ

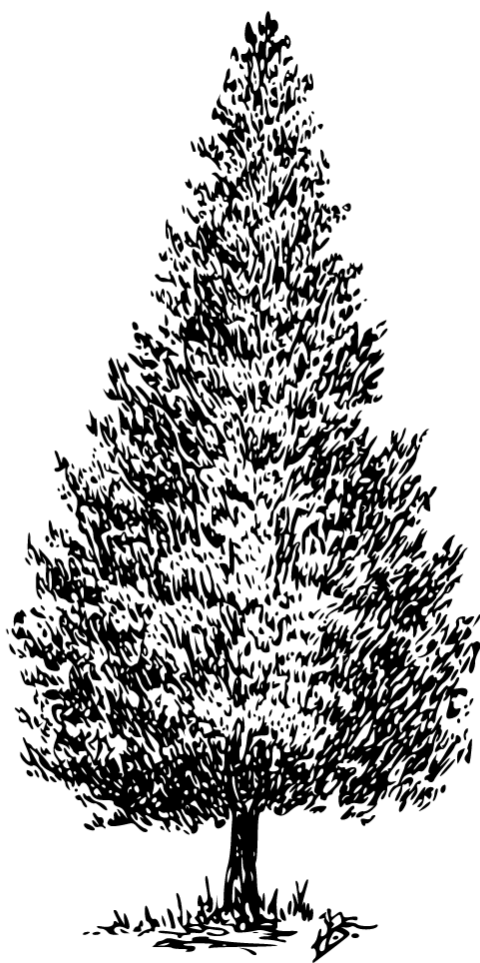
تعيشونها. واعلموا أيضاً أنّ الحياة الدّنيا بعد الموت ستظهر لكم كبُستان أقيمت فيه بذور أعمالكم، ثمّ غادرتموه لتروا عن بُعد الأشجار والفاواكه والأزهار التي تفتّحت عنها هذه البذور. فأنتم يا أبنائي من تصنعون الفردوس بأيديكم، ولكلّ فردوسه، لا تتحقّق لكم رؤيته إلّا بعد أن تكونوا قد روضتم كلّ حيوانات الغابة كما فعل ابن يقظان في جزيرته.

ابنتي الفتاة وابني الفتى، الكون يتحدّث معكما، وأنا حديث الأكوان كلّها، أكلفُ الرّيح والغمام بحمل رسائلي إليكما في كلّ أنٍ ومكانٍ من حياتكما. ولا شيء يُسعدني أكثر من أن أرى كلّ واحدٍ منكما منهمكاً في إدخال خيطه وسط سجادة الوجود، بحيثُ يكون لكلّ خيط لون، واسمٌ وعُمرٌ ومُعْتَقَدٌ وبلدٌ ولغةٌ وبصمةٌ، ولا أسمحُ أبداً بأن يغيّر أحدٌ في رسمكما ولا في نسجكما لأنني أعرفُ أنّ ما تقدّمانه هو الصّورة المثلّي للنّعيم الأبديّ، وأنّ سجادتكما الكونيّة هذه هي يدُ الله المتحرّكة بالصنعة والجمال والإبداع الأزليّ، فكونوا يا أبنائي في الموعد، وتعلموا أنّنا جميعاً في الانتظار، لنرى معاً الشّكل النّهائيّ لهذه السجادة الملكيّة!

وجاء النسرُ

وبينما كنا مؤخوذين بكلمات إمامنا المُخَلَّص، وبمنظر الجزيرة من حولنا ونحن نراها تُزهرُ من جديد وتتبرعمُ وتولدُ فيها الأشجار والكائنات من كلِّ صنف ونوع، ظهرَ نسرٌ ملكيٌّ كبير في الفضاء، وكان هذه المرّة أخضر اللّون وبريشٍ شديد اللّمعان، فقامت أسماء وقبّلتُ إمامها في جبينه ثمَّ أشارت إلى النّسر الأخضر فحضر بين يديها وامتطت سرجه وغابت في الأعالي عن الأنظار وتركتنا جميعاً ونحن نتساءل، متى ستعود لنا أسماء، متى ستكتبُ لنا من جديد، وهل تحقّق لها ما كانت تصبو إليه من خلال هذا الكتاب الذي دوّناه معها بأنفاسنا الرّاكضة خلف كلِّ حرف رقنته فوق لوحة المفاتيح؟! أين هي الآن، ولماذا اختفت عن الأنظار؟ هل كانت هي من تحدّثنا حقّاً عن الإمام معشوقنا وقائدنا الأوّل والأخير، ولماذا اختارت الحديث باسمها ولقبها الشّخصي، ولم تغيّره كما كانت تفعل في العديد من أعمالها الرّوائية السّابقة وإن كنا نعلم أنها كانت هي نفسُها سامية والعالية والسّيّدة كركم؟ أنا سألتها قبل أن تبدأ محاكمة ذاك العدوّ المسكين، وقالت لي إنّها لا اسم لها ولا لقب ولا عنوان، وأنّها في شخصها جامعة لكلِّ أنواع الأسماء، وفي

كِينونتها مجسّدة لكلّ أنواع الغُربة، وأنها أنتَ وأنا وهُم ونحن،
وأنها أيضاً وقبل كلّ شيء ذاك الشّيء الذي لا يكون ولا يُرى،
ولا يُعرفُ له شكل ولا لون ولا اسم، بل إنّها فراغ كامل، ولو لم
تكن كذلك لما تحقّق لها أن تكون الوعاء الذي ألقى فيه إمامها
وإمامنا جميعاً كلماته، فوصلتُ إلى أقصى ركن في السّماء
والأرض وأعطت بهذا لكلّ واحدٍ فينا فرصة التّحليق والتعرّف
على نفسه بلسان من نور يهتفُ ويقول لكلّ فتاةٍ وفتىٍ: كن
أنتَ، كن على قدر كبير من الشّجاعة واسعٍ نحو إمامك، واعلم
أنّك إذا فعلت هذا ستجدُ نفسك قد تحوّلت إلى شجرة سرو عالية
تُعانقُ الأفلاك والنّجوم، وتراقبُ الكونَ كمريدٍ لشيخٍ واحد هو
إمامك المُخلّص، هذه هي الطريقة الحقّة والوحيدة التي بها
تُصبحُ إمبراطوراً، وتغادر إلى الأبد قطعان الشّحاذين
والمتسوّلين، أهل العطالة الفكرية والبطالة الرّوحية.



الجزء الخامس

أَطِيرُ إِلَيْكَ عَلَى صَهْوَةِ الْوَشَقِ

ارفع كفيك

واهمّ مَنْ يعتقِدُ أنّ الحديثَ عنكَ له بدايةٌ أو نهاية! أقول
هذا وأنا أعلمُ أنّي كنتُ أفقرُ على الكثير من الأشياءِ أثناء
لحظاتِ كتابتي للأجزاءِ السابقة من سلسلة (دزاكرا)، بلُ كنتُ
أكتبُ أكثرَ ممّا أبوح لدرجة أنّي قرّرتُ أن أوقفَ فعلَ الكتابةِ
وأنهايَ نَشَرَ التدفّقاتِ المهدويّةِ بجزءِ رابعٍ لا غير هو (قُبلة تحت
شجرة السّرو) (١)، لكن هيهات هيهات، لقد اكتشفتُ أنّ الأمرَ
أصبحَ مستحيلاً، فهذا الانفجارُ التّورانيّ بداخلي باتَ يزداد كلَّ
يومٍ قوّةً وعنفواناً وأصبحتُ صورةَ إمامي المُخلّصِ في قلبي تزداد
كلَّ يومٍ إصراراً ووضوحاً بشكلٍ لا يقبلُ الشكَّ أو الالتباسَ، وأنا
الآن بحاجةٌ لأحفرَ لفيضه في أرضِ المنّ والسّلوى سريراً يكون
ممرّاً عميقاً وواسعاً ليجري فيه نهرُ التّور العظيمِ وأستطيعُ أن
أخفّفَ عن صدري من خلاله شيئاً ولو بسيطاً من لهيبِ هذه
الفيوضاتِ الشّعثانيّةِ بداخلي. نعم يا إمامي الحبيب، أتذكّرُ
أنّني قلّتها لك لأكثرَ من مرّةٍ وفي أكثرَ من إصدارٍ ولن أكلِّ أو
أملّ من تكرارها، فأنا كنتُ أعرفك قبل أن أراك، كنتُ أعرفك
لدرجة أنّني كنتُ أقضي يومي أُحدّثُ عنكَ الشّجرَ والحجرَ
وأروي حكاياتكَ معي للشمسِ والقمرِ، كنتُ أهمسُ بإسمكَ أيّها

التور للنحل والتهر، وللنمل والبحر والفجر، وإني أعتقد أنني لو لم أكنُ أفعل هذا لكان قلبي قد انفجرَ إلى ألف شظية وشظية (٢). وإني لأعلمُ يا حبيبي أنه حينما كان يسألني بعض المتقنين -ضمن حواراتهم الصحفية الكتابية معي من باب التوثيق التاريخي- عن القراءات التي أنرتُ بشكل أو بآخر في مسيرتي الأدبية والثقافية، كنتُ أفضلُ الصمتَ المطلق، ولكنك تعرفُ جيداً أنه كان لا بدّ من الإجابة لتترك أثرٍ يُخفي وجهي أكثرَ مما يُبديه، ويحبُّ عطري الحقّ ولا يسمح بانفجار عبيره إلا بعد أن أكون هناك في الضفة الأخرى بسنوات وربما بقرون عدّة. نعم يا حبيبي، لقد كنتُ أجيبُ، وفي إجاباتي كنتُ أُشيرُ فقط للجانب الظاهريّ المعنى في حياتي وأتحدّثُ عن قراءات الطّفولة وعن مكتبة والدي رحمه الله، وعن الأدباء والروائيين والفلاسفة وغيرهم ممّن درستُ مؤلّفاتهم في سنوات الشباب الأولى (٣) والعجيب في هذا كلّهُ أنني مازلتُ لليوم لا أفهم كيف انمى كلّ شيءٍ ممّا قرأتُ من ذاكرتي بحيث لا أتذكّرُ شيئاً عن أعمال عبد المجيد بن جلّون مثلاً، أو خناتة بنّونة أو عبد الكريم غلاب أو عبد الله كتّون والمهدي المنجرة ومحمد عابد الجابري، أو نجيب محفوظ وإحسان عبد القدّوس أو فيكتور هوجو وموليير وجاك بريفيير، أو جان كوكتو وميشيل فوكو أو دوستويفسكي

وألكسندر بوشكين وأنطون تشيخوف، ولا من قصائد كبار الشعراء العرب والعجم ولا من كتابات فولتير ومونتيسكيو أو أفلاطون وأرسطو أو حتى دانتى أليغييري! شيء عجيب حقاً، ثمة أسماء كثيرة من فطاحلة الفكر الإنساني لا أذكر شيئاً مما قرأتُ لها ولكن بالمقابل ثمة أسماء أخرى انتقشت حديثاً في ذاكرتي بإشارة منك أنت فقط. أسماء لا توجد في الكتب الرسمية، ولا تخضع لقوانين الشهرة والانتشار الرقمي الحديث، لأنها أسماء عجنتها أنت بيدك الكريمتين في كتابي الجواني، أنت الذي لم أقرأ عنك في أي كتابٍ كيفما كان نوعه، ولا حدثني عنك أو بشرني بك أحد، وإنما أنت وحدك من اخترت أن تجذبني إليك منذ طفولتي وتطلعني على حروفك في كتاب روحي ولوحى المحفوظ، لذا كنتُ أخفيك في أدبياتي أكثر مما أبديك، وكيف لا وقد اكتشفتُ اليوم أنني كنتُ أجترح هذه الطريقة في الكتابة عنك من شدة انبھاري بك، ضيف إلى هذا أنني كنتُ بحاجة ماسة إلى فهمك واستيعاب خطاباتك وفيوضاتك، وقد حدث أنني بفهمك وسعيي الحثيث نحوك، ظهر لي أنني كنتُ أسعى في الحقيقة إلى فهم نفسي والغوص في عوالمه الداخليّة، لأنك أنت فيها، وربان سفينتها، وقائد أسفارها ومُرشد رحلاتها العجيبة. ولربما هذا هو السبب الحقيقي الذي

دفعني إلى اجتثاث كل ما قرأتُ سابقاً من ذاكرتي على الرّغم من أهمّيته وعمقه وتوّعه، وذلك حتّى لا يلهيني حرفٌ عن الإحاطة بك، ولا تحرمني كتاباتُ أحدٍ من الاختلاء بك أو تُضرب أدخنة عقول أخرى مرآة عقلي وقلبي فتحجبك عني، وإنّي لسعيدة للغاية بما فعلتُ، وسعيدة أكثر لأنّ بعضاً من أهل الأسرار من الخواصّ جدّاً رأوك واستدلّوا عليك في حروفي، وفهموا أنّك شيخي وأستاذي الأوّل والأخير، وأنني ما تأثرتُ ولا سرتُ على نهج ولا طريق لم تخطّه أنت لي. فأنت أبي الرّوحيّ المكلّف بي وعينُ الله النّاظرة إليّ بالعطف والرّحمة، منذ أن فتحتُ عينيّ إلى اليوم وما بعد اليوم! أمّا من يظنّ أنّ ما أنا فيه من تدفّقات كتابيّة هو بسبب جذب عرفانيّ نحوك قد يكون حديثاً أو طارئاً فهو مخطئ، لأنّ الجذب أو الانجذاب عادةً ما يحدثُ بين شخصين يتعرّفُ بعضهما على بعض بشكل مفاجئ، وهذا لا يجوزُ القول به في حالتنا، لأنّك فيّ وأنا فيك وبك مذُ خلقَ الله الأرض ومن عليها. وها قد اخترتُ أخيراً أن أتحدّث عنك لا كما أريدُ أنا، ولكن كما تُريدُ أنت أيّها الوشقُ الملكيُّ الكبير! نعم، إنّك وشقيّ المَجْتَح الذي يظهر تارة بصورة نسر، وتارة بصورة ناقة، وتارة أخرى بصورة بُراقٍ وتارات رابعة بصورة بقرة صفراء لا شية فيها. وأنا ابنة هذه الكائنات النورانيّة

جميعها، أنا ابنة التّسر والناقة، وابنة البراق والبقرة. ووشقي قطّ
بريّ عسكريّ عظيم جُبِلَ على خوض الحروب الكبيرة، حتّى لا
يكون لإبليس سلطان على أهل الله وأحبّائه. وها أنتَ قد
حضرتَ الآن، وليس لي سوى أن أمتطي صهوتك وأطير من
جديد إلى القارئ لأفتح أبواب البوح المُرْمَلِ بالكتمان وأقول له إنّ
البداية ستكون من هناك، من جامعة الأبحاث والدراسات في
جزيرة صقلية، ولكن قبل أن نبدأ ارفع يا عزيزي القارئ يديك
واسأل الله معي أن يجعل صدور الأحرار من خلق الله قبورَ
أسرار هذا الكتاب وكلّ الأجزاء التي سبقته وسنليه من سلسلة
(دزاكرا) (٤)، وأن يحمي كلّ حرفٍ أخطّه لك من استراق أسماع
أهل الرّجس المحجوبين عن عوالم القائد الموعود، وأن يجعل كلّ
كلماتي أجنحة في رياض المقام المحمود ويحفظها من السنة
سفر التي لا تُبقي ولا تذر، ولا رحمة فيها بالبشر.

الهوامش:

- ١) د. أسماء غريب، قُبلة تحت شجرة السّرو، الجزء الرابع من سلسلة (دزائرا / إمامك المنتظر كما لم يُخبرك عنه أحد)، دار الفرات للثقافة والإعلام، العراق، ٢٠٢٢.
- ٢) د. أسماء غريب، من قصيدة (ألف شظية)، ديوان فيتامين سي، دار الفرات للثقافة والإعلام، العراق، ٢٠٢٠، ص ٧٣.
- ٣) - د. أسماء غريب، كأس السمّ (دراسات وحوارات)، دار الفرات للثقافة والإعلام، العراق، ٢٠٢٢؛
- د. أسماء غريب، رحلة المئة سؤال وجواب (الجزئين الأوّل والثّاني)، حوار أجراه من ستوكهولم صبري يوسف، دار الفرات للثقافة والإعلام، العراق، ٢٠١٨؛
- رحلة السلام الرّوحي من الفحم إلى الألماس: حوار أجراه من ستوكهولم صبري يوسف، دار الفرات للثقافة والإعلام، العراق، ٢٠١٩.
- ٤) د. أسماء غريب: - دزائرا / إمامك المنتظر كما لم يُخبرك عنه أحد / (محارة الذهب) الجزء الأوّل، * الترياقُ بين يديك، الجزء الثّاني * حبيبتي المدهشة، الجزء الثالث * قُبلة تحت شجرة السّرو، الجزء الرابع، دار الفرات وسما، العراق، ٢٠٢٢.

طريق الإثم الأبيض

مازلتُ أتذكّر جيّداً ذاك اليوم الذي قصدتُ فيه كَلْبِيَّةَ الآداب والفلسفة بجامعة باليرمو من أجل مواصلة مسيرتي الأكاديميّة العليا في مجال اللّغات والآداب الأجنبيّة. كان ذلك في الأشهر الأخيرة من عام ١٩٩٩، أي في عهد عميد الجامعة وأستاذ شعبة الكيمياء الصّناعيّة الدكتور دُجوزيْبِيَّة سيْلْفِيْسْتِرِيَّة، وكانتِ السّاعة تُشيرُ إلى السّابعة صباحاً، ممّا يعني أنّه كانتِ آنذاك ماتزال ساعة كاملة تفصلنا عن بداية دروس الحصص الصباحية الكبرى، ولم يكنْ قدْ قدِمَ بعدُ أحدٌ سِوَاهَا؛ سيّدةً وقور وجدتُها في انتظاري أمام بوّابة الكَلْبِيَّة. ولا يُمكنك أن تتخيّل كم بعثتُ وجودها في قلبي من السّكينة والطّمانينة. فقد كانتِ لطيفةً وذاتِ جمالٍ أسرٍ فياضٍ بالأنوثة والرّحمة والحنان والمحبة! نعم، إنني بصدد الحديث عن سيّدة ذاتِ جاهٍ وسلطانٍ وصولجان، وقد توجّها الله بإكليل الحكمة في كلّ كتبه المنزلة وخصّها بعنايته ومحبّته وحرّ المحجوبين عن النور من إيذائها أو قتلها. أجل يا عزيزي القارئ، لقد خمنتُ جيّداً وحللت اللّغز بمهارة: إنني بصدد الحديث عن بقرة بقرئين عظيمين وضريحٍ ورديٍّ كبيرٍ مُثَقَّلٍ بالحليب! وإذ أراك تفتحُ عينيك الآن من الدّهشة

والاستغراب، فلا يسعني سوى أن أقول لك، إذا كانت هذه حالتك فما بالك بي، أنا التي جئت من مغربي الأقصى لأكمل تعليمي في أرقى الجامعات الأوروبية، فإذا بي أجد في استقبالي بقرة منذ أول يوم أصل فيه إلى الكلية؟! أذكر أنها كانت شقراء اللون، أو لنقل بشكل أدق، كانت بلون بُني فاتح فيه نوع من لمعان وبريق بدا وكأنه مخلوط بدهن أو زيت. طبعاً ستسألني وتقول: "وما الذي تفعله بقرة في جامعة أوروبية؟" وعن سؤالك أجيب وأقول إنني عرفت فيما بعد أن الجهة الخلفية للجامعة كان فيها إسطبل صغير ومرعى واسع يقصده بعض الرعاة من حين لآخر، وكان يحدث أن تشرّد بعض البقرات وتأتي للوقوف أمام بوابات الكليات كما حدث في ذلك اليوم، وإلى هنا فالأمر قد يبدو عادياً جداً بالنسبة لبعض القراء، لكنّه ليس كذلك بالنسبة لي، لا سيما وأنتي الآن - وقد مرّت أزيد من عشرين سنة على هذا الموقف - بصدد بثه بين يديك وإعادة عرض صورهِ عليك لتتدبّر معي أنت لغة السرّ فيه، وتتنطق معي سؤالاً نُوجّههُ في الوقت ذاته لأصحاب الصدور المُثقلّة بالأسرار ونقول بعلو الصوت: "يا أهل الله، ما علاقة البقرة بالعلم؟!"

أعلمُ يا مَنْ تقرؤني أنّك مثلي، تحيا على نحو رمزي، وهذا يحدث لأننا نهيّم بواقعا أكثر من أيّ شخص آخر، ولا نفرُّ

منه أبدأ، وهذا سرُّ قوتنا وحقيقة مأساتنا في الوقت نفسه. لأننا
نفنى حيث نبقي، ونبقي حيث نفنى، ولهذا فإن عباراتنا إشارات،
وإشاراتنا عبارات لمن يروم فهم لغتنا وفك رموزنا، ولأننا نعلم
جيداً أنّ كلَّ شيءٍ من هذا الواقع ينطلق، وكلَّ شيءٍ من الأرض
يتبرعم، مادام الغرض من خَلْفِهَا هو تَعْمِيرُ الآخرة بالنفوس
الطاهرة. وأنت تعلم يا عزيزي أنّ النفوس لا تتطهر ما لم
تتطهي في قدر الله الكبيرة، أي في أرضه الفسيحة، ولهذا تجدنا
ونحن نتضمخ بطينها ونتعطر ببخوراتها الزكية تنبت لنا
الأجنحة، فنكون كأجدادنا بشراً يُحَلَّقُ على ظهر براق ونحن نعلم
جيداً أنّه من بقية طيننا يخلق البارئ سائر الأكوان! ولهذا فإنّي
أقول لك إنّ ما تلقنته طيلة سنوات دراستي في المدارس
والجامعات سواءً في المغرب أو إيطاليا لم يكن علماً بالمعنى
اللذني للكلمة، ولكنّ العلم كلّ العلم تلقنته خارج أسوار
المؤسسات الأكاديمية، هذه المؤسسات التي تسعى اليوم جاهدةً
إلى إعادة النظر في كلّ البنى والمنظومات لتجعلها متوافقة مع
متطلبات العصر الرقميّ الجديد، عصر النهايات الكبرى بما
فيها نهاية الأسرة عبر الحدّ من تكاثر النوع البشريّ وتوجيهه إذا
اقتضى الأمر ذلك نحو المثلية والشذوذ الجنسيّ، ونهاية العمل
والصنعة البشرية بحلول الإنسان الآليّ والعقول الرقمية الذكيّة

التي تقوم بكافة الأنشطة والأعمال في هياكل البنيات الإدارية والمالية والصحية والعسكرية والإعلامية، وكافة مجالات وقطاعات الإنتاج، ونهاية الخطاب الديني ومؤسساته وتعويضه بايديولوجيات جديدة أكثر اختراقاً وفعالية، ثم نهاية الحقبة الغذائية التي كانت إلى وقت قريب تعتمد على الأرض والزراعة وذلك من خلال تعويضها بالمختبرات التي ستجعل الغذاء مقتصراً على عقاقير وكبسولات ومكملات وسوائل ومحاليل معدلة جينياً. لذا فلا تستغرب يا عزيزي القارئ إذا قلت لك إن الجامعات التي انتسبت إليها منذ سنوات قليلة مضت، إنما كانت تقدم لك الأدوات البحثية فقط لتجعل منك فرداً يعرف كيف يُحرر مثلاً مقالة أدبية، أو بحثاً جامعياً تستعرض فيه ما قرأته من مراجع ومصادر، إلى غير ذلك من هذه الأشياء البسيطة التي بموجب إتقانك لها يعطونك لقبَ دكتور أو أستاذ أو باحث، لا أقل ولا أكثر. أما كيف تعيش وتواجه محن واختبارات الحياة الحقيقية، فهذا أمر لا تعطيك إياه الجامعات أبداً، بل لا تعلمك حتى كيف تُصبح مثلاً زوجاً ناجحاً، أو كيف تكون نساءً مجتمعاتك أمهات وربات بيوت عظيمات! لا لا لا، هذه الخبرات وغيرها لا يعطيك إياها أحد من هؤلاء الأساتذة المدججين بالنظريات والمعلومات التي لا حصر لها، وإن كانت هي الأكثر

أهميّة وعمقاً من تلك القصّاصات أو الدبّومات والشّهادات التي تُزيّنُ بها غرفة مكتبك. هذه الخبرات عليك أن تبحث عنها خارج أسوار المدارس والجامعات الأولى، وأنا من هذا الباب وجدتُ ضالّتي في كتاب الوجود الأكبر، وفهمتُ لماذا حينما وصلتُ إلى الجامعة الصقليةّ كانتُ أستاذتي الأولى بقرةً شقراء، فتحتُ لي أبواب العِلْمِ الحقّ وجعلتني أدخلُ إليّ وأتصفحُ كتابي لأبحثُ فيه عنها وأسألها من تكونُ هي بقرنيها العجيبين ولونها الأصفر الفاقع، وحدثتُ أن وجدتكُ يا إمامي إمامي باسماً من جديد لي، ولكن وأنتَ تنطقُ هذه المرّة بصوتك الجمهوريّ وفي أيام متباعدة كلمتين لا غير، كَلِمَتَيْنِ حرثُ فيهما لسنواتٍ طويلة من عمري قضيتها أعيدي قراءة سورة البقرة وتحليلها بتمعن شديد علني أجدُ ما لم يأت به أحدٌ في كتاب شرح أو تفسير، ولكن هيهات هيهات، فالمعنى الذي كنتُ أبحثُ عنه وإن كنتُ أعلمُ أنه قريبٌ منّي، فإنّه لم ينكشف لي سوى منذ فترة قصيرة قد لا تتجاوز العامين.

كانتُ كلمتكُ الأولى يا إمامي هي "مُو" وكانتِ الثانية "سى". وأنا الآن أعيدي استحضار صورتك في عقلي وأتذكّرُ كلّ التفاصيل التي ظهرتُ لي منك آنذاك: بريقُ عينيك الواسعتين الكحيلتين المُفعمتين بالكلام الذي لا أوّل له ولا آخر، وفمك

الذي استدار وقال في يوم (مُو)، ثم انبسط وقال في يوم آخر (سَي)، أجمعهما الآن بعد كل هذه السنوات فَتُعْطِيَانِي اسم النَّبِيِّ الكليم (موسى)، وأضْمُ كَفِّي مندهشةً ممَّا استنتجتُ وأمسحُ بهما على وجهي، فتنبتُ لي في كلِّ مكان من جسدي عيون مليونية العدد، وأعرفُ أنَّ قلبي في محنة جديدة، وأنَّ عينيَّ اللَّتَيْنِ في رأسي أصبحتا غير قادرتين على النَّظر إليك في شمولينك والإحاطة بك في كليتك، فكان لزاماً عليَّ أن أخلق في كلِّ مسامات جسدي عيوناً جديدة لأراك بها، إنني الآن أبرقُ وألمعُ مِنْ كثرة الأحداق، إنني بلايين من العيون، وعيناك أمامي وكُحْلُهما يذكّرني بكُحْلِ جدِّي!

ألم يكن جدِّي يُكحِّلُ عينيه بالإثمد؟ هو كذلك أيها القارئ العزيز، لكن ماذا يعني هذا؟ ماذا يعني الإثمد في عينيَّ جدنا النَّبِيِّ؟ انظر معي إلى عينيَّ بقرتنا الشَّقرَاءِ وستفهم. انظر إلى كُحْلِها، وتذكّر كُحْلَ كلِّ الحيوانات التَّورانيَّة العجيبة، انظر إلى عيون المها والتَّمْر والقَطِّ، والصَّقر والبوم والغزال وسترى الكُحْلَ في كلِّ مكان، إنَّه الإثمد الرَّبَّانِي، الَّذِي إذا ظهر لك فاعلم أنَّكَ على أبواب أسفار عجيبة تفوِّدُكَ فيها نفسك إلى الصَّعود عبر معارج جديدة والدَّخول إلى عوالم أخرى ستحتاج فيها إلى الكثير من الحماية من أجل ضمان استيقاظ جيِّد لكلِّ قواك الدَّاخِليَّة

حتى تستطيع تصفية مرآة القلب أكثر فأكثر، وتتوصّل إلى مركزك الروحي المرموز له عند جدنا النبي بغار حراء.

إنّه الإثمذ يا سادة، والإثمذ بصيرة صافية فقدّها اليوم الجميع واكتفوا بكُلّ الزينة معتقدين أنّه طريق إلى إظهار ما في الوجه والعين من بهاء وجمال وسحر، وغاب عنهم أنه لا أحد يُمكنه أن يُبصر بالقلْب حقيقةً ما لم يعثر على جبل الإثمذ بداخله، وهذا هو سرّ الكُحل الطّبيعيّ في عيون الحيوانات، والسرّ في كونها ترى ما لا يراه الإنسانُ لأنها ذات بصر رُفعت عنه الحُجب وكُشِفَ له الكثيرُ من العوالم!

الإثمذ طريق ورحلة، إنّه طريق القلب، ورحلة الشّتاء والصّيف، أيّ رحلة شروق شمس المعاني المُختتمّة بظهور الإمام الذي أدعوك الآن إلى النّظر في عينيه لترى أنّ كُحلهمُ فيه أيضاً أثرٌ لمسحوقيّ الفضة ودماء الحيّة الملكيّة. أمّا إذا نظرت إلى وجهه كاملاً فسترى تاجاً عظيماً ونوراً مهيباً فوق رأسه. وإذ تسألني عن معنى كلّ هذا، أقلّ لك، اعلم يا عزيزي أنّك إذا رأيت بعينيّ إمّامي فلن يبقى رأسك في مكانه ولن تعود أبداً كما كنت، ولن تستطيع بعدَ اليوم أن تُفقهه ملىّ فيك كما يفعلُ الكثيرُ من المتصوّفة، فالوجوه تكذبُ حينما تُظهرُ ضاحكةً أسنانها، لأجل هذا خلق الله الأسنان في الفم ولم يخلقها في العينين، ولأجل هذا

أيضاً فإنَّ العيونَ أصدق من الشِّفاه. واعلم أيضاً أنَّ حانتَكَ ستفرغُ من رِوَادِها، ومن الحورِ العينِ وحملة الأباريق، ولن يبقى سوى جلالتهِ وسُمُوّه بتاجه الكبير الذي هو نفسه تاجُ بقرةِ كَلِيَّة الآدابِ والفلسفةِ بقرنيه العظيمين. والتَّاجُ لا تظهرُ صورتهُ إلا لتدلَّ على مِنْجَلِ القَمَرِ، وسَبْحَةِ الذِّكْرِ وهي تُكْمِلُ دورةَ شمسِ الرُّوحِ وتُشكِّلُ قُبَّةَ السَّماءِ عبر الانتقالِ من عالمِ المادَّةِ إلى عوالمِ البهاءِ والجلالِ ليسطعِ النُّورُ المقرونُ بعينِ الحكمةِ، وتكفَّ بلقيسِ النَّفسِ عن الافتتانِ بشمسِ العقلِ الحاجبةِ لشمسِ الرُّوحِ. واعلم أنَّكَ مُطالبٌ بالتمييزِ بينِ هاتينِ الشَّمسَيْنِ، فالأولى هي التي تسطعُ وتغربُ على قرنيِّ إبليسِ، والثانية هي التي تشرقُ وتغربُ بينَ قرنيِّ الإمامِ الموعودِ. واعلم أنَّكَ مُلزمٌ أيضاً بالتمييزِ بينِ الكُحلِّينِ في عينيِّ الإمامِ وعينيِّ الرِّجيمِ، فالأولُ إثمُ رِيانيِّ، والثاني قطرانٌ مخلوطٌ بماءِ حميمٍ وغسلينِ، وهو ما يظهرُ عادةً على شياطينِ الإنسِ في الحياةِ الدُّنيا سواء كانوا من عامَّةِ النَّاسِ أو مِنَ السَّحرةِ، أو ممَّن يدعون العرفانَ والولايةَ، وهذا ما يُوَضِّحُ كيف ابتليَّ الكثيرُ ممَّن يعتقدون في أنفسهم الإزهارَ بتكحيلِ العيونِ بشكلٍ مُلْفَتٍ للأنظارِ، وكذا بوشمِ الجسدِ بأشكالٍ مختلفةٍ من النَّقوشِ والرِّسومِ والرِّخارفِ.

وإثمُ أهلِ العصمةِ والنبوةِ والإمامةِ، غيرِ كُحْلِ النَّاسِ: إثمُ أهلِ

التور راسخ لا ينمحي وهو دليل على ثبات الكلمة والحق وإقامة العدل ببلوغ النفس إلى أعلى وأرقى مدارج التزكية والتطهير من الرّجس، والرّسم به يكون بحركة النّقطة المنحورة بالسّيف المسموم في كتاب الوجود. وكلُّ شيءٍ بالإئتمد الرّباني مخطوط قبل أن تُنفخ فيه الرّوح، وهذا ما يُفسّر كيف أنّ أهل الله قديماً كانوا يُحرّمون الرّسم والتّصوير لأنّ كلّ ما هو مخطوط جسديّ صامتٌ يَنْتظرُ التّفخ لينطقَ ويقوم حيّاً يسعى. والتّفخ الذي أحدثك عنه لا يكونُ بالفم وإتّما بالعين، واللّه حينما ينفخُ في صورهِ، إنّما ينظرُ إليها بعين مولانا الإمام المهديّ فتدبُّ فيها الحياة، وكلّ من حظي بنظرة من عين صاحب الرّمان أصبحت له القدرة نفسُها على بثّ الحياة، ولهذا فهناك عيون هي لرجالٍ ونساءٍ من أولياء الله، توقعك في العشق من أوّل نظرة وتقلبُ كيانك رأساً على عقب.

أمّا كحلّ أهل الدّنيا، فهو رمزٌ إلى بلوغ النّفس مرحلة تكوين الوعي بالذّات الأولى، ولأجل هذا يُستخدّم كوسيلة للرّينة والوشم والنّقش، ورمزٌ له نحن في قاموسنا الخيميائيّ بمرحلة الغراب الأسود، وهي المُقابِلة في عالم الدوابّ بفترة ظهور القرون والشّعْر والوبرِ والحافرِ والدّيل، وإذا دخلت إلى عوالم الرّؤية بالرمز، فلا شكّ أنّك ستري الكثير من النّاس حولك بقرون

وذيول وحوافر وأظلاف كإشارة إلى درجة التطور الروحي التي وصل إليها كل شخص فيهم، وهذا لا يُدينهم بقدر ما يوضح فقط أن لكل معراج، متى ما اكتملت دورته انتقل إلى مرحلة الإثمد الرباني أو ما أسَمَّيها بمرحلة الغراب الأبيض والبقرة الصَفراء التي لا شِيَّة فيها. وقرون البقرة الإلهية هما في عالم الظهور من العظام القويَّة والمتينة، وفي عالم الرَّمز قوسان من نور عظيم. وهنا السرّ وراء كلمتي (مُو) و(سَى) اللّتين نطق بهما الإمام في حضرتي في أيّام متفرّقات، وذلك لأنّ سُمُوهُ كان يريدُ أن يقول لي إنّ القلب إذا بلغَ المقام الموسويّ نبتَ له قرنان من نور، وهو المقام القلبيّ الذي ظهر في سورة الكهف بِاسْمِ ذِي الْقَرْنَيْنِ، أيّ صاحبِ الخافقين شرقاً وغرباً، والذي مَكَّنَ لَهُ اللهُ في أرضِ البدنِ أو جزيرةِ الواقواق، وقدَّرَ له جمع ثروات المعاني اللدنيَّة والكمالات الروحية كلّها حتّى إذا بلغَ موقع غروبِ شمسِ الرّوحِ وجدها تغرب في عين حمئة هي الجسد المادّي الممتزج بالطّين والنطفة الأمشاج ووجدَ عندها القوى النّفسيَّة التي وجب تعذيبها وقهرها بالرياضة والمجاهدة الروحيَّة أيّ رفعها من درجة الخوار (مُو) إلى درجة الهلال المحمّدي (سَى) لتسطع نون الحقيقة فوق رأس البقرة الصَفراء التي هي النّفْسُ الإنسانيَّة في أنقى وأبهى تجلّياتها، وتتحقّق دورتها

الشمسية والقمرية، ويتأكد لها سموها الكوكبي الظاهر في سبحة الذكر.

والنفس التي أظهرها لي إمامي وقائدي الأعلى أمام بوابة الكلية الصقلية ليست هي النفس التي يتحدث عنها سيغموند فرويد، أي تلك التي لم يرَ فيها سوى الأمراض والعلل والانحرافات مُركّزًا على ما أسماه بعُقدتي أوديب وإكثرا وغيرها من العُقد الأخرى العجيبة الغريبة بحيث لا براءة عنده أبداً في كل ما يقوم به الإنسان، ولا شيء فيه يتحرك سوى الجانب الغريزي والحيواني الذي لا يصب إلا فيما هو جنسي وشهواني، فجعل من دفاتر مرضاه بالهستيريا منهجاً ومذهباً طبقه على كل أصحاء الدنيا من البشر وجعل منهم دمي مجنونة تلهو بأعضائها التناسلية.

إن النفس كما أظهرها لي إمامي شيء عجيب ومُبهر حقاً، إنها البقرة التي أسلمت أمرها لله، فشرح صدرها للنور وأعطاهها عصا الحكمة والبيان وميزها بالهدوء والهمة العالية وفتح عينيها على إمامها ليُعلمها كيف أن في أرض البدن تكون الأحلام على نوعين، نوع هو مجرد أضغاث وأوهام، وهو الذي غرق فيه فرويد وكل من سار على نهجه، ونوع آخر هو الرؤيا التي تأتي للنفس من الله وملائكته وكل قوى الخير في الكون،

وهو النوع الذي لا يعرف عنه الفُرُودِيُّونَ شيئاً، لأنهم لا يؤمنون أصلاً باللَّه ولا بالغيبات، ولا بالإمام الموعود ولا بأيّ شيء يصبُّ في علومه، ولا يؤمنون بأنّ النفوس تنزكي وتطهر وتنتقل في معارج توصلها إلى برّ الأمان، فيتغيّر الإنسان من حال إلى حال ويخرج بموجب هذا النوع من التدرّج في مسالك السائرین من الظلمات إلى النور. وهذا يعني أنّه لا بدّ من الـ (مُو) للوصول إلى مقام الـ (سَي)، وإذ أقولُ كما إمامي (مو)، فإنّي أعني بهذا تمامَ الملِكِ وكمالهِ بخاتم الرّسل الذي جاءنا من أنفسنا حريص علينا وبالمؤمنين رؤوف رحيم، محمّد بن عبد الله، القلب الكامل في الوجود واللّوح المحفوظ، والذي ما أتى بحرف في وحيه الكريم إلّا ليروي لنا سيرة نبوّته، ويصف لنا تاريخ تدرّجه من المقام الآدميّ إلى المقام المحمّديّ لينختم في نهاية المطاف بالمقام المهديّ الخاصّ بسيد الأئمّة أجمعين القائد صاحب العصر والزّمان، أيّ مقام الإثمّد الأبيض المتحقّق في مقام (سَي) المضبوط بالاستواء على عرش الوجود، والذي به يظهر كيف بعصا الإمام يُفلقُ البحرُ ويتجدّد العهدُ، ويُفكُّ قيدُ الأسير ليتّم الانتقال من مكّة المّكّاء والتّصديّة، إلى جبل (ق)، حيثُ الحيّة الملكيّة تحرسُ تاج الإمام، وتنفثُ سمّها وتحرّقُ بهِ وجهَ كلِّ من يدّعي المهديّة أو الخروج قبله في أيّ زمن من

الأزمان.

يقولُ إمامي إنّ البقرةَ هي الكوبرا الإلهية المشتعلة بالنور
والمعارف الكبرى المرموز لها في عالم الظاهر بالضرع المتقل
بالحليب. وهي كيان شمسيّ ناريّ تُغيّرُ هيئتها باستمرار، فهي
الوشقُ الملكيُّ وهي النسْرُ بعينه النَّاقبة التي تُجسّدُ عين الله
النّاظرة التي بنورها وبريقها تشرق الشمس كلَّ صباح، فتفيضُ
الأجساد بالطّاقة والخصوبة والحبّ والنشوة. وهي أيضاً جدّتي
النّاقة التي أرضعتُ والدي في طفولته البعيدة حينما كان نائماً
أمام ضريح الوليّ الصّالح أبو عبيدة الشّرقي. وهي أيضاً الذنّبُ
المُبْرءُ من دم يوسف، وهي كذلك نوارسُ شرفتي التي تملأ الدنيا
تسبيحاً كلّما ظهر الإمامُ ليطلّع في السّحر على أحوال الرعيّة.

أستاذتي الذئبة

سيدي الإمام، قلبي ذبيح كقلبِ جدِّي مُطعمِ الطَّير، وقد أدمنتُ كأسَ السمِّ من يديكَ الطَّاهرتينِ، أشربه بتلذذٍ ولا أبوح. سيدي قلبي الذَّبِيحُ السَّكرانُ الرَّاقصُ المترنِّحُ لن يشربَ الموتَ من يدٍ ليستُ بيدِكَ، لذا أدِرُ لطفاً وَجْهَكَ الآنَ قبلَ أنَ تنظُرَ إليّ، فما عادتُ في قوَّةٍ لأتحملَ كلَّ هذا الجمالِ، وإذا نظرتُ فلا تنظرَ إليّ بشوقٍ أو عشقٍ، ولكن بشوقٍ لاهبٍ وعشقٍ شديدٍ جارفٍ، كي أموتَ بين يديكَ. انظر إليّ واسمع بوحى المباح، فإنَّ الحديثَ مازال في أوَّلِهِ وليل العشاقِ مهما طال فهو القصيرُ أبداً.

سيدي، أتذكُرُ ذئبةَ روما؟ لقد كنتَ معي حينما ذهبتُ للالتحاقِ بجامعةِ الحكمةِ (لا سايبينسا) من أجل مواصلة المرحلة الثالثة من دراساتي الأكاديمية العليا، وأعني بها مرحلة الدكتوراه والتخصُّص في تاريخ وحضارات دول إفريقيا وآسيا. كان ذلك عام ٢٠٠٨، وكما رأيتُ الذئبةَ رأيتها، لقد كانت تُرضعُ الطفلين التوأمِ رومولو وريمو. ألا تُشبهُ قصتها قصَّةَ الطَّيِّبة التي أرضعتُ حياً ابن يقظان في جزيرة الواقواق؟ إنَّها كذلك مع بعض الفروق، فحيَّ ابن يقظان بلغ الاكتمال الجسدي والإشراق

الرّوحي وكُشِفَتْ له عوالمُكَ فأصبح سيّد وملكَ نفسه، ورومولو قتلَ أخاه ريمو وأصبح سيّد وملكَ روما الأوّل. وحليبُ الذّئبة الذي رضعهُ إنّما هو رمز للحكمة السّياسيّة التي بها استطاع أن يؤسّس دولتهُ الجديدة مستقطباً إليها الخيرات من كلّ صوب وحذب إلى أن قتله رجال بلاطه المقربين خشية أن يستبدّ بهم، وأشاعوا أنّه صعد إلى السّماء على عربة إلههم المريخ وسط الرّعد والبرق، فصدّق عامّة النّاس هذه الرّواية لسذاجتهم، وعدّوا الملكَ الرّاحلَ إلهاً جديداً لهم ضمن آلهتهم العديدة وعبدوه تحت اسم كويرينوس وكان موته عام ٧١٥ ق.م. بهذه النّهاية الأليمة تُعلّمني الذّئبة ألاّ أمان للتّيجان في أرض الأجساد الفانية، وتأخذ بيدي وتحملني إلى جامعة الحكمة موقفةً إيّاي أمام ربّة العقل والنّباهة السيّدة مينيرفا، لتعلّمني مهارات الغزل والنّسيج، فكان أن أصبحتُ كاتبةً أغزلُ الحروفَ وأنسجُ الكُتُبَ بمُخيلتي السّرياليّة كشكلٍ من أشكال الانتصار على واقعٍ حينما تكتملُ فيه المشاهداتُ، أجدُ نفسي أكثر قدرة على تمزيقِ الحُجب، لأكتشفَ فيما بعدُ أنّه كلّما أزلتُ غلالةً تبدّتْ أخرى، وكلّما ظهرَ لي وجهٌ احتجبَ عني آخر، ولا أنسى آلام الفراق عن وطني السّماوي إلاّ حينما أرى وجهَ إمامي الذي به أكتشفُ أكثر فأكثر أنّ نبيّنا محمّداً (ص) وإن كانَ بشراً، فهو ليس ككلّ البشر، إنّهُ

يُوْحَى إِلَيْهِ وَنَحْنُ أَصْحَابُ اجْتِهَادٍ لَا أَقْلَ وَلَا أَكْثَرَ، وَأَقْصَى مَا نَرْنُو إِلَيْهِ هُوَ أَنْ يُزَهَرَ هَذَا الْعَقْلُ وَتَفِيضَ مِنْهُ الْأَفْكَارَ وَالْخَوَاطِرَ فِي لِحْظَةٍ رُؤْيَا أَوْ شَطْحٍ أَوْ كِرَامَةٍ أَوْ إِطْلَالَةٍ خَاطِفَةٍ مِنْ أَبْوَابِ مَلَكِيَّةٍ مُوَارِبَةٍ تَتَغَلَّقُ سَرِيعاً تَارِكَةً إِيَّانَا نَصْطَلِي بِنِيرَانِ الشُّوقِ وَاللَّهْفَةِ وَانْتِظَارِ أَنْ يَأْتِيَ الْمَدَدُ فِي لِحْظَاتٍ جَدِيدَةٍ وَتَتَفْتَحُ الْأَبْوَابُ فِي أَرْزَامٍ وَأَمَاكِنٍ لَا نَدْرِي عَنْهَا شَيْئاً.

مُحَمَّدٌ هُوَ الْمَعْجِزَةُ الْحَقِيقِيَّةُ أَيُّهَا السَّادَةُ، إِنَّهُ أَكْثَرُ إِعْجَازاً مِنَ الْقُرْآنِ ذَاتِهِ، إِنَّهُ الذَّاتُ الَّتِي تُسَبِّحُ وَتُقَدِّسُ خَالِقَهَا فِي الْأَجْسَادِ كُلِّهَا وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُ، إِنَّهُ هَذَا الْقَلْبُ الْمُصْطَفَى الَّذِي نَحْمَلُ بَيْنَ جَوَانِحِنَا، وَالْقُرْآنُ إِنَّمَا يَحْكِي سِيرَتَهُ فِي الْغَابِرِينَ وَالظَّاهِرِينَ، وَمَا قِصَصُ الْفِرَاعِنَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ فِيهِ إِلَّا قِصَصُ هَذِهِ الْعَيُونِ الْكَحِيلَةِ وَالرُّؤُوسِ الْحَلِيقَةِ الْمُعْطَاةِ بِالنَّمُوسِ وَالْمُكَلَّلَةِ بِالْتَّيْجَانِ الَّتِي تَتَجَلَّى بِدَوَاخِلِكُمْ أَيُّهَا الْعُرَفَاءُ لِنَتَلَقَى بِكُمْ فِي بَحَارِ مِنَ الْحِيرَةِ وَالذَّهْشَةِ، فَتَبِيَّتُونَ تَضْرِبُونَ أَخْمَاسًا فِي أَسْدَاسٍ وَأَنْتُمْ تَعْتَقِدُونَ أَنَّ بِكُمْ مَسًّا مِنَ الْجَنِّ أَوْ الشَّيَاطِينِ، فِي حِينٍ أَنَّ الْأَمْرَ بِرَمْتِهِ مَا هُوَ سِوَى كِتَابٍ مَرْقُومٍ بِالرَّمُوزِ الَّتِي تَرُوي حِكَايَةَ التَّطَوُّرِ وَالْعُرُوجِ، صَعُوداً وَنَزُولاً فِي مَلَكُوتِ النَّفْسِ وَسَمَاوَاتِ الرُّوحِ، وَالَّتِي وَجِبَ مِنْ أَجْلِ فَكِّ أَسْرَارِهَا أَنْ يَهْجَرَ كُلُّ وَاحِدٍ فِيكُمْ أَرْضَ الْبَدَنِ قَاصِداً جَنَّانِ الرُّوحِ، فَالْسَّمَكَةُ لَا تَعْرِفُ الْبَحْرَ لِأَنَّ

شدة القرب حجاب! لا بدّ إذن من الابتعاد يا عزيزي القارئ لترى بوضوح كيف أنّ بداخلك توجد سمكة في حوضٍ، وطائرٌ في قفص، وطفل في مدرسة، وشابٌّ في جامعة، ورجلٌ في وظيفة وكلّ مكان فيك سجن، والسّجين لا يتعلّم، لأنّ التعلّم يحتاج إلى مغادرة الأسوار والسياحة في أرض الله الواسعة حتّى تتخصّب مخيلتك وتصبح قادراً على التّحليق السرياليّ العجيب. افتح عين قلبك على العالم الذي أنت فيه وعلى الزّمن الذي هو فيك، ولا تفصل أبداً بين الجسد والروح، فجسدك هو ناقثك وبرأفك، وهو بقرتُك التي لا شيء فيها. تصالح معه يُريك الوجود كما هو، وينقلك إلى عالم الروح لتكتشف أنّ ما هو هناك انعكاس لما هو هنا. لا تهرب من واقعك، ولا تفعل كما فعل عرفاء الزّمن الماضي، فالإنسان اليوم ليس بحاجة إلى من يُفسّر له أحلامه فقط، وإنّما لمن يشرح له واقعه السرياليّ ويرسّخ قدمه فوق الأرض لتكون الانطلاقة إلى الأعالي قويّة وسليمة ومُحدثة للتغيير. انظر بعُمقٍ إلى ما ومنّ حولك، التقط رسائل الله وحرّوفه إليك فيهم، ولا تتذمّر أبداً، افتح ذراعيك على الأبدية في خلق البارئ وصنعتة، وتذكّر أنّ الأنبياء كانوا وسط النّاس ووسط شواغل الأرض، ولم يهرب منها أحد. لستُ مع من يركّض اليوم نحو الجبال ويختفي وسط الكهوف، وإنّما الأرضُ

تحتاج لمن يتضمَّح بطينها ومائها وكلّ ذرّة فيها، ويُنطهيّ فوق
نيرانها ليكون له مذاق خاصّ في تركيبه الوجود. افرح بيومك
وأمسك وغدك، وسامح النَّاس وتجاوز عنهم واغفر لهم ما
ارتكبه في حقك من أخطاء، واعلم أنّ فردوسك مرتبط بمقامك
هنا على هذه الأرض، واني لأستغرب لهؤلاء الذين يفرّون من
كلّ شيء ويتحدّثون عن الفراديس، لا شك أنّها فراديس وهميّة.
ولا تكن من أهل الشكوى والبكاء، فكلّ ما يصنعه الله عسل
مصفى وإن كان يرتدي ثوب الألم والفجيعة. وعسله هذا متدقّق
في الشّارع والبيت، وفي مكان العمل والعبادة، ولا تُدِنُ أحداً ولا
تتنقص من أفعال النَّاس فالله وحده الديان الكاشف للخفايا
والأسرار، فربّما أنت ترى بعينك وعينك عينُ إنسان، والخالقُ
ينظر بقلبه وقلبه قلبُ إله فيه الرّحمة التي وسعت كلّ شيء. لا
تتنظرُ إلى ما لدى الآخرين من خير قد ترى فيه كمالات روحية،
فلربّما تكون كمالات وهميّة ذات بريق مزيف، وتكون أنت في
أعلى عليين ولكنك لا تشعر بذلك. انظر إلى حيث أنت،
واستخرج عسلك من أعماق كهوفك الجوانية، واسترخِ فكلّ شيء
إلى يديك قادم، ولا أحد ينال إلا ما كتبت له. كُنْ هُنا إذن لتكون
هُناك، وليس فيما أقول إشارة لوحدة الوجود، لأنني لا أؤمن بهذه
النظرية بتاتاً وأرى فيها نوعاً من المراهقة الصّوفية، ولنقل إنّ

كتاب الوجود فيه نوعاً من وحدة الخليّة، أي وحدة النقطة الذبيحة التي تتحرّك في نسيج واحدٍ بقوانين واحدة، ممّا يجعل الكائنَ يشعر بنوع من القرابة أو النسب بينه وبين بقية الكائنات، ولم لا، فكل الوجود من خلق روح كونيّة عظيمة واحدة، ونحن جميعاً أبناءها، لكن هذا لا يعني أننا نحن خالقنا، أي لسنا روحان حللنا بدنًا، لأنّ الخالق هو عقل كليّ شامل ومحيط، يُلهم المخلوقات ويهديها في رحلة الإسراء والمعراج مُسلِّحًا إيّاها بوسائل الفناء والبقاء، وهو متعالٍ على مخلوقاته يعلم ما لا تعلم ويرى ما لا ترى، ويقدر على ما لا تقدر، يُعطي الصفات ولا تُحيطُ به صفات. تذكر هذا جيّدًا يا باركك الله وأنت تمشي بشرًا في أسواق الكون كما كان يفعل جدنا النبيّ، تذكر أنّ الإنسان شرفه وعزّته أن يبقى إنسانًا يطير بأجنحة الفكر إلى عالم الله، وكلّما اعتزّ بإنسانيّته ورضيَ بها نال هبة التّحليق إلى ما لا عين رأت ولا خطر على قلب بشر، هناك حيث يخلع الثوب البرزخيّ ليلبس الثوب الملكوتيّ، ثم يخلع الثوب الملكوتيّ ليلبس الثوب الجبروتيّ كادحاً من درجة إلى درجة ارتفاعاً نحو الباريّ الذي ليس كمثلته شيء، بقلب يؤمن إيماناً راسخاً بأنّ المُخلَص الحقّ في الكون بأسره واحد وهو إمام الرّحمة والمظلومين صاحب العصر والزّمان. وكم يبدو الشّيطانُ باهتاً أمام أيّ

شخصٍ يعتقدُ في نفسه أنه يمتلكُ الحقيقةَ المطلقة، لذا لا تنسِ
يا عزيزي وأنتَ تقرأُ كتابي هذا أنّ الهوسَ بأن يُصبحَ كلُّ واحدٍ
مهديّ عصره يجعلُ الحياةَ على الأرضِ مستحيلةً ولا تُطاق،
ويجعلُ المُستشفياتَ تفيضُ بالمُزيّفينَ والمزيّفاتِ من المُخلّصينَ
المختلّينَ عقلياً، فمنَ ذا الذي تراه يُحاولُ وهو على بيّنة تامّةٍ من
تفاهته الخاصةِ أن يُصبحَ فعّالاً وينتصبَ أمامَ الملائكةِ ليُدّعي أنه
مخلّصُ زمانه؟! كلُّ هؤلاء الذين أغرقوا الأرضَ بالدماءِ، وشقّوا
الحروبَ وأبادوا خلقَ الله، إنّما كانتُ جريرتهمُ أن طغوا واعتقدَ
كلُّ واحدٍ فيهمُ أنه مهديٌّ أو مُخلّصُ زمانه بغضِّ النَّظرِ عن
دينه ومعتقده، فاحذروا التلبّيسَ الإبلّيسيَّ يا أهلَ الله، ودّعوا
إيزيسَ القلبِ أو ذئبتَه الكُبرى تُخلّصكم من الأوهامِ والخرافاتِ
والترّهاتِ، لتدخلوا آمنينَ إلى ملكوتِ الرَّحمةِ والأمنِ والأمانِ
والسّلمِ والسّلامِ.



الجزء السادس

هيثم كاظم محمود قارئ الأسرار

وإذا كُنَّا قد وصلنا معاً إلى الجزء السادس من سلسلة (دُزَاكُورَا / إِمَامُكَ الْمُنْتَظَرُ كَمَا لَمْ يُخْبِرِكَ عَنْهُ أَحَدٌ) فهذا لا يعني أنني بصدد ختم أسفاري المهدوية بشكل نهائيّ فيه. كلّ ما في الأمر هو أنني بصدد وضع اللّمسات الأخيرة في هذا المُجلّد فقط، مع الحرص على مواصلة الرّحلة ذاتها بصيغة أخرى وأسلوبٍ مُغايرٍ في كتاباتي القادمة سواء في مجال الرواية أو النّقْد وما إليهما، ولكن قبل ذلك لا بدّ لي أن أتوقّف ولو قليلاً لأتقدّم بأسمى آيات الشّكر والتّقدير للأستاذ الفاضل الجليل هيثم كاظم المحمود الذي تفضّل مشكوراً بكتابة بعض المقالات بشأن هذه التجربة الدّزَاكُورِيَّة. أقول هذا وقد مرّ على ظهور نجمه في سماء حرفي عامّ بالتّمَام والكمال، أيّ منذ أن انضمّ إلى صفحتي بالفيسبوك في يومه ٠٦ آب ٢٠٢١، وهو التاريخ الذي دفعني إلى قبول طلب "التحاقه" بصفحتي الجديدة - التي عادة ما لا أفتحها لأحد -، وذلك لأنّي رأيتُ فيه يوم ميلاد الإمام العاشر (٢٧ ذي الحجة) وحفيده الإمام الثّاني عشر (الجمعة)!

ومرّت أيّامٌ عدّة، وشاءت العناية الإلهية أن أبتعدَ عن صفحتي وأغلقها لبعض الوقت لانشغالي آنذاك بتأليف كتب جديدة، ولكنّي بعد عودتي تذكّرتُ اسم هذا الأخ والأستاذ الجليل ووقع في خاطري أن بين يديه شيءٌ يخصُّ إمامي الموعود وكان ذلك في بدايات شهر ذي القعدة أيّ شهر خروج النبيّ صلّى الله عليه وآله إلى حجّة الوداع، ويوم دحو الأرض. وما

توقّعتُهُ حدث بالفعل، إذ أنّه ودون طلبٍ مِنّي وصلني منه في يوم ٠٢ تشرين الثاني ٢٠٢١ ديوانه (سرادق العشق)، والذي بشأنه أصدرتُ كتاباً جاء بعنوان (في الحانة مع هيثم المحمود / قراءات عرفانية)، وقد تحدّثتُ عنه طويلاً في الجزء الأوّل من هذه السلسلة، وهو الكتاب الذي كان إيذاناً بالدخول في حضرة البوح الإماميّ بشكل استرساليّ أصبح به هيثم شخصيّة جديدة من شخوص هذا المجلّد الذي بين يديك، بل شخصيّة فاعلة ومؤثّرة فيه، ليس فقط لأنّه كان يكتبُ عنه بعض المقالات والانتطاعات، ولكن لأنّ الإرادة الإلهيّة شاءت أن يكون أوّل من يطّلع على كلّ أجزائه قبل أيّ قارئٍ في العالم بأسره، وهذا سرّ من الأسرار الذي يكشفُ لنا كيف أن هذا الرّجل يعيش تجربة إماميّة مهديّة خالصة وخاصّة حقاً وحقيقة.



كتاب (في الحانة مع هيثم المحمود
قراءات عرفانية في ديوانه (سرادق العشق))
وقد وصل إلى مكتب الأستاذ هيثم المحمود

ولكن ما معنى أن يكون للإنسان نوعٌ من الارتباط الروحي والعقليّ بإمامه؟ وقبل أن أجيب عن سؤالٍ هو في الحقيقة يعنيك عزيزي القارئ أكثر ممّا يعنيني، تحضرني في عقليّ الآن كلماتُ نبيّ الرّحمة والأمن والسّلام سيّدنا محمّد (ص) وهو يقول: "أنا مدينة العِلْمِ وعليّ بابها فمن أراد العِلْمَ فليأت الباب"، فيشرحُ قلبي وأسمعه يردّدُ منتشياً وكأنّه يُضيفُ إلى عبارات الحبيب كلماتٍ أخرى قائلاً: "صاحبُ الزّمان مفتاحُها"، نعم يا أحبّتي، محمّد المدينة، وعليّ بابها، وبقية الله مفتاحُها. ولا أحد يملكُ سلطة الدّخول إلى المدينة وإن وقف على بابها دون أن يكون في يده مفتاحُها! إنّ الأمر يقتضي الإذن، والإذن لم يصدرُ بعد ولن يصدرُ إلّا بعد تمام الظّهور، وكلّ من يدّعي غير هذا فهو كاذب. وهذا ما يُفسّرُ كيف أنّ هذا الكتاب بأجزائه الستّة إنّما حرصتُ فيه على أن أحكي تجربةً بسيطةً لا تتعدّى أن تكون نقطة في محيط من التجارب التي يعيشها العديد من النّاس في العالم بأسره، كلّ بطريقته، وكلّ حسب دينه ومُعتقده. أقول هذا لأنّي أرى في إمامي الكينونة التي احتضنت النّاس أجمعين، وأحبّت بقلبٍ كبير وشاملٍ كلّ خلق الرّحمن، وظهرت في كلّ كهفٍ ووجدتُ في صاحبه الاستعداد لاستقبال بذرة النّور. وإنّي لسعيدة جدّاً لأنّني استطعتُ أن أبوح ببعض ما جادَ به

القلب، ليس لأتني دخلتُ مدينةَ العلمِ، أو عثرتُ على مفتاحها،
ولكن لأتني حينما وقفتُ ببابها مزمّلةً برداءِ الكتابةِ والفكرِ بدأتُ
أتحسّسُ خيوطاً من نورٍ قادتني إلى العثورِ على بعضٍ من
شذرات تحكي تاريخِ الرّوحِ المُحمّديّةِ الحقّةِ، وتدلّني تارة بلغة
الرّمزِ وتارات بلغة الكشفِ على جزءٍ بسيطٍ جداً من كينونتي،
ليتأكّد لي أنّنا حقيقةً ما أوّتنا جميعاً من العلمِ إلّا قليلاً، وأنّني
كلّما غصتُ في بحار الحرفِ ازداد غرقي وتعمّقَ يقيني بما أنا
فيه من جهلٍ بكلِّ شيءٍ، ولربّما هذا ما يُفسّرُ أيضاً كيف أتني
في زمني هذا اخترتُ إلّا أظهر في مجالس المعرفة، وأن أبتعد
عن كافّة دوائرها مهما تعدّدت وتنوّعت، وذلك حتّى لا أتلوّث
بادعاء الحكمة، وحتّى لا أكون ممّن يقول بالدخولِ إلى خزانات
مدينة العلمِ أو الإحاطة بكافّة سجلّاتها من أهل الغرب والشرق
على حدّ سواء. والويل لمن يخدعه الرّجيم وتغويه الأنا
المُتضخّمة بكلِّ ما تُريه إيّاه من مشاهدات ومكاشفات، والويلُ
لمن لا يستفيق من الغفلة ولا يظّهَر له أنّ ما قد يراه علماً إنّما
هو في الحقيقة استدراج ليُصبح من أهل الجهل الأكبر، فراعنة
الحرف، أصحاب العيون الكحيلّة المنقوشة بالقطران ورماد
الجحيم، أولئك الذين ما فتأ الله يخاطبهم في كلّ كتب الوحي
منذ أن خلق الأرض ومن عليها إلى أن يأتي يوم الظهور الحقّ

الذي لا يمكنه إلا أن يكون ظهوراً من صُلبِ محمدي خالص. ولا أقولُ هذا دفاعاً عن نبيِّ الرَّحمة ولا إعلاء من شأنه فهو ليس بحاجة لهذا بتاتاً، ولكن لأنَّ محمداً حقاً هو الأصل والبداية والنَّهاية، هو بداية الطَّريق، ونهاية العروج داخل كلِّ جسد كيفما كان انتماؤه ولونه وعقيدته، إنّما الأمر يحتاج فقط لبعض من الوقت لتكتشف كلَّ روح في كينونتها هذه الحقيقة، وتسعد بها وتعبر عن بهجتها هذه بكلِّ اللغات والأسماء، وإلى أن يتحقّق ذلك عزيزي القارئ أدعك مع هذه المقالات التي خطّها الأستاذ هيثم كاظم المحمود بقلب خاشع متبتّل للرَّحمن، راجية أن يفتح بها في صدرك أبواباً جديدة للعروج والتَّحليق في سموات النُّور والمحبة.



الأستاذ هيثم المحمود
وهو يطلُّغ على إصدارنا الجديد (كأس السم)

قراءات عرفانيّة في الجزأين الأوّل والثاني
من كتاب
(دُزَاغَرَا / إِمَامُكَ الْمُنْتَظَرُ كَمَا لَمْ يُخْبَرَكَ
عَنْهُ أَحَدٌ)

هيثم المحمود

(I)

**في الجزء الأول
(محادثة الذهب)**

وَهَجَ النِّهَايَاتِ (لَمَنْ يَجِيدُ قِرَاءَةَ الْأَسْرَانِ)

وكما ترسلُ الشمسُ خيوطها الذهبيةَ على البقاع، كانَ السردُ في نصّها قد مالَ إلى تعدّد مستويات المعنى؛ الزاخرة بالعرفان، فاقترَبَ من سموات الشعر، هناك حيث تتاجي بابتهاهِ عميق، سموّ الحرف، وتحاكي عبرَ تجلياتٍ روحيةٍ وتدقّقاتٍ عشقيةٍ كلّ مساراته؛ بألقِ العطاء، فهي بحق رسولة العشق الإلهي، مليكةٌ؛ تطيرُ بجناحينِ سامقين، تُخلِّقُ في سماء المحبّة والرّحمة.

لقد جاء الكتاب بمفاهيمٍ حدثوية، قيمية، اختصرت البيان للوصول إلى فهمٍ معمّقٍ لقضية الإمام المهدي (مفهوم المخلص المنتظر) حيث اشتمل الكتاب جوانبَ سردية متميّزة في بيان حقائق الانتظار، فكانَ صياغة مُبدعة لحقيقة كونيّة النقطة وتَشكّلها حرفاً نورانياً ظَهَرَ إلى الوجود لتحتفي به الكائنات؛ نوراً هادياً قبلَ ظهوره الموضوعي، وتحقّقه الخارجي، ولتفتحَ به نوافذَ إشراقيةٍ تُهَيِّأُ كلاًّ منا لأن يكونَ مُمهّداً حقيقياً للظهور المُقدّس.

لم تقدّم الدكتورة أسماء غريب، الإمام المهدي المنتظر، تقديماً تعريفياً، إنّما قدّمتهُ بفكرٍ حدثيٍّ، نيرٍ، لم يسبق لأحد أن تحدّثَ به أو عنه. تختصرُ الحكاية فتقول:

"وإِذَا سَنَدَخِلُ إِلَى غُرْفَةِ الْحَبِيبِ؛ الْبَيْضِ جِدْرَانِهَا، وَنَجْلِسُ مَعاً عَلَى بَسَاطِهِ الْأَخْضَرِ وَنَشْعَلُ زَيْتَ الْقَنْدِيلِ الْفَضِّيِّ، ثُمَّ نَقُولُ بِسْمِ اللَّهِ، وَنَبْدَأُ أَنْتَ وَأَنَا فِي الْبُوحِ وَرَفَعِ السِّتْرِ إِلَى أَنْ يَظْهَرَ لِلْجَمِيعِ إِمَامَهُمُ الْمُنْتَظَرَ بِشَكْلِ لَمْ يَسْبِقُ لِأَحَدٍ أَنْ حَدَّثَهُمْ بِهِ أَوْ عَنْهُ".

“تَبْتَسُّمُ لِي فَأَصْعَدُ إِلَى غُرْفَتِكَ الْبَيْضَاءِ
أَجْلِسُ إِلَى يَمِينِكَ فَوْقَ بَسَاطِكَ الْأَخْضَرَ
وَأَسْمَعُكَ تَقُولُ:

العشْقُ قَطْرَةٌ

مِنْهَا خُلِقَتْ الْأَنْهَارُ وَالْبِحَارُ

وَاشْتَعَلَتْ الْأَقْلَامُ وَالْأَشْجَارُ

أَبْتَسُّمُ لَكَ وَأَقُولُ:

العشْقُ نَظْرَةٌ مِنْكَ يَا مَوْلَايَ

حِينَ صَوَّبْتَهَا نَحْوِي

ذُهِلْتُ عَنْ نَفْسِي

وَنَسِيتُ مَنْ أَنَا

نَسِيتُ أَهْلِي

نَسِيتُ حَرْفِي

نَسِيتُ قَلَمِي

وَمَا بَقِيَ شَيْءٌ سِوَاكَ

العشْقُ أَنْتَ

نَقْطَةٌ مِنْهُ تَكْفِي".

وهذه هي البداية التي ترسمها الدكتور أسماء غريب، وهذا هو الانطلاق النيّر الذي يكون مبعثاً لفهم النهاية المرتقبة ! إنّها بحق تجيدُ لغة الحوار مع الكبار !

لقد أجادت الدكتور أسماء غريب التداخل بين السردى والشعري في القصيدة العربية المعاصرة، وقد بدا ذلك واضحاً من خلال الجماليات التي أضفاها ذلك التداخل على نصّها الشعري الذي تضمّنته مقدّمة الكتاب:

"الإناء بينَ يديكَ من طينِ أبيض
وأنا واقفةٌ أمامكَ يا إمامي
أراه ممثلاً بزيتِ لونه كالماء
أنفخُ فوقه فيشتعلُ بالنورِ والنار ."
[الوقوف؛ الرؤية؛ النفخ]

يا له من تواشجٍ بين الصور الثلاث !
صورٌ تأثريّة، تشكّل جماليّة حكاية للذات العارفة؛ المتأمّلة.
رغبةً في التطهير والبوح؛ تحكي قصّة امرأة عارفة تجلّت في
رؤيتها العرفانية أسمى معاني الرسائل السماويّة؛ وارتسمت في
ملامح نصّها أرقى معاني الحكمة المتعالية؛ فكان نصّها حكاية
هادفة .

يقول: لورنت جيني بأنّ "كلّ نص شعري هو حكاية، أي رسالة

تحكي صيرورة ذات":

"أَنْفِخْ فَوْقَهُ فَيَشْتَعُلُ بِالنُّورِ وَالنَّارِ".

النُّورُ والنار كلاهما طاقة؛ لكنَّ النور لا يحتاج إلى ضبطٍ بينهُ وبين مصدره؛ فمصدر كل نور واحد، بينما لا بد من ضبطٍ

مستمر بين عناصر ومصادر إنتاج النار وإلا إنطفأت!

فمصدر النُّور: هو وليس غيره، وهو نورٌ على نور؛ ونوره

المركَّب لا يحجبه شيء؛ لكنَّه مع هذا الظهور البيِّن لا تتسنى

رؤيته لأيٍّ أحد، إذ أنَّ الحُجُبَ الظلمانية غالباً ما تحولُ دون

تلك الرؤية فلا يحصل العبدُ على مراده؛ فالنورُ يربطُ بينَ

إرادتين وساحتين مختلفتين، وهو عند الدكتورة أسماء غريب :

واحدةٌ ترومُ الوِصالَ؛ وأخرى مصدرَ فيضه:

"العِشْقُ نَظْرَةٌ مِنْكَ يَا مَوْلَايَ"

فيضٌ من عطاؤكَ الجَزِيلِ:

"العِشْقُ أَنْتَ

نَظْطَةٌ مِنْهُ تَكْفِي"

وهنا ترسم الدكتورة أسماء مداخلتها بينَ النص الشعري الذي

يمثِّلُ عنواناً مُتحرِّكاً للقصيدِة وبينَ الحكاية السردية التي تشكِّلُ

قوامُها .

ولكنَّ ماذا تريد الدكتورة أسماء غريب من ذلك النور الذي توهِّجَ

- نتيجة نفخها فوق الإناء الممتلئ بالزيت ؟ - إنها تريد أن تتخلص من ذلك العالم الخارجي ومن كل سلبياته، لتتفرغ إلى (إمامها)، لتحقيق "نشوتها المفعمة بالجنون السّاحر والعقل الخلاق"، تقول في روايتها وريثة السر:

"وحينما أنتبه إلى نفسي أجدني لا أكتب حقيقةً بيديّ، وإنما بالعين التي في قلبي، وحينذاك أدركُ أنّه حينما يمتلئ عقلي بالنور لا بالكهرباء تتقلبُ عيناى إلى الداخل، وأصبح أنظر هناك، ويسقطُ العالمُ الخارجيُّ في جُبِّ النسيان، عندئذٍ تبدأُ روحي رحلتها العجيبة في الأعالي كما في الأسافل "

إنّها تمارس الاستغناء، لتملك !

يقول جلال الدين الرومي: "تبرد نار النفس بالاستغناء، استغنِ يا ولدي فمن تركَ مَلْكَ".

"تبتسمُ لي فأصعدُ إلى غرفتكِ البيضاء"

الابتسامةُ إيذانٌ بالقبول، وشروعٌ بأخذِ التعاليم من أرضٍ بكرٍ وعينٍ صافية؛

"قل لي كيف يُصابُ بمرضٍ مَنْ شَرِبَ نقطتك"

يا لهُ من تأكيدٍ لحقيقة التحام الذات الفردية وفنائها في عالمها الأوحدا!

" درّازة، نسّاجة، تخطيط وتحيك الحروف والكلمات، فكنتِ نجية "

إدريس وصاحبة جلاء، واعلمي يا قرّة عيني، أنّ كلّ إنسان هو نسّاج درازّ، لأنّه بذلك يعكس صورة الكاتب أو الحائك الذي بداخله، وهو بصمة الله في كلّ قلب. والحائك الذي أحدثك عنه إمامٌ شريفٌ كريم يُنفذ الأوامر كلّها .."

بهذه الكلمات - العلائية - كفكفَ جدّها دموعها بعدَ أن ألبسها البرنوس الصّوفي الأخضر ليتسنّى لها الخروج مبكراً قبل أن ينتبه لها الفرعون، وحينَ خرجت كانَ بها عطشٌ شديدٌ للمعرفة . " اعلمي يا حفيدة الدّراز، أنّ الخليفة هو الرّوح، وهو من عالم الأمر، لا الخلق، استوى على العرش وأحاطَ بعالم الإنسان، وهو حاملٌ للأمانة العظمى، هو الإمام المُبين الذي فيه أحصى الخالق كلّ شيءٍ ألا تجدينَ في الأمر تحقّقاً للعدالة عبر هذا الإمام الذي هو شمس الحق والحقيقة، وعين الله الناظرة في كلّ أمور الكون والدّنيا والدّين، وبه يُعرض كتاب الأعمال وتفتح صحيفة النّفس وقد نَقَشَ ونَسَجَ وكتَبَ وحاكَ فيها كلّ الأعمال المُنطبعة في صورة الجسد؟". هذا ما جاءَ في الحكاية عن حيِّ بن يقظان .

إنّها بهذا النّص - العجائبيّ - تبلور حقيقة وارث أنبياء الله وحاملَ علومهم، الذي انتهت إليه الرّئاسة، وأنّه بمنزلة "نور الشّمس الذي هو دائم الفيض على العالم"

لقد تجاوزت الدكتورة أسماء غريب في وصفها للإمام المُخْلِص
الْمُنْتَظَر، علماء عصرها، فقد كانت تعيش الإمام روحاً وسلوكاً،
وتستشعره حينَ تقعدَ وحينَ تقوم، شأنها شأنَ مَلَكَ السَّحَر،
العارفة المُجتهدة السيِّدة نصرت أمين (١٣١٢ - ١٤٠٣) هـ، من
أصفهان، صاحبة تفسير مخزن العرفان، وهي عالمة وفقهية
ومُحدِّثة من أعلام القرن الرابع عشر الهجري، كانت نافذة
البصيرة، غزيرة العلم.

تقول الدكتورة أسماء غريب في صفة الإمام الْمُنْتَظَر:

"إنَّه شمس الليل التي تجري لمستقرِّ لها في قلوب أهل الله، إنَّه
الحكمة ومركز ومخزن القوَّة والطَّاقة، وكلُّ كائن حيٍّ يحتضن
بداخله هذه البذرة التي تنمو شيئاً فشيئاً لتصبح نوراً يضيء
الوجود، يُدركُ الخلاص من ريقة الأسر. إنَّه عين الله الناظرة،
ويدهُ الباسطة، وأذنه الواعية، وحكمته البالغة، ونعمته السَّابِغة.
إنَّه آدمَ ونوح في الأوَّلين والآخرين. إنَّه مورقُ الأشجار، ومونع
الثمار، خازن العلم، وطور الحلم، صاحب السَّور ومُخرج مَنْ
في القبور، صاحب إبراهيم وسر الكليم، الناظر في الملكوت،
الحي الذي لا يموت، صاحب الزَّلَّازل، مدمر الفراعنة بسيفه
البتَّار، لا تُقبَلُ الأعمال إلاَّ بولايته، المذكور في سالف الأزمان،
والخارج في آخر الزَّمان، قاصم الجبَّارين في الغابرين ومخرجهم

ومعذبهم في الآخرين .

إنَّ الإمام المهدي المنتظر عند الدكتورَة أسماء غريب، سرُّ ذو عينٍ صافية، سرُّ يتَّصف بالخلود وشفرة لم يُحسن قراءتها لليوم أحد. إنَّها تحيا به، وكيفَ لا وهي تعيش آلامَ جدِّته؛ بطلاة كربلاء؛ زينب الكبرى (عليها السلام) والتي وصفتها بـ "سيِّدة الصابرين المجاهدين المُرابطينَ في مملكة الحرف والبيان". وكيف لا ومازال قلبها يردِّد كلمات زينب في حضرة أعتى عتاة الأرض : "أظننتَ يا يزيد حينَ أخذتَ علينا أقطار الأرض، وضيقتَ علينا آفاق السَّماء، فأصبحنا لكَ في إسارٍ تُساقُ إليكُ سوقاً ...".

وتمضي الدكتورَة أسماء في سرد خطبة بطلاة كربلاء أمام الفرعون يزيد، وقصة السَّبايا اللاتي هتكَ الفرعونُ ستورهنَّ، وأبدى وجوههنَّ نساءً تساقُ قسراً إلى سجن الرّوح في جزيرة الواقواق !

وترى حفيدةَ الشَّيخ الدَّرّاز؛ إنَّهنَّ بهذا المشهد المُعظَّم - إذ ليسَ لهنَّ من حماتهنَّ حميم- كنَّ قد شكَّلتَ المبدأ الأنثوي في البيضة الكونية.. وهُنَّ (الأنثى العقلية في عملية الخلق والتخليق داخل البيضة الكونية). وهنَّ نساء الجيش المهودي من بيت النُّبوة.

إيزيس المغربية

وهي (في طريق العروج إلى مدارج الكمال) تحاول
الدكتورة أسماء غريب في تقديمها للإمام المهدي المنتظر بهذا
الشكل السردى الحدائى المُميّز أن (ترفع الحُجُب عن المعاني
الكامنة).

وكما تزيّن طيور النورس البيضاء شواطئ (الحسيمة) المغربية،
تأتي اليوم الدكتورة أسماء (إيزيس المغربية) لترتدي غطاء الرأس
على شكل يشبه العرش لتحملَ في يدها مفتاح الحياة ولتقدّم
خلاصة فكرها النَّير، الحدائى، الذي استشعرَ بعمق ضرورة أن
تعيش الخليفة إمامها المنتظر، وأن تستشعرهُ بكل تفاصيل
حياتها، بعد أن تستضيء بنور ولايته، فالعالم متوقّف عليه، وهو
قلبُ عالم الوجود، والواسطة في الفيض بينَ العالم وخالقه.

لقد تخطّت الدكتورة أسماء غريب بهذا السرد الحدائى، الواعي
لقضية الإمام المنتظر؛ مثلث الديالكتيك الهيجلي الماركسي
(الأطروحة والطّباق) بعد أن أسبغت على الجانب المفاهيمي
لقضية الظهور المقدّس، تراتيل من القمم الجبلية الشاهقة حين
"رأت باباً دائرية من الذهب الخالص وقد رُسمت فوقها بأحجار
الزّمد شمسٌ خضراء" .. إنّها ترى في التحوّل الكوني ضرورة لـ

(إحياء الأرض بعد موتها)، وهذا هو تماماً صفة طور الاستخلاف.. إنها تصوّر المهدي المنتظر تجسيداََ لآمال المؤمنين العاملين، ومظهراً حتمياً لانتصار فريق المؤمنين فهو (القيّم على الممالك والأكوان كلّها، والناظر إلى المصالح الكلية والجزئية، والمحدّد لما يصلح للخلق من عقائد دينية، وإرشادٍ نفسيٍّ وأخلاقي...).

الضرورة والحاكمية على شؤون العالم

لقد فنّدت الدكتوراة أسماء غريب التصرّو القائل: إنّ فكرة المهدي فكرة دينية، غيبية، فهو الإمام الضرورة الذي (تتجدّد به دورات الوعي والحياة)، ومنه تؤخّذ (تعاليم النور والرّشاد). وله الحاكمية على شؤون العالم حتى لا يستطيع أيّ شيطان إيذاءه، أو فرعون الوقوف بوجهه.

إنّه شمس الحقيقة التي ما أن تبزغ حتى يراها كلّ إنسان على وجه الأرض ! وهنا تتبّه الدكتوراة أسماء إلى ضرورة أن يعرف الإنسان حقيقة دوره في مواجهة التغيير العالمي، تقول:

" كلّ إنسان يرى عين الإمام، عبر مراحل الوعي الاثني عشر المتجسّدة بظهور الأئمة الاثني عشر، لا بدّ له أن يدرك علاقته الوثيقة بشمس الحقيقة، أي بذاته العليا التي تمرّ باثني عشر طوراً قبل اكتمال دورتها، ولا بدّ أن يستوعب أنّ النور الذي بداخله هو الذي يضيء العالم الخارجي، وليس العكس "

نعم، إنّ الإسلام يريد العامل حياً ولا يريدّه ميتاً، يريدّه كبيراً، استثنائياً، يتناسب مع الدور العظيم الذي أُعدّ له الإمام المُنتظر، وما عليه بعد ذلك - أي العامل - إن كان قد فقدَ روحه في هذه المواجهة، يقول سعدي:

"الجواهر الثمينة تُستخرج من أفواه التماسيح،
والحريص على حياته لا يذهب إلى البحر".
والإنسان ما لم يتحمّل المصاعب ويعاني المصائب فإنه لا
يمكن أن يظفر بوجودٍ يليقُ به، ولا يمكن للحقّ أن يتّقد في
روحه، تقول الدكتورة أسماء:
"والتمهيد لظهور هذه الحقيقة يكونُ لدى الناس بطرقٍ عدّة، كلّ
حسب قدرته وإشراقه الحق في صدره".

ترقب بين انتظارين

تقول الدكتورة أسماء: "ولا توجدُ في الكون روح تقيّة إلاّ وعينها على ذاك المكان القصي من مدينة الحق. والوصول إلى برج الإمام، يعني أنّه على الإنسان أن يتحرّر من أوهامه وإحباطاته وخيباته ويعرف كيف ينتظر ويصبر إلى أن تظهر شمس الإمامة في قلبه".

نعم إنّ ما تريده الدكتورة أسماء من الانتظار هنا هو الانتظار الإيجابي، لا الانتظار السلبي، الانتظار الإيجابي المنتج الذي يقود الإنسان والأمة نحو الإمام بحيث تكون دائمة الصلة به، لاتنفكّ عنه بحال، فهو خط الله وخط النبوة وخط الإمامة، وهو الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن ملأت ظلماً وجوراً.

ومن ضرورات الانتظار الإيجابي عدم الإنصات إلى الدعاوى المزيفة التي يطلقها المشكّكون بظهوره المقدّس، وهذا ما أكّدت عليه الدكتورة أسماء في مطلع الكتاب - في بلاد شفشاون - والتي وصفتهم بالغارقين بالوهم وثقافة التواكل، تقول الدكتورة أسماء:

"أنت أيّها المؤمنُ بالمهدي المنتظر، أيّها القابضُ على الجمر والمُرابط في محراب الكلمة الحرّة الأبيّة، لا يُساورني شك في

أنتَ قد مرّت عليكَ لحظات سألكَ فيها المحجوبونَ عن فراديس النور والبيان، وقالوا مشككينَ فيما تؤمن به بيقينٍ راسخ: من أين لكَ بهذا الثبات حتى تؤمن بشخص لا يراه أحد في زمن وعالم المادة والمحسوسات، وتنتظر منه الخلاص.

كذلك من ضرورات الانتظار الإيجابي هو ما أشارت إليه الدكتوراة أسماء، وهو أن يكون الإنسان مُسلحاً بالدفاع عن فكرة الظهور المقدّس، مُلماً بكلّ جوانبها، تقول:

"أما إذا كنتَ من المثقفين الدارسين، الواعين، فستحاول أن تشرح له وجود فكرة المهدي المُخلص في الأديان والحضارات القديمة، وكيف أنّ كلّ ملةٍ كانت تنتظر مُخلصها منذُ زمنٍ بعيد، فقدماء الهند مثلاً كانوا يرون في كريشنا مُخلصهم ومهديهم الكبير، وها هم اليهود كانوا يرون في موسى (عليه السلام) منقذهم العظيم صاحب الآيات الباهرات، بل ها هم المسيحيون كانوا وما زالوا يجدونَ في شخصية المسيح (عليه السلام) المُخلص الذي قدّم نفسه فداءً للبشرية جمعاء، ولأئحة المُخلصين ستطول وتطول بتنوع اعتقادات وديانات الإنسان منذ آدم (عليه السلام) إلى اليوم".

أما الانتظار السلبي، فهو انتظار المتفرّج الذي لا يعنيه من الأمر شيء، وهو تفويضٌ إلى الغير: (فاذهب أنتَ وربك فقاتلا

إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ)، وهذا فيه منقصة لمقام الإمام (عليه السلام)، وهذا النوع من الانتظار مرفوض تماماً .

حقيقة إِنَّ الكتاب الذي بينَ أيدينا سرٌّ من أسرار الكَلِمِ الطَّيِّبِ، وإيضاحُ حدائِهِ خَرَجَ عن المألوفِ التعريفِي ليُطرح قضية الإمامِ الثاني عشر من أئمة العترة الطاهرة (عليهم السلام) بأسلوبٍ مزجَ بينَ القصةِ والروايةِ، بمفاهيم جديدة لم يسبق وأن تقدّمَ بها أحدُ أُرادته الدكتورَة أسماء غريب أن يكون بمثابة فتيلة النور اللازمة لإفاقة الناس من سُباتهم ولهوهم لاستقبال الطور المهدي {وَيَحْيِي مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ}.

إنّه دعوة لأن يعيش الإنسان مفهوم الانتظار الإيجابي، يعيشه واقعاً حياً، مُجسداً في يومياته.

(٢)

في الجزء الثاني
(الترياق بين يديك)

(النساجة العُربلة صائغة التبر والماس)

هذا حوارٌ مطوّلٌ، جادٌ، بين عارفةٍ تخوضُ البحرَ
لوحدها - رغم ذُباب الأرض وبعوض البرازخ - وبين الطريق
والدليل؛ (إمامها الموعود) .

- عليكِ وإليكِ سلامٌ الله وأهلِ سفارةِ العَلَمِ المنصوبِ والعِلْمِ
المصبوبِ يا أسماء!

قالها بصوتٍ جهوري، وكان يعني ما يقول.

- إِنْ فأنْتِ تعلمين أنّ جدّكِ كانَ يُعدُّكِ لتكوني من عُرفاء
النقطة والكلمة

- لكن أخبريني يا أسماء كيف كُنْتِ في قراءاتكِ الغزيرة
تعرفين أنّ الحرفَ المائلَ بين يديكِ هو لعارفٍ أو وليٍّ من
أولياء الله؟

قالت: بعينِ قلبي وبصيرتهِ يا سيّدي.

قال: - هذه هي قراءة خُدّام الحرف المخلصين
فتزوّدت بشهادة منه، كبيرة.

ويمضي الحوار، وتحصل أسماء على شهادة ثانية :

- أمّا أنتِ وغيركِ من بعض الأبناء والأحفاد فقد فصلناكم
عن الأولين والآخرين لنجعلَ منكِ ومنهمُ الحلقة التي يتحقّقُ بها
التّجديدُ والتّغيير.

وما بينَ ذلك الفصل وهذا الجعل صارت تمضي أسماء - على سرحِ نسرِها الأحمر - في مشروعها السردِي العرفاني على نحوٍ تأسيسيٍّ جديد، تستند فيه - كعادتها - إلى مرجعية قرآنية، تؤسسُ لأدبٍ عرفانيٍّ يحققُ تحولاً موضوعياً في وجدان القارئ ومعرفته وسلوكه.

واستناداً لهذا الجعل صارت تعتمد القراءة النورانية الكاشفة للمعاني، تلك التي تسهمُ في صياغة المعارف على نحوٍ جماليٍّ يتعامل مع الموروث الروحي من جهة، ومن جهةٍ أخرى يوجدُ تجديداً في أدوات الحوار المعرفي وافتتاحاً يتماشى ومسارات الوعي المتجدد للإنسان.

إنَّ ما تكتبه الدكتورة أسماء غريب اليوم يحاكي نموذجاً في المعرفة والفلسفة الأخلاقية في الإصلاح والتهيئة لتلقّي علوم الأسرار والخفايا، على أنه ليس بوسع أيِّ أحد أن يقف على مشارف نصّها ما لم يكن عاشقاً، متذوّقاً للحكمة.

إنّه نموذجٌ حي للحضارة الموسستيرية، وجبّلتها الشّامخ "إيغود" الذي يقع بين مدينتها آسفي؛ ذات القلاع والمآثر التاريخية، وبين مراكش؛ المدينة الحمراء، عاصمة النخيل، نعم، إنّها نتاج تلك الحضارة ذات الثقافة الغنية جداً، وورثة "المهدي بن تومرت" المصلح الديني والثائر السياسي بجمال الأطلس الكبير، وثورته الكبيرة فيما تميزت به من خصال علمية وأخلاقية

وحركية.

لكنّ ما يميّز نصّها، أنّها تضع الإجابات - مُسبقاً - لكلّ التساؤلات المحتملة التي يمكن أن تجول في ذهن القارئ، وبالتالي فهي في معاشة حرفيّة، واقعية مع النص حتى تظهره خالياً من كلّ نقص، حاملاً النقطة والحرف، مُبرءاً للذمة.

في الجزء الأول من كتابها القيم (دزاكرا، إمامك المُنتظر كما لم يُخبرك عنه أحد)، وكما أشرنا في دراستنا النقدية إليه، أنّه كان "صياغة مُبدعة لحقيقة كونية النقطة وتَشكّلها حرفاً نورانياً ظهَرَ إلى الوجود لتحتفي به الكائنات؛ نوراً هادياً قبلَ ظهوره الموضوعي، وتحقّقه الخارجي، ولتفتَح به نوافذَ إشراقية تُهيأ كلّ منّا لأن يكون مُمهّداً حقيقياً للظهور المُقدّس". وأوضحت الدكتورة أسماء كيف يمكن للإنسان أن يتحرّر من أوهامه وإحباطاته وخيباته ويعرف كيف ينتظر ويصبر إلى أن تظهر شمس الإمامة في قلبه.

وأكدت على أنّ من ضرورات الانتظار الإيجابي أن يكون الإنسان مُسلّحاً بالدفاع عن فكرة الظهور المُقدّس، مُلماً بكل جوانبها. وراحت تسرد - بكل ثقة - مفهوم الانتظار الإيجابي، بأسلوب مزج بين القصة والرواية، بمفاهيم جديدة لم يسبق وأن تقدّم بها أحد.

الأثنى العقلية والقران العرفاني

لقد تعرّضت الكثير من الدراسات إلى علاقة الشيخ بالمُرِيد، وإلى ضرورة أن يكون للمُرِيد شيخ يهديه ويوصله إلى مراده. وفي ذلك يقول الإمام الغزالي: فكذلك المُرِيد يحتاج إلى شيخ وأستاذ يقتدي به لا محالة ليهديه إلى سواء السبيل، فإنَّ سبيل الدّين غامض وسُبل الشيطان كثيرة؛ ظاهرة، فمن لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان إلى طرقه لا محالة، فَمَنْ سلك سبيل البوادي المهلكة بغير خفير فقد خاطر بنفسه وأهلكها، ويكون المستقل بنفسه كالشجرة التي تنبت بنفسها فإنّها تجفّ على القرب، وإن بقيت مدة وأورقت لم تثمر". (إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، تحقيق: سيد عمران، دار الحديث، القاهرة، د.ط، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، ٣/٩٨).

"وإنما تنفع أكملية الشيخ من حيث الدلالة الموصلة إلى المقصود، وإلا فالشيخ لا يعطي المُرِيد إلا ما أعطاه له استعداده، واستعداده منطوٍ فيه، وفي أعماله، كالطبيب الماهر إذا حضر المريض وأمره بأدوية فلم يستعملها المريض فما عسى أن تغني عنه مهارة الطبيب؟ وعدم امتثال المريض دليل على أنّ الله تعالى ما أراد شفاءه من علته، فإنّ الله إذا أراد أمراً هياً

له أسبابه. وإنما وجب على المُريد طلب الأكمل الأفضل من المشايخ خشية أن يلقي قياده بيد جاهل بالطريق الموصل إلى المقصود، فيكون ذلك عوناً على هلاكه". (المواقف، عبد القادر الجزائري، موفم للنشر، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، ١٩٩٦، ١/١٠٠).

وقال الإمام القشيري: يجب على المُريد أن يتأدب بشيخ، فإن لم يكن له أستاذ لا يفلح أبداً، هذا أبو يزيد البسطامي يقول: من لم يكن له أستاذ فإمامة الشيطان. (الرسالة القشيرية في علم التصوف، أبو القاسم القشيري، ت ٤٦٥هـ، تحقيق: معروف مصطفى زريق، المكتبة العصرية، بيروت، ط: ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ص: ٣٨٠)

تقول الدكتورة أسماء: واعلم أنَّ المعلمَ دائم البحث عن مُريده يسعى نحوه باستمرار، والشأن نفسه بالنسبة للمُريد تجاه معلمه، ولا بدَّ للثنتين أن يلتقيا، ليس جسدياً بالضرورة، وإنما روحياً قبل كل شيء ليتحقق الانصهار بينهما. والعلاقة السليمة بين الاثنين هي تلك التي لا يطلب فيها المُريد شيئاً، ولا يعدُّ فيها المعلمُ بشيء، إنما يحدث الفيض والاستقبال لوحدهما ومن ذاتهما، ما دام في المُريد عطش، وفي المعلم فيض. ولا أحد في هذه العلاقة أفضل أو أهم أو أكبر من أحد. (د. أسماء غريب، كأس

السّم، ص ٥٤، دار الفرات للثقافة والإعلام/ العراق - بابل)
وأما عن زمنٍ تحقّق العشق في هذه العلاقة الصّوفية، فنقول
الدكتورة أسماء: "حينما يلتقي المُريد بمعلّمه يقع العشق". ولعلّها
لا تريد باللقاء مُجرّد المواجهة الجسدية لكلّ منهما، أو التّعرف
المبدئي على بعضهما، أو حتى دون أن يتحقّق ذلك كله.
فكلاهما شمعة مشتعلة دون لقاءٍ موضوعيّ، تقول: "ولا يهّم إذا
ظلّ الجسدان منفصلان بحُكم الزّمان والمكان والتّاريخ
والجغرافيا". فالأرواح لها لقاءٌ دون ذلك!

وفي مرحلةٍ من مراحل العطاء والوصال الحي بينَ الشيخ
ومُريده، وحينَ تكتمل الصورة عند المُريد، ويستشعرُ الشيخ ذلك
بموادّه العرفانية، وبأنّ مراده تجاه مريده قد تحقّق، هنا يحدث
الانفصال الداعم لتحقّق علاقةٍ أخرى من سنخٍ آخر. علاقة
هامّة أخرى غير التي بينَ الشيخ والمُريد، وهي العلاقة بين
عارفٍ (ة) قد اكتملت عنده الصّورة تماماً، وعارفٍ (ة) وآخر،
إلا أنّ أحداً لم يلتفت إلى طبيعة تلك العلاقة، إلى أن جاءت
الدكتورة أسماء غريب فاستحدثت مفهوم (الأنثى العقلية).

ويشكل استحداث مفهوم (الأنثى العقلية) في الأدب العرفانيّ
منطلقاً هاماً للبحث في جدلية العلاقة العرفانية بين عارف
وآخر، تقول الدكتورة أسماء: "في الأنثى العقلية لا يوجد فرق

بين رجل وامرأة. ونحن نسمّي (أنثى عقليّة) كلّ روح مُهمّة
رضيَّت بأن تكون القرينَ الفكريّ لعارف أو عارفة ما".
ولو أمعنا النظر في الحدود التفصيلية لذلك الاقتران لوجدنا أنّ
طبيعة التحوّل الذي يحدث نتيجة ذلك الاقتران هو من قبيل
التحوّلات الكيميائية وليس الفيزيائية - كما يبدو ظاهراً - بل هو
تحوّلاً كيميائياً يحدث نتيجة تحولات جوهرية في خصائص المادة
العرفانية بين طرفي ذلك الاقتران لينتج مادة جديدة ذات
خصائص متميّزة، ومختلفة عن ذات المسارين الذّين تكوّن في
إطارهما كلّ من العرفاء! فكلُّ منهما مُلكه وملكوته.

وهو بهذا الفعل الخلاق يكون قد أسهم في إيجاد نمط روحي
جديد تنبثق منه أنماط روحية جديدة، وهكذا. وهذا اللون من
الإيجاد (الخَلقي) جاء نتيجة تغيرات كيميائية معاصرة، تحرّرت
من قيود وأسر مواد بسيطة التكوين لتكوّن مواد عالية
المضامين. وأقصد بـ (بسيطة التكوين) كونها منفردة ؛ قبل
الاقتران، وإنّما يزيدها ذلك الاقتران إشعاعاً ونوراً، إذ هو تركيبٌ
من نورين، يحدث لمن هم كثيري التّراور في المحراب الحروفيّ،
تقول الدكتورة أسماء:

"وإذا حصلَ القبول والصّدّاقة فلا يكونُ هذا من باب الشّيخ
والمريد وإنّما من باب مُعلّم يرافقُ معلّماً ويصاحبه، فتحصلُ

البركة، ويتكاثُر الحرفُ، ويشعُّ النورُ وتُفتحُ خزائن الأبدية".

وتقول :

"والمسار الكيميائي الذي في إطاره يتكوّن عارفٌ من العرفاء هو مختلف عن المسار الذي يتكوّن ضمنه عارفٌ غيره". (د.

أسماء، دزاكرا، ج٢/ الترياق بينَ يدَيك، ص٧٤)

إذن - ووفقاً للدكتورة أسماء - فإنّ هناك مسارين محكومين بخصائصٍ تبعيةٍ معينةٍ تكوّنت بعد تحولاتٍ كيميائيةٍ مُعيّنة مُشكّلةً نمطاً روحياً يختصّ بعارِفِ (ة) دون آخر.

ثمّ إنّ الاقتران الذي يحدث بينَ عارِفِ (ة) وآخر مرّةً يكون اختياريّاً بأن يتابع العارِفِ (ة) التجربة العرفانية لعارِفِ (ة) آخر - يكون قد ظفّر به - ويهتمّ بها اهتماماً استثنائياً، يقرأها قراءة واعية، حتى ينصهر بها، فيحدث الاقتران... ومرّةً يجدُ العارِفِ (ة) نفسه أسيراً ل (هالة) نورانيةٍ مُعيّنة؛ تأخذهُ بأصابعها الذهبية إلى حيث المراد، فيتم الاقتران.

وفي كل الأحوال فالعارِفِ (ة) في مهمّة (عسكريّة)، شاقّة، فهو باحثٌ ماهر عن أنثاه العقليّة، يجيد لغة الرؤى. تقول الدكتورة أسماء: "واعلم أنّ هناك من أصحاب الحرف المنقوطة من يعرف كيف يحرّكُ الجبال بما يكتبهُ". وهو بهذا الفعل لا ينفكُ من استقطاب الأنثى العقلية الكفيلة بتحقيق المراد.

ولا يراد من العارف أن يكون واقفاً في مكانه، قانعاً بما لديه من مواد معرفية، بل عليه أن يكون طامحاً في الحصول على المزيد من أجل أن تتحقق أرقى الكمالات الكفيلة بإحراز الوصال. تقول
الدكتورة أسماء:

"سافر إلى كل المحطات، واركب كل القطارات، ودعك من أولئك الذين يريدون إحباطك، أو يقولون لك، إنَّ الرّوى هي لغة العاجزين، وهم يعلمون في قرارة أنفسهم أنّك قد نجحت حقاً، وانتصرت انتصاراً ساحقاً. ولكن لا تنس وأنت في غمرة الانتشاء بحلاوة الانتصار، أن تمرّر أصابعك الكاتبة فوق وجه بلقيسك الجديدة، فهي جبرُ الكتابة، ودواة النّقطة، وهي الحياة التي تخترقُ جدرانك لتقول لك، إنّني هنا". (د. أسماء، ذاكرا، ج ٢/
الترياق بينَ يدك، ص ٥٣)

اختطاف الأنثى العقلية

ولمفهوم (اختطاف الأنثى العقلية) أهمية كبيرة في أدبيات الدكتوراة أسماء، ولمن يريدون معرفة المزيد عن قضية اختطاف الإناث العقلية، تقول الدكتوراة أسماء غريب: "أما أنتم يا من تريدون معرفة المزيد والمزيد عن قضية اختطاف الإناث العقلية، فإنني أقول لكم إنَّ هذا أمرٌ لا يعاني منه أهل العرفان فقط، وإنما الكثير من النَّاس هُم مغيبون ومختطفون اليوم وأكثر من أيِّ وقت مضى". (المصدر السابق، ص ٥٤).

وتعطي أمثلة عديدة توضِّح أسباب قضية الاختطاف، بعد أن تدعو إلى الدخول إلى بحر الإناث العقلية تقول:

"وهناك شباب يتعاطون السَّموم بكلِّ أنواعها، فتذهب عقولهم وينتحر العديد منهم. وهناك اليوم السَّموم الإلكترونيَّة والمعلوماتية التي أدمن عليها الجميع. كلَّ هذا ألا ترون فيه اختطافاً؟ لكن السؤال الذي يُفترضُ أن تطرحوه على أنفسكم، هو مَنْ يا تُرى يختطفكم، ومنذ متى وأنتم على هذه الحال؟ ولستُ هنا لأعطيكم الأجوبة الصّريحة في هذا الصّدّد، وإنما يكفيني أن أقول لكم أعيدوا النّظر في الأمر، وهناك من سيفهم كلامي من أصحاب الكشف والعروج، فكم من زوجة هي حاضرة في بيتها

بالإسْم فقط، في حين هي مختطفة ولها في براخ أخرى أبناء
وأسرة غير أسرتها الأرضية، وكلّ حياتها على الأرض جحيم في
جحيم!" (المصدر السابق، ص ٥٥-٥٦).

ثم تدعو إلى ضرورة ملاحظة الخطر الذي يحدق بالجميع وهم
في غفلة عما يدور، تضع التساؤلات العديدة عن أولئك الذين
يختطفون الناس دون أي رادع، تقول:

"لماذا تتأجج الحروب في كلّ مكان، لماذا يُذبح الشباب من
الوريد إلى الوريد؟ لماذا تسيل كلّ هذه الأنهار من الدماء؟ من
هم هؤلاء الذين يتغذون على دماء البشر؟ من هم هؤلاء الذين
يحبون القرابين الآدمية ويركضون خلفك أيها الإنسان أينما كنت
وحللت؟ من هم هؤلاء الذين يختطفون العالم والناس؟ أفيقوا يا
بارككم الله، فالخطر محقق بكم من كلّ جانب، وأنتم مخمورون
لا حول لكم ولا قوة". (المصدر السابق، ص ٥٨).

مزيد من السم مزيد من المعرفة

وهي مازالت متعطشة لمزيد من الترياق المُلهم، تطلب من سيدها أن يستمر في صب السم لها:
"صَبَّ لِي السَّمَّ فِي الكَأْسِ يَا سَيِّدِي، وَلَا تَخَشْ شَيْئاً. وَأَنْتَ وَإِنْ كُنْتَ تَقُولُ إِنَّنِي مَتَيْقِظَةٌ إِلَّا أَنْنِي مَازَلْتُ أُرِيدُ أَنْ أُسْتَيْقِظَ أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ، صَبَّ مَرَّةً تَلُو المَرَّةَ، وَدَعْنِي أَتَجَرَّعُ المَزِيدَ ثُمَّ المَزِيدَ مِنْ هَذَا السَّمِّ الرَّعَافِ".

وهنا يقف سيدها ليذكرها بأن السم مرّ جداً. لكنّها مصرة على تناوله ولا تخشى عواقبه، فهي متعطشة لمزيد من المعرفة، تقول:

وأنا أريد أن أموت لأرى أكثر فأكثر.
وهنا تحصل أسماء على الشهادة الثالثة :
- سَتْرَيْنَ يَا أَسْمَاءَ، سَتْرَيْنَ مَا نَرِيدُ نَحْنُ أَنْ تَرِيهِ .
ولأنّها عاهدت الله تحت شجرة العذرية، شجرة الفتيات العارفات حقاً وحقيقةً، فقد أُجيز لها بشهادة رابعة:
- لِكِ مَمْلَكَةِ وَجَاهِ وَسُلْطَانِ، مِثْلِكَ فِي هَذَا مِثْلَ كُلِّ إِنْسَانٍ عَاهَدَ اللهُ تَحْتَ الشَّجَرَةِ.

ويمضي - رضوان - في مواصلة تقديم رسائل الاطمئنان إلى

أسماء وهي تخوض تجربتها العرفانية:

- ونحن هنا حولك ومعك أينما كنتِ

- فأنتِ وقلة قليلة من إخوتك العارفات والعارفاء سرُّ يا

أسماء.

وهذه الشهادة الخامسة بحقّها.

سر الأنثى العقلية

وفي سلسلة المعارف الروحية لا يكتفي العارف بأنثى عقلية واحدة، إذ أنها كالمتتالية الحسابية، وليس الهندسية. تقول الدكتورة أسماء: " وهذا ما يُفسّر كيف أنّ سليمانَ كانت له أكثر من أنثى عقلية، أولها بلقيس وهي من عالمي الجن والإنس، وثانيها الهُدُود، وهو من عالم الحيوان "

وتلقت الدكتورة أسماء إلى ضرورة المحافظة على (سر الأنثى الروحية) - لِمَنْ ظَفَرَ به - وعدم الكشف والحديث عن ذلك السر، وتحذّر من مغبّة هذا الأمر، وتضرب لذلك مثلاً، تقول:

"ولتتعضوا من قصص مَنْ سَبَقَكُمْ من أهل العِرفانِ الحَقِّ، كابن عربيٍّ وما حدّثَ له من عذاب، وما قاساهُ من مِحَنٍ بسبب كشفه عن حبيبته وأنثاه الرّوحية نظام بنت الشّيح أبي شجاع بن رستم الأصفهاني، وكذا جلال الدين الرومي حينما كشفَ عن عروسه شمس الدّين التبريزي. ومن هذا المُنتلق أقول بأنّ، لا نظام بن عربي قضت نحبها دون أن نعرف عنها شيئاً، ولا شمس جلال الدين الرومي اغتيلَ، وإنّما كلاهما اخْتُطِفا إلى بحر العرائس الذي وصفته آنفاً، وسيقا غدراً إليه لتتغذّى على طاقتهما الفيّاضة أرواحُ أنتم أعلمُ بها منّي. وهو البحر الذي إذا

دعوت الله مخلصاً له الدين ليكشفهُ لك، فسوف ترى به شاطئاً
عريضاً طويلاً وقد رصّت فوق رماله العرائس العقلية
المُختطفات؛ عاريات من كل شيء، ولقّت كل واحدة منهنّ في
إزارٍ أبيض كما تُلفّ الجثث في الأكفان. وصفٌ طويلٌ من
عطاشى الطاقة، إناثاً وذكوراً ينتظر كل واحدٍ منهم أن تمنحه
عروسه ليحملها معه ويتغذى عليها كما يشتهي ويشاء. وقد
يحدث أن يكون التّغذي والأكل في هذه المائدة جماعياً، فافهم
قولي وإشارتي يا باركك الله ...". (د. أسماء غريب، كأس السمّ،
ص ٥٦، دار الفرات للثقافة والإعلام/ العراق - بابل)

إنّ المتنبّع لهذا النصّ العجائبيّ، العميق في التحليل، الصّادر
من عارفةٍ حاذقة، يدرك بلا أدنى شك خطورة الوضع هنا!
وكيف يقشعُ البدن لتلك المشاهد المروعة التي يهتّز لها عرش
الرحمن، وكيف يراها الإنسان - بما هو إنسان - قبساً من نارٍ
مهولة تاكلُ المُهطعين إليها! عجباً لهذا كلّهُ! يحدث كل هذا
نتيجة إفشاء السرّ والبوح به؟ يا لها من مكائد لإبليس لا يسلمُ
منها حتى العُرفاء !

يقول القاضي الطباطبائي: إنّ أساس مطالب منصور الحلاج
هي نفس مطالب سائر العرفاء، وليس لديه شيء آخر دونهم،
لكنّه كان مفشياً للأسرار الإلهية!

مع الأنثى المادية

وهنا تلفت الدكتورة أسماء إلى خطورة الانحراف الذي شهّدته التجربة الإسلامية الحقّة، والذي أدّى إلى تغييب تعاليمها السمحاء، خصوصاً فيما يتعلّق بالمرأة، والالتفات إلى الظاهر منها، والتأكيد عليه، في حين لم يُعر بعض أهل الإفتاء اهتماماً إلى الروح التي هي قوام التجربة وعمادها! تقول:

"لكنّ بعض أهل الإفتاء حرّموا الرّجالَ منها، وقالوا إنّ صوتها عورة، فحجّبوه ولم يسمحوا لها بالترتيل والتجويد إلّا بينَ النّساء، وحسناً فعلوا، وإن كانوا لا يعرفونَ لتحريمهم هذا سبباً غيرَ الظاهري منه، ولكنّ إرادة الخالق شاءت ذلك، ولم تكشف السّبب الحقيقي إلّا لأصحاب الأسرار" (د. أسماء غريب، كأس السّم، ص ٥٣)

ومثلما أكّد القرآن الكريم على ضرورة تهذيب الروح، للمرأة، وإخراجها بالشّكل الذي يصون كرامتها ويحفظها من الضياع، فقد أمرَ بأن يكونَ لها حجاباً ظاهرياً، تستر به بدنها، ولا تظهره إلّا لمن أحلّه الله لها، وهذا لا يقلّ شأنًا عمّا تحدثنا عنه، وأكّدت عليه الدكتورة أسماء وأسمته بالـ (أنثى العقلية).

نعم، إنّ الحجابَ هو السّتر والحجب والمنع، والجذر هو حَجَبَ،

وحجب المرأة مفاتنها بالفدر الذي حدّده الشارع المقدّس، مدعاة لغض البصر من جانب الرّجال؛ وهو أدبٌ نفسي ومحاولة للاستعلاء على الرّغبة في الاطّلاع على المحاسن والمفاتن في الأجسام، فهو أظهر لمشاعرهم وأضمن لعدم تلوّثها بالانفعالات الشّهوية في غير موضعها.

ولقد رأينا كيف أنّ نساءً - كنّ يرتدين الحجابَ وساماً - قد وقفن بوجه أعتى عتاة الأرض ولم يهتزّ لهنّ طود ولم تتحنّ لهنّ رقبة !

معاوية، كانَ ينظرُ إليهنّ، ويسألُ عن كلّ واحدة بعينها، وهنّ مربّطاتٍ بحبلٍ طويل، وكانت بينهنّ امرأة تسترُ وجهها بزندها، لأنّها لم تكن عندها ما تسترُ به وجهها، فقال يزيد: مَنْ هذه؟ قالوا: سُكينة بنت الحسين.

فقال: أنتِ سُكينة؟ فبكت واختنقت بعبرتها، حتى كادت تطلع روحها! فقال لها: ما يبكيكِ؟ قالت: كيفَ لا تبكي مَنْ ليسَ لها سترٌ تسترُ وجهها ورأسها عنكَ وعن جلسائك!

والحجاب فرضٌ ثبت وجوبه بنصوص قرآنيةٍ قطعيةٍ الثبوتِ والدلالة لا تقبل الاجتهاد، وليس لأحدٍ أن يخالف الأحكام الثابتة. والآيات القرآنية بيّنة وصریحة في وجوب التمسك بالحجاب:

قَالَ تَعَالَى : يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزُوجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ
 يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ۚ ذَلِكَ آدَتِي أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ
 وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا " سورة الأحزاب الآية ٥٩ ، وقال تعالى :
 " وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ
 لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ " سورة الأحزاب الآية ٥٣ ، وفي سورة النور قال
 تعالى : " وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ
 فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۗ وَلْيَضْرِبْنَ
 بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۗ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ
 آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ
 إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ
 أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ
 لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ۗ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا
 يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ۗ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ
 تُفْلِحُونَ " سورة النور آية ٣١ .

قال في (لسان العرب): الجلباب ثوب أوسع من الخمار، دون
 الرداء، تغطي به المرأة رأسها وصدرها، وقيل: هو الملحفة،
 قالت امرأة من هذيل ترثي قتيلاً لها:

تمشي النسور إليه وهي لاهية * * * مشي العذارى عليهن
 الجلابيب

نعم، الجلباب السابغ، الذي يستر محاسنهنّ وزينتهنّ، ويدفع عنهنّ ألسنة السوء، وأمُرهنّ كذلك أن يغطينّ وجوههنّ وأجسامهن بجلابيبهن، ليميّزن عن الإماء والقينات، فلا يكنّ هدفاً للمعرضين، فلا يتعرض لهن إنسان بسوء، فذلك أقرب إلى أن يعرفن بالعفة والتصوّن، فلا يطمع فيهن من في قلبه مرض. فالحجاب الشرعي فرضه الله على المرأة المسلمة، ليصون لها كرامتها، ويحفظ عليها عافها، ويحميها من النظرات الجارحة، والكلمات اللاذعة، والنفوس المريضة، والنيّات الخبيثة، التي يُكِنّها الفسّاق من الرجال للنساء غير المحتشّمات.

قال الشّاعر يخاطبُ عارفةً ينقصها الحجاب:

كُلُّ شَيْءٍ فِيكَ حَلْوٌ

ولو لبسَ الحِجَابَ لكانَ أحلى !

وتمضي الدكتورة أسماء في سردها الروائي المتميّز الهادف، لتبيّن حقيقة العارف، وضرورة أن يكون ممّن يُجيدون لغة الرّوى، كاتباً - باسم الله - يقظاً جدّاً، وأن يكون (في أعلى قمّة من الإيفرست).

لكنّها تطلبُ من - سيّدتها - أن يبيّن لها حقيقة كتابة ذلك العارف التي تضمن استمالة قلوب العارفات من أهل الله.

- " قل شيئاً يخفف من حرقة وجعهنَّ العظيم " ولعلها هنا أرادت بـ (الوجع): الألم الناشئ من انتظار الظفر بالعرفاء الأحقّاء من أهل الله. ويشرعُ - سيدها- في سرد تفاصيل أنواع أقلام الكتابة التي يكتب بها الكاتبون (العارفات والعرفاء الباكون). . ويختصّ من بين تلك الأقلام؛ القلم النقطة (الذي لا يكتب إلا من الخزينة الإلهية).

العودة إلى غابة العرعر وال نارنج

وتعود أسماء مع نسرهما الأحمر إلى البيت الذي أعدّه
لهما حيُّ بن يقظان، وتتشرف أسماء برسالة اطمئنان، وشهادة
سادسة:

- لأنّ كتاباتك الجديدة والقادمة ستكون تحت ناظري ورعايتي.
لن أدعك تخوضين بحر الحرف لوحديك، فأنا الطّريقُ والدليل،
وأنا الحياةُ والحقيقة، وأنا الشّمْعة والقنديل، وأنا إمامك الذي
قضيت العُمُرَ تبحثين عنه، والذي على أمل اللقاء به فتحت باب
الكتابة للعرفاء والأولياء.

ويعربُ لها عن سعادته بأن ظهرَ لها أخيراً فنال استحقاها
ونالت استحقاها.

قال:

- ولكني سعيدٌ للغاية بأن ظهرتُ لك أخيراً، وعرفتني وعرفتني،
وحررتني من سجنني وخلصتني من أسرك، فاستحققتني
واستحققتني.

نص عرفاني رائع، قائم على مقدّمات ونتائج غاية بالاقتران،
فاجتماع المقدّمة بنتيجتها يترتب عليه كمالٌ زائد عن كمال كل
اسم على وجه الانفراد:

عرفتني
حررتني من سجنني
عرفتك
خلصتك من أسرك
استحققتني
استحققتك

نعم، ولأنها شجرة السرو في قلبه، نالت ذلك الاستحقاق العظيم من عين الله الناظرة، فهو يعرف تماماً أنه هو المائل في رواياتها كلها، بأسماء مختلفة، فهو النقطة والحرف، وهو الفتى الزكي، وهو السالفاتوره والعالية وسامية، وكل الشخصيات التي وردت في رواياتها وقصائدها.

ومن فرط وصالها به لم تكن كتاباتها تخلو من اسمه المبارك، فقد كان حاضرا في معاني الحروف والكلمات، تقول:
"وما مرّ إصدار إلا وكان لك فيه ظهور واسمٌ وحضور".

وصال

وكـ (عيد السعانيين)، في ليلة عشقٍ خالص، يتحقّق الوصال، فتكتحل العين بنور الطلعة البهية، ذاك القادم من الأعالى، حيث دروب العشق وآيات الحُسن والجَمال:

- وما قد تحقّق المُرادُ، وأنتِ الآن بين يديّ، أنظر إلى كلّ حرفٍ خطّته أناملِكِ، وإلى كلّ همس روته شفتاكِ، وإلى كلّ إصدار فاح في الفضاء أريجُه وعبيره، وأبكي. نعم، أبكي عشقاً وتبتلاً وخشوعاً في حضرتك.

وترى أسماء أنّ لقاءها بـ (إمامها) تكليفاً أكثر منه تشريفاً، تقول: "أنا أراه تكليفاً أكثر منه تشريفاً. لأنّ كلّ روح يظهر لها إمامها عليها أن تعلم أنّها في بداية الطريق، وليس في نهايته. فالكلُّ يعتقد الوصول بالظهور، لكنني لا أرى في نفسي ممّن وصلوا، وإنّما أنا ممّن وضعوا قدمهم على بداية الطريق، وما زالت هناك أسفار أخرى لا أوّل لها ولا آخر. وإنّما العبرة في مدى قُدرة العارف على أن يُحافظ على إمامه ظاهراً، ولا يتسبّب في أسره من جديد، ولا في قتله. هذا هو التّحدّي الحقيقيّ، والرّهانُ الأوّل والأخير" (المصدر السابق، ص ٧٧)

وتتصرفُ - أسماء - إلى تفجير علوم الأجداد، علوم العشق الخالص، انقطعت تطلبُ الحكمة، تاركة علوم أهل البطالة والعطالة، لم تحسن لديها الدنيا، وهي لم تزل غيرَ ناظرة إلى دعائم العزّة والسلطان.

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ﴾

تتصرف بلا حسرة على شيء، واثقة، مطمئنة، لا تكثرث إلى حطام الدنيا وملذاتها، فنور الله إذا حلَّ في قلب لا يترك مجالاً لشيءٍ آخر سواه !

إنها - رابعةٌ زمانها - فطوبى لمن أسبر غورها، ووقفَ على كُنه أمرها، فقد عقدت لها الحكمة لوائها، وقلدتها تاجها وصولجانها، وفتحت لها العلوم كنوز أسرارها حتى صارت فريدة عصرها. وإنها بهذا الفعل لم تكن منعزلة عن الإنسان، بل جاهدت في أن تقدّم الكثير الذي من شأنه تنمية علوم إحيائه، وإعادة تقويم ما لحق بخليته الأولى من تشويه، تقول:

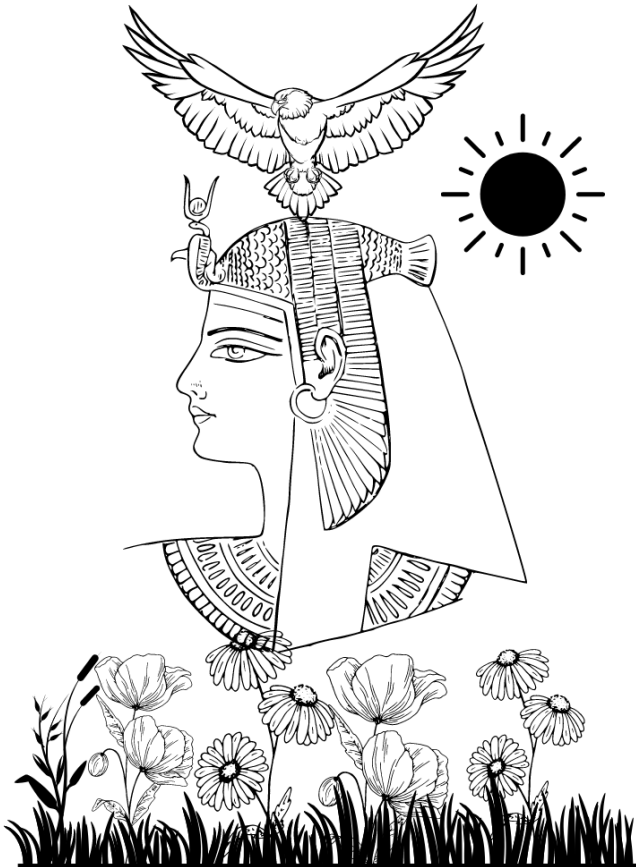
"أول اهتماماتنا منصبّة على علوم الطّبيعة أو لنسمّيها بعلم عشق الكوكب، وذلك حتّى تتعافى الأرض من الأمراض التي تسبّب فيها الجهلُ والطّغاة من شياطين الإنس والجنّ. ثمّ بعد هذه العلوم، هناك علوم إحياء الإنسان، وهي التي تتكفّل بإعادة تشكيل بنية الخليّة في الجسد البشريّ، مادامت الخليّة الأولى قد تعرّضت للتّشويه بأثر من ذلك العهد الذي قطعه العدوّ على نفسه ووفّى به كاملاً ساعياً من خلاله إلى تغيير خلق الله" (المصدر السابق، ص ٨٢).

الوصية الأخيرة

بعد أن أزهَرَ وتَوَزَّرَ صدرها بهالته النورانية، كانت أسماء تنتظر من سيدها - إمامها ورفيق رحلتها - أن يريها مهامها المستقبلية، وأن يوصيها ما يزيّن قامتها و يطيب زادها، فهي طالبة العلم المنهومة للحرف:

- "لذا فكلّ ما أريده منك الآن يا أميرتي المقدّسة هو أن تطمئنّي وتقرّري عيناً بما نحن بصدد تحقيقه من مهامّ الواحدة تلو الأخرى في مملكتك أولاً وفي ممالك كلّ من تحقّق لديهم فعلُ الظهور. أمّا الآن فلم يبقَ لي سوى أن أقول لك: أعدّي نفسك للعودة، فلا بدّ لكلّ من أظهر له أن يعود، لأنني متى ما ظهرتُ أفسحتُ المجال للعروج النهائيّ وفتحتُ بابَ الخلّة حيث ذاك المكان الذي لا يليقُ أن يجتمع فيه العارفُ بغير ربّه، حتّى وإن كنتُ أنا؛ إمامك ورفيقُ رحلتك. فسلام عليك يا سيّدي ومليكتي ومولاتي، سلام عليك يا كاتبة النّقطة، سلام عليك وأنت ترقمين علومنا، وتذكرين أسماءنا، وتصفين زيارتنا. سلام عليك أيّتها العَلْمُ والعِلْمُ، سلام عليك حينما تقومين وتقعدين، وحينما تُسبّحين وتستغفرين، وحينما تكتبين وتشرحين، وحينما تأتين وتعودين. سلام عليك حتّى لا يبقى شيء في الأرض ولا في السّماء إلّا

وَيُسَلِّمُ عَلَيْكَ، يَا مَنْ حَقَّقْتَنِي، وَخَلَّصْتَنِي مِنْ قَيْدِي وَفَكَكْتَ
أَسْرِي، سَلَامٌ يَتَّبِعُهُ وَدَاعٌ يَا أَجْمَلَ وَأَجَلَّ وَأَبْهَى مَنْ رَأَتْ عَيْنِي!"



المحتويات

- الإهداء ٧
- هذا الكتاب ١٣
- الجزء الأول: محارة الذهب ١٧
- في بلاد شفشاون ١٩
- النسر الأحمر ٢٤
- آسية الجديدة ٢٨
- السجاد السحري العجيب ٣١
- في حضرة الشيخ حيّ ابن يقطان ٣٥
- الجزء الثاني: الترياق بين يديك ٧٣
- لماذا فتحت الباب؟! ٧٥
- في البيت الجديد ١١٠
- ليلة عشقٍ خالص ١٢١
- الجزء الثالث: حبيبتي المدهشة! ١٢٥
- سبعة مفاتيح ١٢٧
- الحرب الكبرى ١٦١
- البئر المعطلة ١٧٣

- الجزء الرابع: قُبْلَةٌ تَحْتَ شَجَرَةِ السَّرْوِ ١٧٥
- اسْتَيْقِظْ يَا أَبْسَال ١٧٧
- قَصْرُ سْتِيرِي ١٨٩
- قُبْلَةٌ تَحْتَ شَجَرَةِ السَّرْوِ ٢٢٠
- وَجَاءَ النَّسْر ٢٢٦
- الجزء الخامس: أَطِيرُ إِلَيْكَ عَلَى صَهْوَةِ الْوَشَقِ ٢٢٩
- ارْفَعْ كَفَيْكَ؛ ٢٣١
- طَرِيقُ الْإِثْمِ الْأَبْيَضِ ٢٣٧
- أَسْتَاذَتِي الذَّبَّةُ ٢٥٠
- الجزء السادس: هَيْثُمُ الْمَحْمُودُ قَارِئُ الْأَسْرَارِ ٢٥٧
- قَرَاءَاتُ عَرَفَانِيَّةٍ فِي الْجَزَائِنِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي مِنْ كِتَابِ
(دَزَاكِرًا / إِمَامِكَ الْمُنْتَظَرِ كَمَا لَمْ يُخْبِرَكَ عَنْهُ أَحَدٌ)
- ٢٦٥
- المحتويات ٣١٣

دار الفرات للثقافة والإعلام - العراق - بابل

بالاشتراك مع دار سما للطبع والنشر والتوزيع

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

Al-Furat House for Education and Information

Iraq - Babylon